

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

مجلة محكمة فصلية



ربيع الآخر ١٤٣١ هـ

نيسان ٢٠١٠ م

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

المدير المسؤول: الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور محمود السيد، نائب رئيس المجمع

لجنة المجلة

الدكتور محمد إحسان النص الدكتور عبد الله واثق شهيد

الدكتور محمد زهير البابا الدكتور محمد مكّي الحسني الجزائري

الدكتورة ليلى الصباغ الدكتور ممدوح خسارة

الدكتور مازن المبارك الدكتور عيسى العاكوب

الدكتور محمد محفل الدكتور عبد الإله نبهان

أمين المجلة: محمود الحسن

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها: المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراساتها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطة المجلة وشروط النشر فيها:

- أن يُرفق الكاتب بجمته بالسير الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني، مع تعهد بأن البحث غير مستل من أطروحة جامعية، وغير منشور من قبل، ولم يُرسل إلى جهة أخرى.
- ألا يقلّ البحث عن عشر صفحات وألاً يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة، وعدد الكلمات في الصفحة الواحدة لا يزيد عن (٢٥٠) كلمة. أما المقالات فيُقبَل منها ما يقلّ عن عشر صفحات.
- أن يخلو البحث من أي إساءة إلى الكتاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.
- أن تكون البحوث والمقالات المرسلّة إلى المجلة منضدة، وأن تشفع بقرص حاسوبي ليزري مسجلة عليه، أو مرسلّة بالبريد الإلكتروني.
- أن يلتزم الباحث المنهج العلميّ في كتابة المراجع وأسماء المؤلّفين في متن البحث وحواشيه.
- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم السريّ.
- ترتّب البحوث والمقالات وفق اعتبارات فنية.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- تُعطى الحواشي أرقامًا متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته. وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها.
- توضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو: تقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).
- من الضروري أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....
- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان:

العنوان البريدي: دمشق ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E- mail: mla@net. Sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشبكة (الإنترنت): www.arabacademy.gov.sy

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

البحوث والدراسات

٣١٩	د. محمود السيد	التعليم العربي في مواجهة التحديات
٣٤٩	د. مازن المبارك	العربية هوية ونسب
٣٦٣	د. عبد الكافي المرعب	أبقراط الطبيب
٣٨٧	د. عباس الجراخ	المستدرک علی دیوان ابن الرومي
٤١٣	د. محمود الحسن	تعقيب علی المستدرک
٤٢٥	د. عبد الرحيم عسيان	كتاب المثلثات: تحقيق ودراسة
٤٤٣	د. المهدي بوروية	الدراسة المقطعية في التراث
٤٧١	د. محمد صالح العسكري	التصحيف والتحرير في معجم الصحاح
٥٠١	أ. محمد الفجر	مراحل ظهور المعجم العربي المختص

المقالات والآراء

٥١٩	د. مكّي الحسني	توحيد الضمير بعد العطف
٥٢٥	د. عبد الإله نبهان	مُلقي السبيل لأبي العلاء المعري في المغرب
٥٣١	د. عبد الكريم الأشر	ندوة الأدب الجغرافي في المغرب
٥٤١	د. أحمد خان	رسالة في شرح بيت ممالك بن الربيع
٥٤٥	د. تركي بن سهو العتيبي	هدى مهارة الكلّتين وجلا ذات الخلتين
٥٦١	أ. الشارف لطروش	آراء مهدي المخزومي في تيسير النحو

أبناء جمعية وثقافية

- ٥٦٩ حفل استقبال الأستاذ الدكتور هاني رزق
- ٥٧٠ - كلمة الدكتور مروان المحاسني
- ٥٨٠ - كلمة الدكتور محمد محمّل
- ٥٨٤ - كلمة الدكتور هاني رزق
- ٥٩٧ حفل استقبال الأستاذ الدكتور أحمد قدور
- ٥٩٨ - كلمة الدكتور مروان المحاسني
- ٦٠٩ - كلمة الدكتور عيسى العاكوب
- ٦١٦ - كلمة الدكتور أحمد قدور
- ٦٢٥ الكتب والمجلات المهداة في الربع الأول من عام ٢٠١٠

التعليم العربي في مواجهة التحديات

د. محمود السيّد (*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف بعض ملامح النظام التعليمي العربي، ونقف على بعض التحديات التي يواجهها في العصر الحالي، لنتوصل أخيراً إلى رسم بعض الصوى لمواجهة هذه التحديات.

أولاً- من ملامح نظام التعليم العربي

من يلق نظرة على واقع نظام التعليم العربي يجد أنه، مع غلبة الكمّ فيه على النوع، عاجز عن استيعاب كل الطالبين له بسبب التزايد السكاني من جهة، وتزايد الطلب الاجتماعي على التعليم من جهة أخرى «الأمر الذي يجعل معظم القيادات التربوية في الدول العربية تفقد زمام المبادرة والقدرة على توجيه الشأن التربوي أمام الواقع الذي يفرض نفسه، فتغدو أمام الأفواج الطلابية المتدافعة في موقف المنفعل الراضخ لا في موقف الفاعل الموجه»^(١).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) الدكتور عبد الله عبد الدايم- بحث مقارن عن الاتجاهات السائدة في الواقع التربوي في البلاد

العربية- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس ١٩٩٥ ص ١٠.

وإذا كان النظام التعليمي لا يستوعب جميع الأطفال الذين هم في سن الالتحاق بالمدرسة في التعليم الأساسي، فإن نسبة التسجيل الإجمالي الخام في هذه المرحلة هو في حدود ٩٥٪ في عدد من الدول العربية، وستبقى نسبة غير المسجلين في المدرسة ثابتة نسبياً حتى عام ٢٠٢٥، وهي في حدود تسعة ملايين طفل كما تشير التوقعات الإحصائية، وسوف يستمر الفارق القائم بين الجنسين في مختلف مراحل التعليم، وإن تكن الفجوة بين المقيد من الذكور والإناث ستضيق.

ومن الملاحظ أن مخرجات نظام التعليم العربي ليست على المستوى المطلوب والتنوعية المرغوب فيها، وأن ثمة بوناً بين الأهداف المرسومة والنتائج المتوصل إليها. وعلى الرغم من الإنفاق الكبير على التعليم، الذي يزيد على ٥٪ من الدخل القومي في بعض الدول العربية، إلا أن المجتمع لم يلمس آثاره التي كان يتوقعها في الإنتاج والتنمية الشاملة^(٢).

وإذا كانت آثار التربية آثاراً بعيدة المدى وغير منظورة دوماً فإن «استمرار التخلف والعجز عن دخول مرحلة التصنيع في بلدان عربية عرف أكثرها التعليم منذ نصف قرن، أمور تجرأ أمام العين المجردة، وتشهد على فرق واضح بين التوسع الكمي في أعداد المتعلمين، ومن ثم أعداد المعلمين والمدارس، والنتائج الحضارية لهذا التوسع»^(٣).

ولعل خير شاهد على عجز كثير من النظم التعليمية العربية ما نشهده في معظم الدول العربية من بطالة لدى المتخرجين تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم، ومن هجرة للمثقفين بلغت مستويات خطيرة ومريرة، يشير إلى أن النظام التعليمي العربي لم يؤد دوره في هذا المجال، ولم

(٢) الدكتور سعد الدين إبراهيم - تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين - منتدى الفكر العربي - عمان ١٩٩٤ ص ٨.

(٣) الدكتور عبد الله عبد الدايم - بحث مقارنة الاتجاهات السائدة في الواقع التربوي في البلاد العربية - مرجع سابق ص ١١.

يفعل إلا القليل لمكافحة ظاهرتي البطالة والهجرة لدى المتعلمين.

وبدلاً من أن يعيد النظر في مناهجه وأقسامه واختصاصاته لتلائم حاجات السوق المتجددة خضع في معظم الأحيان للضغط الاجتماعي، وعجز عن توليد بنى تعليمية جديدة فيها من المرونة والتشعب، وتنوع الاختصاصات وتجديدها والتدريب المستمر، ومشاركة مؤسسات العمل والقطاع الخاص وسوى ذلك، مما يجعلها أقدر على تكوين متعلمين يملكون من المعارف والمهارات والخبرات ما ييسر امتصاصهم في سوق العمل. «هذا فضلاً عن فقدان الارتباط غالباً بين الخطط التربوية وخطط القوى العاملة، وهذا ما يجعل الصلة شبه مفقودة بين الحاجات الحالية والحاجات المقبلة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتوسع القريب والبعيد للنظام التعليمي»^(٤).

وتعاني التربية العربية من اضطراب في فلسفتها التربوية نتيجة لعدم تحديد الفلسفة الاجتماعية تحديداً واضحاً، وهذا الأمر يلقي الاضطراب بدوره على السياسة التربوية والاستراتيجيات التربوية والخطط التربوية. ولم يتحقق الهدف الأساسي من التخطيط التربوي في ترجمة الخطط التربوية إلى مشروعات وبرامج خاصة، إذ إن الهدف الأساسي من التخطيط التربوي لم يتم تحقيقه في الوطن العربي وذلك بجعل التربية توظيفاً مثمراً للأموال التي تنفق بدلاً من غلبة طابع الخدمة الاستهلاكية عليها.

أما المناهج التربوية فثمة ببطء شديد في مواكبتها روح العصر، عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا» والمعلوماتية، والاستجابة لمتطلباته من جهة ولتقتضيات سوق العمل وحاجات التنمية والمجتمع من جهة أخرى، والقصور في بناء الفرد بناء متكاملًا ومتوازنًا ومتطورًا من جميع الوجوه، وفي الجوانب العملية والقومية خاصة.

وما تزال الإدارة التربوية في جوهرها وبنيتها محافظة وقديمة لا تستجيب لحاجات التطور

(٤) مرجع سابق ص ١٢.

السريع، وهي إدارة تسيير لا إدارة تطوير، وهي مقصورة عن مواجهة حاجات المستقبل التربوي ومستلزمات التوسع المتوقع في مختلف مراحل التعليم والاستجابة للتربية المستمرة والتعليم غير النظامي وما قبل التعليم المدرسي، كما أنها مقصورة عن الاستجابة للتطور السريع في أساليب الإدارة التربوية الحديثة والتقنيات التربوية المعاصرة.

وثمة قصور في مناهج إعداد المعلمين وتدريبهم، وغلبة النمطية والتكرار عليها، وافتقار مؤسسات الإعداد والتدريب إلى البحث والتجريب التربوي، فضلاً عن تدني رواتب المعلمين في بعض الدول العربية، وهذا كله تَظْهَر آثاره السلبية على العملية التعليمية.

ومن أكثر جوانب التربية عصياناً على التجديد أساليب الامتحانات والقياس والتقويم، إذ إنها في الأعم الأغلب لا تقيس ما وضعت له، وتغلب عليها التقليدية، وثمة جوانب من شخصية المتعلم لا تقيسها، ولا تتوجه إليها.

وإذا استمرت أوضاع التعليم مستقبلاً على ما هي عليه من حيث الكم والنوع فإن على الأمة العربية أن تتوقع فعلياً مشكلات لا حصر لها في القرن القادم من حيث عدد التلاميذ والراسبين والمتسربين والخارجين من ذوي الزاد الهزيل الذي لا يؤهلهم لأي عمل منتج، وسيكونون طلاب وظائف بصرف النظر عن الإنتاجية المتدنية لهذه الوظائف. وإذا أوجدت الدولة لهم مثل هذه الوظائف برغم نقص أو انعدام إنتاجيتها، فهذا يكون عبئاً إضافياً على ميزانيتها العامة، وتكون الدولة قد خسرت مرتين الأولى في الإنفاق على تعليم هزيل، والثانية في الإنفاق على توظيف عقيم^(٥).

وغني عن البيان أن مشكلة النظام التعليمي العربي ليست مشكلة فنية فقط تقتصر على التجويد النوعي لهذا النظام، وعلى إتقان أساليب الربط الفني بين نمو التربية وحاجات العمالة، وإنما هي قبل كل شيء تتمثل في أن يعقد النظام التعليمي

(٥) الدكتور سعد الدين إبراهيم - تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين - مرجع سابق ص ٩.

حواراً صريحاً مع النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بغية المعالجة المتكاملة لهذه النظم كافة سعياً وراء التنمية الشاملة، وتحقيقاً لمطالب الوضع العالمي ولاسيما مطالب الثورة العلمية والتقانية فيه.

ثانياً- من تحديات الألفية الثالثة

لو رحنا نعدد التحديات التي يحملها قرننا الحالي لأعيانا الحصر، ولسهولة الوقوف على بعضها نشير إلى أن المتخصصين بالدراسات المستقبلية يرون أن مستقبل العالم إذا استمرت الأوضاع الحالية على ما هي عليه - سيكون أشد ازدحاماً بالسكان، إذ سيصل إلى عشرة مليارات عام ٢٠٣٠ وإلى ٣٠ ملياراً في نهاية هذا القرن، وسيكون أقل استقراراً من الناحية البيئية، وأكثر تعرضاً للاضطراب ولائها الأوضاع الصحية وازدياد الفقر، واستمرار التباين بين الدول الغنية والفقيرة، وتدهور الأرض المزروعة، وتزايد حدة أزمات المياه، وازدياد تغير تركيب الغلاف الجوي، وهذا ما يؤدي إلى تغير المناخ، وازدياد تعرض بعض الحيوانات والنباتات للانقراض، فضلاً عن أن القرن الحالي هو عصر التفجر المعرفي المتسارع والمعلوماتية والتقانة «التكنولوجيا» والمواصلات السريعة، وهو عصر العنف والمخدرات والخسار القيم الإنسانية لمصلحة الاحتياج المادي. وفيما يلي وقفة على بعض من هذه التحديات على الصعيد العربي والعالمي.

١- التفجر السكاني

كانت المشكلة السكانية وما تزال مشكلة عالمية كبرى، وتأخذ اليوم أبعاداً خطيرة، منذرة بتدابير على المستوى العالمي قد تكون لا إنسانية، وتفرض على الدول المتخلفة إجراءات صارمة أحياناً.

وتشير التقديرات المتوسطة - وهي تختلف من مصدر إلى آخر - إلى أن الأرض ستضم ثمانية مليارات ونصفاً عام ٢٠٢٥، كما تشير بعض دراسات البنك الدولي إلى أن مجموع سكان الأرض سيتوقف عند عشرة مليارات أو أحد عشر ملياراً في منتصف القرن

الحالي، في حين تبين دراسات أخرى أن مجموع سكان الأرض في ذلك الوقت سيصل إلى أربعة عشر ملياراً ونصف، كما تشير الإحصاءات إلى أن ٩٥٪ من مجمل الزيادة العالمية في عدد السكان حتى عام ٢٠٢٥ سيكون في البلدان النامية^(٦).

وهذه الزيادة المتوقعة تخلق مشكلات ضخمة تتصل بتوفير المواد الغذائية وصيانة البيئة والأمن العالمي والاضطرابات والثورات الاجتماعية. وثمة تضيق من الدول المتقدمة على الدول النامية للحد من الهجرة إليها، كما تنمو في عدد من البلدان في العالم نزعات فاشية تجاه القادمين إليها.

وتشير البيانات في الوطن العربي وهي متفاوتة في تقديراتها إلى أن عدد سكان الوطن العربي سيبلغ عام ٢٠٢٥ قرابة ٤٥٠ مليون نسمة، وينجم عن هذا التزايد الكبير تزايد في أفراد القوى العاملة تزايداً قد يؤدي إلى بطالة مستشرية وعجز الخدمات العامة كالكهرباء والماء والمواصلات وسواها عن الوفاء بحاجات السكان المتعاظمة واتساع أحزمة الفقر حول المدن وفي الأرياف، وتكاثر الأفراد المهمشين، وما قد يرافق ذلك من اضطرابات اجتماعية ومخاطر أمنية، ومن تزايد العنف وتكاثر عصابات التخريب والتدمير وسوى ذلك من أمارات النعمة الاجتماعية والاقتصادية التي تستشري في أوساط الكتل البشرية الكثيفة والمحرومة. وأخطر من ذلك كله ابتلاع الزيادة السكانية الضخمة لجهود التنمية. وإنّ تزايد الحاجة إلى المعونات والقروض والديون يجعل الأخذ بسياسة اقتصادية مستقلة متعذراً، ويفتح الباب عريضاً لغزو الرساميل الأجنبية^(٧).

والمشكلة السكانية تطرح إحدى المشكلات التعليمية الهامة، إذ إنها تشير إلى التفجر الطلابي الناجم عن التزايد السكاني، وإلى النتائج التي تنجم عن فتوة السكان،

(٦) الدكتور عبد الله عبد الدائم - مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ص ٣٧.

(٧) المرجع السابق ص ١٩.

وتطرح مشكلة الأمن الغذائي ومشكلة البطالة والأمن الاجتماعي والاستقرار السياسي ومسألة الإنتاج والإنتاجية ووسائل تطويرهما عن طريق اللجوء إلى التقانة الحديثة الملائمة.

٢- الأمية

أشار الإعلان العالمي حول التربية للجميع إلى أن دول العالم قد أكدت قبل أكثر من أربعين عاماً، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أن لكل شخص حقاً في التعليم، إلا أنه على الرغم من الجهود التي بذلتها الدول في جميع أرجاء العالم لضمان حق التربية للجميع، ما يزال أكثر من ٩٦٠ مليوناً من الراشدين ثلثاهم من النساء هم أميون، كما أن الأمية الوظيفية تمثل مشكلة بارزة في جميع البلدان سواء في البلدان النامية أو الصناعية.

وأكثر من ثلث الراشدين في العالم لا سبيل لهم إلى المعرفة المطبوعة والمهارات والتقنيات الجديدة التي من شأنها تحسين جودة حياتهم ومساعدتهم على التشكل والتكيف مع التغير الاجتماعي والثقافي.

ويتعذر على مئة مليون طفل وأعداد لا تحصى من الراشدين إكمال برامج التربية الأساسية، وسوف يكون حظ ملايين آخرين، يستجيبون لمتطلبات الحضور في هذه المرحلة التعليمية، وإنهم لا يكتسبون المعارف والمهارات الأساسية^(٨).

ومن المتوقع أن يبقى سبعون مليوناً من الأميين في العقد القادم متوضعين في أحزمة الفقر والمناطق النائية والمحرومة والمعزولة وبين الأقليات، مثل البدو واللاجئين وخاصة الفئة

(٨) المؤتمر العالمي حول التربية للجميع- تأمين حاجات التعليم الأساسية- رؤية للتسعينيات-

العمرية من ١٥-٤٥ سنة وبين النساء والفتيات^(٩).

إن ضبط النمو السكاني والمحافظة على البيئة من القضايا الجوهرية الحاسمة التي تستحق نظرة متعمقة تؤدي إلى استجلاء العلاقة العضوية بين ظاهرة الأمية من جهة والمشكلة السكانية ومشكلة البيئة من جهة أخرى^(١٠).

وهذه العلاقة تمثل الخلفية التي يُبنى عليها منظور محو الأمية على أنه عملية تنموية تعليمية، وأثره في كل من ضبط النمو السكاني والمحافظة على البيئة، اللذين يعدان من التحديات الرئيسية التي تواجه دول العالم الثالث أو الدول النامية ومن بينها وطننا العربي.

ولكي تقوم المرأة بدورها في المسألة السكانية والمحافظة على البيئة لابد من وضع خطة شاملة تكثف فيها برامج محو الأمية، وتعطى الأولوية فيها للمرأة التحاقاً بالتعليم ومتابعةً ومشاركةً في العملية التنموية وتذليلاً للعقبات المعترضة^(١١).

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يقول:

وإذا النساء نشأن في أميةٍ رضع الرجال جهالةً وخمولا

٣- التبعية الاقتصادية

يتضاءل في عالمنا المعاصر دور الدولة نتيجة لسيطرة الشركات الاقتصادية العالمية

(٩) الدكتور شكري عباس حلمي- نحو رؤية استراتيجية لتعليم الكبار في الوطن العربي- تعليم الكبار

وتحديات العصر- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس ١٩٩٦ ص ١٢٠.

(١٠) المؤتمر الخامس للمجلس العالمي لتعليم الكبار- محو أمية المرأة والتنمية وتحديات القرن

الحادي والعشرين- القاهرة ١٩٩٤ ص ١٦.

(١١) الدكتور محمود السيد- تعليم الكبار وتحديات القرن الحادي والعشرين- وزارة الثقافة السورية

ومنظمة اليونسيف- الندوة الوطنية حول تعليم الكبار- دمشق ١٩٩٧ ص ٢١.

الكبرى إلى حدّ جعل بعض الكتّاب يرى أن ما عرفه العالم من تسابق عسكري وتنافس على السلاح قد أخذ يحل محله التنافس الاقتصادي والسباق التقني ومختلف أشكال الحرب التجارية، وتقود الشركات العالمية المتعددة الجنسية لواء الاقتصاد العالمي الجديد، ويعمل هذا الاقتصاد العالمي بإصرار وبعون من السياسة والتقانة على تحطيم الحواجز الاقتصادية المالية بين الشعوب، لا من أجل توليد عالم إنساني عادل في خدمة الإنسان، بل من أجل مصلحة الشركات القائمة والدول الرائدة في هذا المجال.

وتتعامل الدول مع هذا الاقتصاد العالمي الجديد الفاتح والغازي تعاملاً يريح فيه الأقوى، وقد تستطيع الدول المتقدمة أو بعضها أن تكيف اقتصادها من خلاله لمصلحتها، غير أن الخاسر فيه لا محالة هو البلدان النامية، ومعها الطبقة الفقيرة التي تزداد فقراً في العالم كله وسط هذا النظام الاقتصادي العالمي الذي يجعل اقتصاد العالم في يد ٢٠٪ فقط من أبنائه على أكثر تقدير، إذ لا يزيد عدد سكان المجموعات الاقتصادية في اليابان وأوروبا والولايات المتحدة على ١١٪ من سكان العالم، ولكنها تسيطر على ٩٠٪ أو أكثر من صادرات العالم، وهذا ما يؤكد أن من يملك ناصية المعرفة والتقانة يمكن أن يملك أوراق اللعبة الاقتصادية^(١٢).

وما يزال الوطن العربي يعتمد في اقتصاده على العالم أكثر مما يعتمد على نفسه فهو يستورد ٥٥٪ من استهلاكه للحبوب، ويزداد العجز في اللحوم ومنتجات الألبان والبيض والزيت، كما سيزداد الاعتماد على سوق الدول الصناعية المتقدمة. وثمة علاقات اقتصادية غير متكافئة مع العالم الخارجي، فضلاً عن محدودية التكامل بين الدول العربية من الناحية الاقتصادية واستمرار التفاوت في الثروة والدخل، وزيادة الاختلال بين التعليم والعمل، وما يزال اندماج كل من الأقطار العربية في السوق الدولية يجري بصورة متفرقة،

(١٢) المرجع السابق ص ١٦ نقلاً عن مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية.

وما تزال التجارة البينية داخل الأقطار العربية منخفضة.

يضاف إلى ذلك أن ثمة ارتفاعاً في المديونية وتأكلاً للأرصدة وهروباً لرؤوس الأموال، وعدم استثمار ما هو موجود منها في الوطن العربي في الأعمال الأغلب في مشروعات إنتاجية، مما يرسخ التخلف ويزيد من التبعية في المرحلة القادمة، كما أن سيطرة النزعات الاستهلاكية يحول دون النهضة التنموية الحق.

٤- القصور في مواكبة العلم والتقانة «التكنولوجيا»

كانت الموجة الحضارية الأولى التي عرفها الإنسان هي حضارة عصر الزراعة «الثورة الزراعية» التي بدأت منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد، ونتج عنها استقرار الإنسان وارتباطه بالأرض وظهور الحضارات الزراعية القديمة.

وأعقبها موجة ثانية هي حضارة عصر الصناعة التي بدأت أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر «الثورة الصناعية»، وبلغت أوجها أواسط القرن العشرين، وطغى الطابع الصناعي على كل شيء فيها حتى الفنون والتربية «المدرسة مصنع لإنتاج المتعلمين، الفصول، الأفواج... إلخ».

وأواسط القرن العشرين بدأت في الظهور موجة ثالثة بشرت بميلاد حضارة ما بعد الصناعة، حضارة عصر المعلومات، حضارة هذا القرن، التي يجري فيها غزو الفضاء واقتحام المحيطات واستعمال الإلكترونيات وسرعة الاتصال والانتقال، وسهولة ترابط العالم وتفاعله، وظهور أنماط جديدة من الحياة الاجتماعية والسياسية بدلاً من نمطية عصر الصناعة.

ومفتاح الحضارة الحديثة التعدد والتنوع والمرونة والقدرة على التركيب، وهي تحتاج إلى عقلية جديدة تستطيع التعامل معها، وتحتاج إلى تربية جديدة وإلى تعليم لعصر المعلومات

بدلاً من تعليم الصناعة والزراعة^(١٣).

وغدا العقل البشري هو العنصر الحاكم في الثورة الصناعية الثالثة وثورة الإلكترونيات والمعلومات والشابكة «الإنترنت» بعد أن كان التجار ورأس المال حاكمين للثورة الصناعية الأولى، وبعد أن كانت الطاقة والإدارة الحديثة حاكمين للثورة الصناعية الثانية.

وإذا نظرنا إلى واقعنا العربي فإننا نلاحظ أن استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي قد أشارت إلى الهوة بين الوطن العربي وامتلاكه للقدرة العلمية والتقانية، إذ إن البلدان العربية لم تضع سياسات علمية وتقانية واضحة وشاملة، وما تزال الموارد التي تخصصها لأنظمة العلوم والتقانة محدودة نسبياً من حيث الكم (الإنفاق)، ومن حيث النوع (التأهيل والتدريب)، كما أن أنشطة العلم والتقانة العربية نشأت وتوسعت تحت ضغط الطلب الاجتماعي والمحاكاة السطحية لأنشطة العلم والتقانة في الدول المتقدمة، ولكنها لم تتطور مع تطور تلك الأخيرة، وكان ارتباط أنشطة العلم والتقانة بالحاجات الاقتصادية الفعلية ضعيفاً، وما تزال البيئة الاجتماعية والاقتصادية غير قادرة على التفاعل الشديد مع العلوم والتقانة، وما تزال التبعية التقانية متسارعة^(١٤)، ذلك لأن امتلاك ناصية العلوم والتقانة يحتاج إلى بناء منظومة متكاملة ومتناسقة للعلوم والتقانة مرتبطة بالمنظومات الأخرى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها ولاسيما التنمية الصناعية وما تطرحه من وسائل.

ولم تتمكن الجامعات العربية ومراكز البحوث من استنبات العلم عربياً، إذ إن

(١٣) الدكتور نبيل نوفل - تأملات في مستقبل التعليم العالي العربي - مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية - القاهرة ص ٣١.

(١٤) نقلاً عن مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية - مرجع سابق ص ٥٤.

جامعاتنا في الوطن العربي ما تزال في مناهجها ونظمها مقلدة ومقتبسة، كما أن ما ينفق على البحوث العلمية ما يزال في أدنى نسبة مقارنة بما ينفق على البحث العلمي في الدول المتقدمة وحتى في دول نامية.

٥- الاستلاب الثقافي والهيمنة الأجنبية

إن سرعة التقدم في أنظمة الاتصال الدولي والمواصلات وتطور أنظمة المعلومات والأقمار الصناعية زاد من سرعة الانفتاح العالمي والتعاون الدولي مما جعل العالم يتجه نحو التوحد والتكامل كما حصل في أوروبا، وقد أصبح العالم بفضل ثورة الاتصالات والمواصلات قرية صغيرة في خريطة الكون، وأصبحت الهيمنة الثقافية من الدول القوية على البلدان النامية أمراً محققاً.

وفي ظل هذا التطور تحولت التربية من شأن مجتمعي محدود إلى قضية كلية أو عالمية وإلى شأن دولي، وأخذت كبرى منظمات الأمم المتحدة «البنك الدولي، اليونسكو، اليونسيف، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي» على عاتقها تكوين تحالف دولي من أجل التربية للجميع.

وتجدر الإشارة إلى أن الصناعات الثقافية بأشكالها المختلفة تمثل غزواً اقتصادياً للوطن العربي فضلاً عن الغزو الثقافي الفكري. وتنتشر السلع الثقافية الأجنبية انتشار النار في الهشيم في أوساط الشباب بصورة خاصة، ولا تمثل الصحف والدوريات والكتب إلا جانباً ضئيلاً من هذه السلع. أما كثرتها الكاثرة فتتجلى في الأفلام السينمائية وفي أدوات الموسيقى من أشرطة وأسطوانات وآلات وغير ذلك من أجهزة الفيديو والتسجيل وأجهزة التصوير المتطورة، فضلاً عن اللُّعب الخاصة بالأطفال والشباب ولاسيما الإلكترونية

منها^(١٥).

ويمثل هذا الغزو للمنتجات الثقافية تهديداً حقيقياً للوطن العربي اقتصادياً وفكرياً فضلاً عن تأثيره في أنماط السلوك وخاصة عبر القنوات الفضائية، إذ تسرب تمجيد العنف واستشارة الغرائز والشهوات وظهور خزعبلات، وما قضية عبدة الشيطان عنا ببعيدة.

ولقد صرنا في الإعلام نظاماً تابعاً، وبشكل أو آخر واكب نظام الإعلام العالمي عقولنا واستلبنا إليه، فما من صانع قرار عربي إلا ويجلس أمام «C.N.N» عندما تنقل حدثاً معيناً، أو عندما يرغب في تعرف أخبار معينة، ويستمع إلى ما تبثه الإذاعات العالمية عن وطنه أكثر مما يستمع إلى الإذاعات المحلية، ويثق بالإذاعات الخارجية أكثر مما يثق بإذاعته^(١٦).

ومن الملاحظ أننا مصابون على نطاق الساحة العربية بعقدتي التصاغر والتكابر، التصاغر تجاه كل ما هو أجنبي، والتكابر تجاه الثقافة العربية الإسلامية، مما يشكل خطراً كبيراً على الهوية الثقافية العربية، ويعمل على خلخلة الانتماء.

٦- البيئة وتلوثها

ومن التحديات التي نواجهها الاختلال في التوازن البيئي وتدهور الأرض المزروعة وزيادة التصحر وتزايد حدة أزمة الموارد المائية، حتى إنه يقال إن الحروب القادمة سوف تكون على توفير المياه، إضافة إلى تزايد انقراض بعض الحيوانات والنباتات وإلى تلوث الماء والهواء والنبات وازدياد نسبة الضحيج في العالم، والتلوث بالمواد الكيماوية

(١٥) الدكتور محمود السيد- تعليم الكبار وتحديات القرن الحادي والعشرين- مرجع سابق

ص ٢٢.

(١٦) محمد حسنين هيكل- مجلة الوطن العربي- العدد ١٠٣٧ تاريخ ١٧/١/١٩٩٧ ص ٨.

والنفايات النووية وسواها، ومشكلات المناخ الناجمة عن التلوث وعن ثنائي أكسيد الفحم بوجه خاص، ويشمل ذلك ازدياد حرارة القشرة الأرضية وارتفاع مستوى البحر... إلخ.

وفي الجانب الاجتماعي من البيئة تواجه البشرية عدة مشكلات اجتماعية متوارثة أو طارئة وخاصة ما يتعلق منها بنوعية العلاقات الأسرية واختلال توزيع الثروة، وزيادة سكان المجتمعات الفقيرة وزحفهم على المناطق الأخرى الثرية، وما يرتبط بذلك من هجرات محلية وضغط المجتمعات الفقيرة على الأكثر ثروة، وقصور التوازن والسواء النفسي مصطحباً بمشاعر فراغ روحي ومزيد من الإحباط والإحساس بالاضطهاد، وما يصاحب ذلك من ازدياد في العنف وانتشار المخدرات وأمراض نقص المناعة «الإيدز» و«أنفلونزا الخنازير»... إلخ.

وتتجلى المشكلة البيئية في الوطن العربي في استنزاف الموارد المائية وعدم كفاية إدارة مياه الصرف والنفايات الصلبة وتلوث الجو في المناطق الحضرية، وزيادة التصحر، وانحسار الغطاء النباتي، وانقراض العديد من النباتات والحيوانات، فضلاً عن التلوث بالمواد الكيماوية، وتلوث الجو بثنائي أكسيد الفحم، وجفاف العديد من الأنهار، وتحولها إلى بحار لفضلات... إلخ.

وإذا لم توجه الجهود بواسطة المؤسسات التعليمية إلى توعية الناس، وتكوين الاتجاهات الإيجابية لديهم، ودفعهم إلى حماية البيئة والحد من تلوثها، فستكون النتائج السلبية كبيرة وضخمة.

وسوف تزداد بعض المشكلات العالمية تفاقماً من مثل التلوث البيئي بشقيه المادي والمعنوي مع ازدياد الإرهاب والمخدرات والفقير، وفي مشكلات تتجاوز قدرة الدولة الواحدة على التصدي لها بعد أن أصبحت مشكلات عالمية.

٧- الأمن الدولي وحقوق الإنسان

على الرغم من المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان وسلامة البشر ما تزال انتهاكات حقوق الإنسان والمجتمعات تتفاقم في ظل الاحتياج المادي وانحسار القيم المعنوية.

ومع أننا نلاحظ حالياً أن مفهوم الأمن الدولي قد تغير إلى الدعوة إلى حل المنازعات سلمياً وعن طريق التفاوض والحوار، ما يزال منطق القوة هو السائد عالمياً، وما تزال شريعة الغاب هي المسيطرة.

وعلى الرغم من التوقيع على معاهدات واتفاقيات كثيرة لنزع السلاح النووي وتحطيم أسلحة الدمار الشامل «نوويًا وكيميائيًا وبيولوجيًا»، وخفض موازنات التسلح، سواء في الدول النامية التي تحتاج إلى أن توجه مواردها لأنشطة التنمية للتخلص من براثن الجهل والفقر والمرض، أو في الدول المتقدمة التي يمكنها أن توجه بعضاً من هذه الموازنات إلى أنشطة للتعاون الدولي لمساعدة الدول النامية والهيئات الدولية المعنية بالتنمية الدولية^(١٧)، ما يزال الرأي العام العالمي خاضعاً لهيمنة قوى الدول العظمى وخاصة أمريكا، وما تزال المعايير المزدوجة نافذة على النطاق العالمي تجاه كثير من القضايا ومنها قضية الصراع العربي الإسرائيلي، حيث تقف أمريكا إلى جانب الجلاد في مواجهة الضحية، وغدا من يدافع عن أرضه المحتلة إرهابياً في نظر هؤلاء.

وعلى الدول النامية في الوقت نفسه أن تعيد النظر في أولويات التنمية والاستثمار في ظل الأمن الدولي كي تتخلص من مظاهر التفسخ الاجتماعي

(١٧) محمد عزت عبد الموجود- أمريكا عام ٢٠٠٠ استراتيجية للتربية- جامعة قطر- مركز

البحوث التربوية- الدوحة ١٩٩٢ ص ٦٥.

والحروب الأهلية والقبلية والخلافات العرقية، وتوجه مواردها البشرية والمادية إلى أنشطة التنمية الحقيقية انطلاقاً من أن الإنسان هو غاية الحياة وهو وسيلتها في الوقت نفسه. وتجدر الإشارة إلى أن حضارتنا العربية الإسلامية تتسم باحترامها القيم الإنسانية، وتقدر الإنسان أياً كان، وهي حضارة سلام وتعاون إنساني، تكره العدوان، وتمقت الاستغلال، وتنبذ التطرف والإرهاب، وتريد الخير والهناءة للإنسانية جمعاء.

٨- التحدي الصهيوني

وهو تحد عالمي انطلاقاً من طبيعته وجبلته، إنه تحد قائم على العدوان، والصراع معه ليس صراعاً على الحدود، وإنما هو صراع على البقاء والوجود، ذلك لأنه يروم انحناء الهوية العربية والذاتية الثقافية لأمتنا العربية والسيطرة على مقدراتها وإمكاناتها المادية والهيمنة عليها في ضوء منطق القوة. وما امتناع إسرائيل عن التوقيع على اتفاقية نزع السلاح النووي، ومنعها عن إعطاء الفلسطينيين حقوقهم المشروعة في إقامة دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وامتناعها عن الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة في الجولان وجنوب لبنان، وامتناعها عن تحقيق السلام الشامل والعدل، وعدم انصياعها للشرعية الدولية وقرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة، وإمعانها في فرض الحصار على قطاع غزة والتعرض لقوافل الحرية الرامية إلى فك الحصار عن غزة، والاستمرار في بناء المستوطنات، ما ذلك كله إلا أمارات جلية وواضحة على طبيعة الكيان الإسرائيلي في عدوانيته ومحاربه للسلام.

ثالثاً- صوى لمواجهة التحديات

بعد أن تعرفنا التحديات الرئيسية التي يواجهها التعليم العربي في الألفية الثالثة بات لزاماً علينا أن نسأل: كيف نواجه هذه التحديات؟ وما السبل لهذه المواجهة؟ يمكن رسم بعض الصوى لهذه المواجهة متمثلة في:

١- التركيز على التربية المستقبلية: أكد «توفلر» في كتابه «مدارس المستقبل» و«صدمة المستقبل» وفي كتابه «الموجة الثالثة» أن دراسة المستقبل أساسية لفهم الحاضر وإدارة أزماته، ودعا إلى تغيير جذري في أهداف التعليم ومضامينه لتعليم الإنسان كيف يفكر وليس فيما يفكر، ويتعلم كيف يتعامل مع التغير السريع وما يصاحبه من غموض وعدم وضوح بل وفوضى في بعض الأحيان. ويقول «توفلر»: «في العالم التقني الجديد سوف تتعامل الآلات مع المواد في حين يقتصر تعامل الإنسان مع المعلومات والأفكار»^(١٨).

والسؤال الذي يمثل أمانا: ما سمات التربية المستقبلية التي ينبغي للنظام التعليمي العربي أن يأخذ بها لمواجهة التحديات؟

إن التربية المستقبلية المرجوة هي:

- تربية تغيرية لا دائمة في ركودها.
- تربية إبداعية لا تربية الذاكرة وحدها.
- تربية حوارية لا تلقينية.
- تربية ديمقراطية لا تسلطية مستبدة.
- تربية انفتاحية لا انغلاقية.
- تربية تقانية لا يدوية.
- تربية تعاونية لا فردية.
- تربية مستمرة لا آنية وقتية.
- تربية منظومية متكاملة وشاملة لا جزئية ضيقة.

(١٨) جون لو- تعليم الكبار «منظور عالمي»- المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي

- تربية علمية عقلانية ناقدة لا تربية النقل والتسليم.
- تربية توقعية لا عشوائية.
- وأن التعليم والتعلم في المستقبل يجب أن يقوموا على أساس:
- البحث العلمي
- التفكير الناقد
- عدم التسليم بموروثات الماضي كافة
- احترام الإنسان
- الانتقال من التعليم إلى التعلم
- البحث مكان النقل
- الحوار بدلاً من الاستماع
- القدرة على الاختلاف والحوار بدلاً من التسليم بالأفكار - والمعلومات والمعتقدات السائدة.
- التركيز على كيفية التعلم.
- التركيز على استمرار التعلم وديمومته.

٢- مواكبة عصر العلم والتقانة: إننا نواجه مستقبلاً يحتاج إلى درجة رفيعة من التعليم، ذلك لأن حضارة المستقبل تتطلب جماهير لا يقف بها تعليمها وثقافتها عند حد محو الأمية «الذي لم ننجح حتى الآن في تحقيقه»، ولا يقتصر على التعليم الأساسي الذي لا يستوعب كل الملزمين، بل يفوق هذا بكثير، بحيث تُمحى الأمية تماماً، وتصل غالبية الجماهير إلى نهاية التعليم الثانوي، ويحصل ثلثها على الأقل على تعليم عال.

وسوف يتمكن الكبار الذين يريدون مواصلة تعليمهم النظامي من تحقيق

أهدافهم وهم في منازلهم بدرجة كبيرة، وسوف يترددون على المعاهد والمؤسسات التعليمية من وقت إلى آخر للاشتراك في المناقشات الجامعية أو استعمال الأجهزة العلمية أو استشارة الأساتذة والخبراء، ولكن معظم حاجاتهم التعليمية يمكن إشباعها بطريق شاشة الجهاز الموجود في المنزل وما يتصل به من أجهزة أخرى «الحاسوب، التلفاز، الفيديو، الهاتف» وسوف تمثل هذه البرامج شبكة معلومات واتصالات بين المتعلم الكبير ومصادر التعلم.

وسوف يستعمل المعلمون العاملون في برامج التربية المستمرة أجهزة اتصال تربطهم بطلابهم بحيث يقدمون لهم عن طريقها المواد التعليمية ويراقبون تقدمهم، ويقومون أعمالهم من وقت إلى آخر.

إن طبيعة العصر الحاضر تستلزم إكساب المتعلمين مهارات التعامل مع التقانة في البيت والمكتب وفي سائر مرافق الحياة، إذ لم يعد الأمي شخصاً لا يعرف القراءة والكتابة، وإنما هو من لا يحسن التعامل مع معطيات التقانة من حاسوب وشابكة «إنترنت» وغير ذلك.

٣- مواكبة التدريب المستمر: تتصف الأقطار العربية بالكثرة النسبية للعاملين في الوظائف الديوانية والمكتبية وزيادة نسبة العمال غير المهرة في أعمال الإنتاج والتشغيل، ويعد نقص العمالة الماهرة أحد الاختناقات الهامة في جهود التنمية في الأقطار العربية كافة، وما يزال التدريب على المستويات القطرية والقومية عاجزاً عن سد الفجوة بين الحاجات والعرض.

ويتسم الأداء الاقتصادي للقوى العاملة العربية بانخفاض الإنتاجية انخفاضاً كبيراً، خصوصاً إذا قيس بإنتاجية العمال في البلدان المتقدمة، وتشير بعض التقديرات إلى أن إنتاجية العامل العربي لا تتجاوز في أحسن الأحوال ١٥٪ من إنتاجية العامل الياباني، وقد تهبط في بعض البلدان إلى نحو ٧٪ أو أقل.

وتحدر الإشارة إلى أن ضعف الإنتاجية يرجع إلى عوامل عديدة أهمها مؤهلات القوة البشرية ومهاراتها وطبيعة التقنية والقيم والعادات ولاسيما المتصلة منها بسلوكيات العمل والإحساس بالانتماء والمشاركة ومدى كفاية الإدارة في النشاط الاقتصادي. ويستلزم الوضع تطوير القدرات والمهارات تطويراً يستجيب لخطط التنمية في المجالات المختلفة، وتوليد أجواء اجتماعية وثقافية جيدة، فالتدريب المستمر هو الذي يساعد على مواجهة تحديات التفجر المعرفي والتغيرات السريعة المتلاحقة.

٣- التربية لتحقيق القوة المادية والمعنوية: انطلاقاً من الحديث النبوي

الشريف «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف». واستناداً إلى ما تعززه شريعة الحياة من حيث إن البقاء للأقوى، ومُباشرةً لروح العصر الذي لا يقيم وزناً للضعفاء بل يرضخ للأقوياء، كان لابد من أن يعنى نظام التعليم العربي بتربية أبنائه على القوة بوجهيها المادي والمعنوي، ذلك لأن الحق إن لم تسنده القوة يظل هشاً وقابلاً للانكسار في أي لحظة، وليست العبرة في كثرة العدد والعتاد وإنما العبرة في البشر، فإذا كانوا أقوياء في نفوسهم ومعنوياتهم كانوا مرهوبي الجانب، وإن كانوا ضعافاً في نفوسهم ومعنوياتهم ألقوا الهزيمة بآمتهم ولو كانوا يملكون أمضى الأسلحة. والقوة المنشودة في هذا المجال هي القوة التي تعيد الحق إلى أصحابه، ولا تروم العدوان، وإنما ترد الظلم عن أبناء الأمة، وتحمي الحمى، وتنتصر للقضايا العادلة في كل مكان في هذا العالم.

٤- التربية لتحقيق السلام العادل: إذا كانت الحروب تُصنع في عقول البشر

فإن السلام يصنع هو الآخر في عقول البشر كما جاء في ديباجة إعلان اليونسكو، والتربية مسؤولة عن بناء صروح السلام في عقول الناس ووجداناتهم وسلوكياتهم، إذ إن حياة البشرية في وئام وسلام مطلب أساسي في عالمنا، والسلام المنشود هو السلام الشامل والعادل الذي يعطي لكل إنسان حقه في العيش والحياة العزيزة الكريمة بلا

استغلال ولا عدوان، وهذا ما تنشده الأمة العربية في صراعها مع عدوها، إنها ترفض الاستسلام والمذلة والهوان، وتروم السلام العادل الذي يرد الحق إلى أصحابه، وينأى عن الاستغلال والاستعباد والهيمنة والتهديد والعدوان.

٥- التربية على الديمقراطية وحقوق الإنسان: إن طبيعة الحضارة الإنسانية منافرة للاستعباد، وميَّالة إلى إشاعة الروح الديمقراطية في مناحي الحياة كافة، وبقدر ما يُعنى التعليم بترسيخ القيم الديمقراطية ومبادئها في أركان منظومته يكون ذلك أمانة على النهوض والارتقاء.

ومن الملاحظ أن التربية العربية في البيت أو في المدرسة أو في المجتمع هي تربية متسلطة، وهذه التربية المتسلطة تحول دون الإبداع والابتكار، ولا سبيل أمامنا إلا الأخذ بالمبادئ الديمقراطية من حيث منح الحرية في التعبير والحركة والرأي، وتمجيد العمل والتعاون والتدريب على مهارتهما، والتدريب على النقد والنقد الذاتي، وعلى مهارات التفكير العلمي الناقد البناء.

والتربية على حقوق الإنسان من الأهمية بمكان، لأن هذه التربية تعمل على توعية الإنسان بحقه وعياً كاملاً، ويدفعه هذا الوعي إلى حمايته والدفاع عنه، ذلك لأن الوعي الصحيح لحقوق الإنسان هو الكفيل بالتأثير في العقليات والسلوك والممارسة، إذ إن من يتعرف حقوقه يصبح أكثر حرصاً على احترام حقوق غيره، كما أن المعرفة الجماعية لحقوق الإنسان تمثل أضمن درع يقي من مخاطر الانتهاكات^(١٩).

وإن معرفة الإنسان بحقوقه الأساسية مقدمة ضرورية نحو تمسكه بها، وتمسكه بهذه الحقوق هو الشرط الضروري لوقف انتهاكها.

(١٩) الدكتور محمود السيد- التربية على حقوق الإنسان في الجامعات العربية والمعاهد

المتخصصة- المعهد العربي لحقوق الإنسان- تونس ١٩٩٥.

٦- التربية السكانية والصحية: مادامت المسألة السكانية تحدياً كبيراً على المستويين العالمي والعربي، فلا بد من التربية على فهم الظواهر السكانية، وتعرف الآثار المترتبة على التفجر السكاني، وتكوين الاتجاهات السليمة نحو تنظيم الأسرة وإقامتها على دعائم التفاهم والعفة تجنباً للأمراض التي أفرزتها الحياة المعاصرة كالإيدز وغيره.

٧- التربية البيئية: إن اختلال النظام البيئي وعدم التفاعل الرشيد مع البيئة وتلوثها من التحديات التي يواجهها البشر في عالمنا. ومن هنا كان لا بد من أن تعمل التربية البيئية على غرس المفاهيم والتوعية، وأن تكون الاتجاهات الإيجابية في التعامل مع البيئة والحد من تلوثها.

٨- التربية على التفاهم والتعددية الثقافية ضمن الكل الواحد: وهذا ما انتهجته حضارتنا العربية الإسلامية، إذ ما من حضارة حافظت على التعددية الثقافية، وصهرت أنماط الثقافة وضروبها في بوتقتها كحضارة الأمة العربية الإسلامية، فاحترمت ثقافات الأمم من فرس وهند ورومان، وأخذت من علوم هذه الأمم بعد أن شجعت الترجمة عنها، ثم أسبغت على ذلك كله الطابع العربي، فجاء الفكر عربي الطابع والسمات.

وفي حياتنا المعاصرة، على التربية العربية أن تحترم ثقافات الأقليات الموجودة على الأرض العربية، وأن تعقد حواراً معها، على ألا يكون ذلك على حساب الثقافة الموحدة ولغتها الموحدة، إذ إن التنوع الثقافي ضمن الكل الواحد الموحد أمر لا خوف منه، أما الخوف فيجاء من أن يكون ذلك على حساب الكل، وهذا ما يؤدي إلى الانفصال وعدم التناغم الثقافي.

٩- التربية على تعزيز الهوية والانتماء: إذا كنا نعاني اليوم من كثير من مظاهر

الاستلاب تجاه الغرب فلأننا نأخذ منه النتائج والثمرات ونُعرض عن المبادئ والأسس، ونستورد منه لنستهلك وليس لنغرس ونستنبت، ومن البدهي أن عملية الغرس والإنبات تتوقف على إعداد التربة الصالحة، والتربة الصالحة لا تستورد.

ومن هنا كان على نظام التعليم العربي أن يعمل على تعزيز الهوية العربية والانتماء القومي أمام السيل العارم من التيارات الفكرية التي تتصارع على خريطة العالم، وأن تتضافر الجهود على الساحة العربية لإيجاد برامج بديلة تَبْنِيُها القنوات الفضائية، برامج تؤكد الهوية الثقافية العربية في جميع مناحي العملية التربوية، وتعزز القيم الروحية المستقاة من تراث أمتنا^(٢٠).

وإن الحرص على تعزيز القيم الروحية والمثل الأخلاقية وتمجيد قيم العمل في البرامج البديلة يعمل على التصدي للآثار السلبية للبرامج المبتوثة الزاخرة بالتيارات المادية والتحديات والتناقضات التي تهدد العافية الروحية لأمتنا وللمجتمع الإنساني بأسره.

وقد حددت لنا الخطة الشاملة للثقافة العربية التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدور الذي ينبغي أن يضطلع به النظام الثقافي العربي عامة وضمنه النظام التربوي في حياتنا بحيث يتضمن بالضرورة:

أ- زرع الثقة والأمل في الجماهير العربية مجدداً بعد ما أصابها من الهزائم والنكبات والإحباطات ما أصابها، إذ من غير الثقة بالذات والأمل في الغد لا يمكن عمل شيء لإخراج هذا الوطن العربي من واقعه الحالي.

ب- وضع الأسس الفكرية الحضارية النوعية التي تحتاج إليها هذه الأمة دون التفریط

(٢٠) الدكتور محمود السيد- دور التربية في مواجهة الآثار السلبية المتوقعة للبث التلفزيوني الأجنبي

المباشر- مجلة الرافد بالشارقة- العدد السابع أبريل ١٩٩٥ ص ٣١.

بالتقييم الروحية والقومية والإنسانية التي تصوغ ذاتها وهويتها وتغني عطائها الحضاري.
ج- إعادة تأكيد المحاور الأساسية والأهداف الكبرى للأمة العربية، والتي دار حولها نضال جماهيرها منذ عصر النهضة وهي:

- الاستقلال والتحرر في مواجهة الهيمنة الأجنبية والاستلاب.
- الوحدة العربية في مواجهة التجزئة الإقليمية الضيقة.
- الديمقراطية في مواجهة الاستبداد.
- العدالة الاجتماعية في مواجهة الاستغلال.
- التنمية الذاتية في مواجهة التخلف أو النمو المشوه.
- الأصالة في مواجهة التغريب والتبعية الثقافية^(٢١).

وإذا كنا قد لاحظنا في السنوات الأخيرة أن ثمة من وجّه إلى العروبة والتيار القومي مسؤولية ما أصاب الأمة من نكسات، فإن المسؤول عن ذلك إنما هو انحسار المد القومي، وليست العروبة رداءً نرتديه ساعة نشاء، ونخلعه ساعة نشاء، إنها هويتنا، ولون عيوننا، وكياننا ودمنا. حملت راية الإسلام فحلّق بها في مدارج الرقي والإنسانية، وعلى نظامنا التعليمي العربي أن يعزز هذه الهوية استناداً إلى ماضٍ مجيد، وإسهام كبير في مسيرة الحضارة الإنسانية.

١- التربية على دعم مسيرة التغريب: تعد اللغة العربية محور الثقافة العربية وعنوان هويتها وذاتيتها الثقافية، والمقوم الأساسي للأمة العربية، وهي العنصر الأساسي في استمرار الثقافة العربية لأنها مستودع تراث أمتنا العربية الإسلامية بما تحمله في طياتها من خبرات وفكر ومضامين. عبّرت عن العرب في مواضي الحقب نزوعاً وفكراً وتوجهاً وتاريخاً وقيماً وعاداتٍ وتقاليدٍ وأعرافاً، ووحدت بينهم وما تزال

(٢١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة الشاملة للثقافة العربية- تونس ١٩٩٠.

الرباط الموحد والموحد، وكانت أمينة على حفظ التراث، وهي الطابع المميز لهوية أبناء الأمة وجامعة كلمتهم ولغة قرآهم الكريم، الذي أنزله الله بلسان عربي مبين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ آية لنبوته، وتأييداً لدعوته، ودستوراً لأمته، ولولا ذلك الكتاب العربي المبين لكان العرب بدداً.

ولغتنا العربية لغة حية متطورة، ولديها القدرة على استيعاب مقتضيات العصر ومستلزماته بكل سهولة. ومن هنا كان الحفاظ على سلامتها يعد من الضرورات القومية وأحد مستلزمات صيانة الذاتية الثقافية بما يتطلبه هذا من الحفاظ على التراث والاعتزاز بالمشرق منه من ناحية، ومسايرة عوامل التطوير والتحديث من ناحية أخرى، وهو مسؤولية مشتركة بين النظام التربوي والثقافي والإعلامي.

فعلى النظام التعليمي العربي أن يعزز مكانة اللغة العربية في المناهج التربوية سيرورة على ألسنة المدرسين كافة، وعلى ألسنة المتعلمين في الوقت نفسه، وعدم التساهل في هذا المجال، كما أن عليه أن يحول دون استعمال العامية في جميع الأنشطة الصفية وغيرها، لأن العامية عامل تفريق على حين أن الفصيحة عامل توحيد، كما أن عليه أن يحول دون استبعاد العربية للتدريس باللغة الأجنبية مكانها في الكليات العلمية في الجامعات العربية، وأن يعزز التدريس باللغة العربية في جميع ميادين المعرفة، وله بالتجربة السورية القدوة والمثال الحي على قدرة لغتنا العربية على مواكبة روح العصر. ولا يظنّ أحد أننا ندعو إلى عدم تعلم اللغات الأجنبية، بل على العكس إن في إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية خدمة للعربية أيضاً.

وعلى النظام التعليمي أن يسهم مع الجهات المعنية في نقل أمهات الكتب والمراجع من اللغات الأجنبية إلى العربية إغناء للثقافة العربية وإطلاعاً للأجيال على ما ينتجه الفكر البشري أئى كان.

ويتطلب هذا من النظام التعليمي العمل على تيسير اللغة المستعملة في أثناء عمليات التواصل، كما يتطلب منه البت في موضوع يتعلق بهوية هذه الأمة ألا وهو التعريب، ذلك أننا بعض جامعات وطننا العربي لاسيما الخاصة منها ما تزال تستعمل اللغة الأجنبية في التدريس خلافاً لبديهيات الأمور، وتحدياً صارخاً للهوية القومية، إذ إننا لا نعرف بلداً واحداً في غير وطننا العربي أقدم أو حتى فكر، أو عمل على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير اللغة القومية من فرنسا إلى الصين واليابان والبرازيل وكوريا وألبانيا والمجر وفيتنام... إلخ.

ولم تُحل صعوبة الكتابة في اللغة الصينية أو اليابانية أو الفيتنامية، ولم يُحل صغر حجم بعض الدول الأوروبية، ولا فقر بعض دول آسيا ولا موات اللغة العبرية على مدى عشرين قرناً، لم يحل ذلك كله دون أن تكون اللغة القومية هي لغة التدريس في هذه الأماكن كافة^(٢٢).

٢- التربية على الجمع بين الأصالة والمعاصرة: إن تراث أمتنا العربية تراث غني يمثل ماضياً حياً لأنه إنساني في قيمه وفضائله ومناهجه ومواقفه، وقد استمد مصدره من أصول العقيدة الإسلامية، وأسهمت فيه حضارات وعبقريات من سائر الأمم والشعوب، وهو موجه إلى الإنسانية جمعاء، وهو تراث حي لأنه ظل سارياً موصولاً من جيل إلى جيل متغلغلاً في النفوس، وقد أعان بقيمه ومثله الأمة على الصمود برغم كل الغزوات والنكبات التي داهمت أقطارها، وهو تراث حي لأنه قابل للتطور، صالح للبقاء، يقوم على أشرف ما يتميز به الإنسان، عقليه وضميره، ويدعو إلى الإخاء والمساواة في الإنسانية، وهي القيم التي ينشدها العالم حالياً، وكان تراثنا

(٢٢) الدكتور محمود أحمد السيد - في قضايا التعريب - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - المركز

سبأفاً إليها من قبل^(٢٣).

وإذا كانت استراتيجية تطوير التربية العربية تعزز الجمع بين الأصالة والمعاصرة فإنها تعني بالأصالة اختيار ما في التراث من نماذج وأصول اختياراً قائماً على الفهم والتمحيص والنقد، وعلى ما تنطوي عليه من الإبداع والابتكار، وعلى ما تدل عليه من ذاتية ثقافية الأمة وذاتية العبقريات التي أسهمت في تطور هذا التراث في مجالات الفكر والثقافة أو في مجالات العلم والفلسفة، أو في مجالات السياسة والإدارة، وجوهرها تأكيد خصائص الإبداع والابتكار وذاتية الثقافة وتميزها واتصالها بعراقة الأمة في ماضيها الحي واستمرارها في التعبير عن شخصيتها في مستقبلها.

كما أن المعاصرة لا تعني احتذاء الثقافة الغربية والإقبال عليها، والاقتراب منها، وإنما حسن الاختيار والمفاضلة بين عناصرها والتميز بين الحسن والسيئ وعدم الوقوف عندها، بل جعلها منطلقاً إلى الإبداع والابتكار بنماذج فيها تعبير عن ذاتية الأمة وتأسيس لثقافتها.

وها هي ذي تجربة اليابان ماثلة أمامنا في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، فقد حاول اليابانيون منذ هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية أن يعيدوا بناء أمتهم على أسس راسخة من العلم والتقانة «التكنولوجيا» فنظروا إلى تعليم من هزمهم في تلك الحرب ليعرفوا سر تفوقهم، ويفطنوا إلى عناصر القوة في بنائهم التعليمي الذي كان وراء ذلك الانتصار، ثم نظروا إلى أنفسهم وإلى تقاليدهم العريقة وقيمهم الراسخة والتي من أهمها احترام البناء الأسري، وتقديس العمل، والإنتاج بروح الجماعة والفريق، وحب الوطن، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والانضباط في أثناء التغيير، واستطاعوا

(٢٣) الدكتور محمود أحمد السيّد- التراث العربي بين الماضي الحي والغد المنشود- مؤتمر مجمع اللغة

العربية بدمشق «نحو رؤية معاصرة للتراث»- تشرين الثاني ٢٠٠٩.

توظيف هذه السمات الأساسية في الثقافة اليابانية ومزجها بعناصر القوة في نظام التعليم الأمريكي، وهو النظام الذي اخترع السلاح النووي الذي دمر ناجازاكي وهيروشيما، ولم تر اليابان غضاضة في أن تتعلم دروساً في التعليم من أعدائها، وتذكرت مرسوم زعيمها «طوكوجاوا» الذي قال: «إن تعلم فنون السلام يعد مساوياً تماماً لتعلم فنون القتال»، وأوفت بعهد إمبراطورها «ميحي» الذي قال: «إن المعرفة سوف نبحت عنها ونقتفي أثرها في كل أنحاء العالم»، فجاءت التجربة اليابانية بتجربة رائعة ورائدة، وهي تجربة جعلت من اليابان قوة اقتصادية وتقانية «تكنولوجية» هائلة بعد أن خرجت من الحرب العالمية الثانية إمبراطورية منهارة وأمة خاسرة ودولة ممزقة الأوصال^(٢٤).

وإذا كنا في أمتنا العربية نعمل على الأخذ بهذا المنحى في الجمع بين الأصالة والمعاصرة وفي الحفاظ على الهوية الثقافية العربية فإن عملية الحفاظ على الهوية لا تنفي أهمية الانفتاح على المواد الثقافية الإيجابية في الثقافات الأخرى، إغناءً للثقافة العربية في إطار من التوازن، كما أن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود في إطار من الموروث القديم، بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتغير ويتطور دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يتقبل التغيير دون أن يغترب فيه، إنه التفاعل بين الأصالة والمعاصرة، والتفاعل بين الإيجابي البناء من الثقافات الأخرى وما يتفق مع مناخنا وأرضنا وترتبتنا.

رابعاً - خلاصة القول

وخلاصة القول أن النظام التعليمي العربي ما هو إلا واحد من أنظمة متعددة في المجتمع يتبادل التأثير فيها والتأثر بها، فإذا زُمننا إصلاحه وتطويره ليواجه التحديات

(٢٤) الدكتور محمود أحمد السيد - في قضايا الثقافة - مطبعة العجلوني - دمشق ٢٠٠٢ ص ٤٧.

المحيطة به، فما علينا إلا أن نأخذ بالحسبان تلك الأنظمة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ضمن نظرة كلية شاملة، ذلك لأن الأمر التربوي أمر مجتمعي.

وإذا بقينا ننظر إليه في عملية الإصلاح والتطوير في معزل عن بقية الأنظمة كنا كمن يطرز على ثوب خلق، وإذا ظلت كل هذه التحديات والمشكلات دون حل على المدى القصير فستظل الفجوة قائمة بينه وبين التنمية وبينه وبين التغيرات العالمية المتلاحقة والسريعة، وسيؤدي ذلك كله إلى ترسيخ الشعور بالارتياح والتشاؤم لدى أجيال المستقبل، ذلك لأن آمال المجتمعات، ولا سيما آمال الشعوب في حياة أكثر كرامة وديمقراطية ورخاء ترتبط بالتنمية التي تعد الأداة الرئيسية لتنمية البشر.

وتجدر الإشارة إلى أن المعلمين بناء الأجيال لا بد من أن يعاد النظر في واقعهم المادي والمعنوي إذا أردنا تنفيذ الاستراتيجيات التربوية والسياسات المرتبطة بها والخطط الموضوعة في ضوءها، وأن أي إصلاح لمضامين المناهج التربوية وطرائق التدريس وأساليب التقويم والإدارة التربوية سيبقى مآله إلى الإخفاق إن لم يواكبه في الوقت نفسه إعدادٌ كفيٌّ للمعلمين، وتأهيلٌ يواكب التطورات العالمية، وتدريب مستمر للارتقاء بمهاراتهم، وتعزيز لمكانتهم الاجتماعية التي تغيرت في ظل الاحتياج المادي، وهذا ما أُنْزِلَ سلباً في العملية التعليمية التعلمية، وأدى إلى عزوف الشباب عن الالتحاق بمهنة التعليم في كثير من الأحيان.

وإذا كانت مُحْرَجَات نظام التعليم العربي ليست على المستوى المطلوب والجودة المرغوب فيها، وخير شاهد على هذا القول ما نشهده على الساحة العربية من بطالة لدى المتخرجين، وعزوف من سوق العمل عن امتصاصهم، ومن هجرة لدى بعضهم، وهذا يدل على أن هذا النظام لم يفعل إلا القليل لمكافحة ظاهري البطالة والهجرة، فإن جودة التعليم والالتفات إلى جودته من جهة، والربط بين التعليم وحاجات سوق

العمل من جهة أخرى، يؤديان إلى الارتقاء بالواقع، على أن تكون المؤسسات التعليمية، وإن في التعليم العام أو الجامعي أكثر مرونة في مناهجها وأكثر قدرة على الاستجابة للمتغيرات والحاجات المستجدة في سوق العمل، وعلى أن يسهم رجال الأعمال في تدعيم برامج التدريب للخريجين، وأن يشجع التعليم في مواقع العمل، وأن يكون ثمة توسع في مجالات التعليم المهني والتدريب المهني، على أن يكون ثمة تعاون مع أرباب العمل في الإشراف على التدريب ووضع المناهج التي لا بد من تحديثها باستمرار في ضوء الاتجاهات المعاصرة بغية إكساب المتعلمين الكفايات والمهارات الضرورية للحياة وللتعلم المستمر مدى الحياة، ولن يتحقق ذلك لديهم إلا إذا كانت مؤسساتنا التعليمية بيئات صديقة للمتعلمين، جاذبة لهم في أنشطتها وفعاليتها من جهة، ومرتبطة بالبيئة والمجتمع ارتباطاً وثيقاً من جهة أخرى.

ولا يمكننا أن ننسى الدور الذي يؤديه البحث العلمي في معالجة المشكلات ووضع الحلول في منأى عن الانطباعات الذاتية والخبرات الشخصية، وأنه لا بد من تفعيله على نطاق الساحة القومية.

العربية هوية ونسب

د. مازن المبارك(*)

تتصف اللغة العربية بصفات تفرّدت بها من بين لغات العالم، وهي:

١- أنها أطول اللغات الحيّة عمراً، فهي اللغة التي ما زالت منذ عرفها العرب الأوّلون تجمع الأمة الناطقة بها إلى اليوم على تباعد شعوبها مكاناً، وامتداد تاريخها زماناً في وحدة منقطعة النظير. ولو أنصف العالم لآخذ من اللغة العربية مثلاً فريداً للغة لم يعرف العالم الإنساني مثلها في بقائها حيّة فاعلة على مدى نحو من ستة عشر قرناً أو يزيد! لو كانت العربية بمفرداتها أحجاراً كالمثابيل لعدّوها فريدة العصور ودرّة المتاحف فكيف وهي كائن حيّ متطوّر، عاش ومات نظراً وخلد وفني قرناً، وبقي وحيداً فريداً يحكي تجربة لم تعرف البشرية نظيراً لها في طول عمرها، وغنى مادّتها، وثناء ثقافتها، وإشعاع حضارتها وبقائها حيّة فاعلة.

٢- والصفة الثانية للعربية أنها ترتبط بكتاب إلهي لم ترتبط بمثله لغة أخرى من لغات العالم. فما من لغة ارتبطت بكتاب ديني مقدّس ارتباط العربية بالقرآن. فلقد شاءت إرادة

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

الله سبحانه أن تكون العربية صوت وحيه وحروف لغته في خاتمة رسالاته، بل أن تكون هي ثوب الإعجاز في كتابه الكريم، إنها كلام الله في كتاب الله، ورحم الله علامة الدير عطية وعابدها وعالم الشام الشيخ عبد القادر القصاب القائل عن ربه:

له كلام قائم بالذات بلا حروف وبلا أصوات

وصدق الله العظيم القائل في صفة كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ [سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وأنا لا أقول بتعليق «بلسان» بـ «المنذرين» وإنما هي عندي متعلقة بـ (نزل) ليكون المعنى: نزل به الروح الأمين بلسانٍ عربي مبين. وسنعود إلى تفصيل ذلك وبيان أثره فيما نحن بصدده من كون اللغة هُويّة للأمة.

٣- وأما الصفة الثالثة للعربية، فهي أنها لم توث لغة من اللغات ما أوتيته العربية من قدرة على جمع الأمة المؤمنة بها على اختلاف أديانها وعقائدها وأعرافها وأجناسها. إن أمتنا اليوم لا تخرج عن كونها عرباً مسلمين وغير مسلمين، ومسلمين عرباً وغير عرب.

أما العرب، فأياً كان دينهم، فإن العرب قومهم والعربية لغتهم، وإن صدق انتسابهم وإخلاص ولائهم يدعوهم إلى الإيمان بالعروبة قومية، وبالعربية ركنًا من أركان قوميتهم ورمزًا لانتسابهم إلى تاريخ عبّرت العربية عنه وطبعت حضارته. وإن من حقنا أن نجعل إخلاص العربي غير المسلم للغته مقياسًا لصدق قوميتته وأدعائه لها وانتسابه إليها. وأن نجعل مقدار عمله لخدمة العربية وصيانتها مقياسًا لصدقه فيما يدّعيه.

وأما المسلم، فأياً كان جنسه، فإن العربية لغة قرآنه وحديث نبيّه، ولسان عبادته، ومستودع شريعته.

وهكذا يجتمع على العربية من يؤمنون بها إيمانًا قوميًا ولغويًا، ومن يؤمن بها إيمان عقيدة ودين.

ولو عرف هؤلاء وأولئك كل ذلك معرفة واعية، ولو كانوا جادّين مخلصين فيما يدعون سواءً أكانوا مسلمين أم قوميّين لما قامت في بلادهم مشكلة الأقليات وما تبعها من تجزئة وتمزيق.

ولكم أن تطبقوا ذلك على ما يحدث اليوم من تنكّر لهذا الوعي وهجر لهذه الوحدة اللغوية وما يجزّره ذلك على الأمة في العراق وفي السودان وفي غيرها من أقطار ما زال الأعداء يبذرون فيها بذور الفتنة العرقية والطائفية والدينية والمذهبية ليصبح الشعب الواحد شعوبًا، والأمة الواحدة أممًا. والقطر الواحد أقطارًا.

تمزّ الأمم في تاريخها بأزمة صعبة ومحن قاسية وكوارث ونكبات، منها ما هو تسليط للطبيعة عليها يخلف فيها الخراب والدمار، أو يتركها في سنوات شديدة وضيق من الرزق أشد.

ومنها الغزو والحرب والاحتلال؛ يغتصب العدو الأرض ويمتص كل ما فيها من خيرات فوق الأرض وتحت الأرض.

وكل ذلك يهون أمام ما هو أقسى وأشدّ، وما هو أفدح وأخطر، وهو (الاحتلال الثقافي).

إن الجفاف لا بدّ أن تمضي أيامه وتأتي أيام يغال فيها الناس ويعمّ النبات الأرض ويعمّ الخير. وإن الأرض التي اغتصبت لا بدّ أن يأتي جيل يحزرها ويعيدها وخيراتها إلى حضن الأمة. ولكن الذي إذا ضاع ضاعت الأمة معه إلى غير رجعة هو الثقافة وما تعنيه من عقيدة وفكر وتراث ولغة، فذلك الذي خسارته هو ضياع الأمة ذاتها، وضياعه هو الخسارة التي لا حياة بعدها. يقول الرافعي «وكيفما قلبت أمر اللغة - من حيث اتصالها بتاريخ الأمة، واتصال الأمة بها - وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة من تاريخها».

ولعل أخطر ما في هذا الغزو أنه يتميّز من الغزو العسكري بأمرين اثنين: أولهما أنه هيّن لَيّن لا عنف معه، يسري إلى قلب الأمة كما يسري مرض السكري في الجسم، فلا تشعر به الأمة إلا وقد تمكّن منها واستولى عليها وأصبحت رهينة كَفّه، خاوية على عروشها، خواءً في فكرها وثقافتها.. وذلك هو الضياع الحق! وثانيهما أنه الاحتلال الماحق إذ ليس هو بالقوة العسكرية فتستقوي عليها وعليه، ولا هو كالمرض العارض فتقضي عليه في سنة أو سنتين.. ولكنه سلخٌ للأمة من كل ما يجعلها أمة.

إن الشخصية العربية لا تنضج إلا في بيئة الثقافة العربية والتربية العربية الإسلامية، فإذا نبتت في غيرها، أو سُقيت بغير مائها نبتت في فراغ يسهل ملؤه بغيرها فإذا هي أعجمية في مظهر عربي!!

إن الذين تخرّجهم الجامعات في البلاد العربية هم الذين يضعون تحت أيدينا بنزوعهم وميوهم الموصلة (البوصلة) التي ترشدنا إلى الطريق الذي تسير فيه الأمة وإلى المستقبل الذي ستؤول إليه! ولما كانت في جامعاتنا العربية بقية من روح الأمة حوّل الغرب جامعاتهم إلى وطننا فمألت الجامعات الأمريكية والعربية عامة بلادنا وغُرست في كل قطر عربي من المغرب إلى الخليج، وهي جامعات تتمتع باستقلال وحرية في التدريس والمناهج وجلب الأساتذة من كل جنس ودين ونزعة وانتماء.. وهي قادرة بقميص جنسيتها أن تدخل ألدّ الأعداء ليكونوا أساتذة لأبنائنا وبناتنا وفي أرض وطننا وعلى حسابنا!!

أليست هذه الجامعات على أرضنا مصانع لتخريج عقول تعشق ثقافة الغرب وتحوى حياة الغرب وطراز معيشته وأسلوب تفكيره؟!

أليست الثقافة بما تتضمنه من رصيد فكري وديني وتربوي وأدبي هي التي ترسم لصاحبها سلوكه وتحدّد له مواقفه من الأحداث بل من العالم ومن الكون؟ الثقافة هي كل ما يختزنه الإنسان من روحانيات وماديات، ومن فكر ووجدان، من أدب وفنّ ويظهر أثره

في سلوكه. أليست الثقافة إطارًا هُويّة الأمة وتعبيرًا عن شخصيتها الروحية والفكرية والاجتماعية، أليست رمزًا للتمييز وحارسًا من الضياع. إن ثقافة الأمة هي الطابع الذي يميّزها من غيرها، وهي مجموع الصفات المشتركة بين أبنائها التي تعطيهم خصوصية أمتهم، وهي الصفة الأصيلة التي إذا ترسّخت صَعَبَ سلخ الأمة من تاريخها ومن بيئتها الفكرية ولسانها القومي، وهي التي إذا تأصلت في الفرد كانت نواة أمته في فؤاده، وشعاعها الهادي في فكره، وروحها في جسده.

فإذا انسلخ الفرد من ثقافة أمته سهل أن تبتلعه ثقافة أمة أخرى! وإذا سلّخت أمتنا من ثقافتها العربية الإسلامية أصبحت في خواء تتقاذفها الرياح وتتداعى إلى قصعتها الأمم.

ولست أشك أن أمتنا اليوم قادمة على الزمن الصعب في تاريخها، لقد بدأ الغزو كما ذكرت في اول كلمتي لينا سهلاً مرغوباً فيه لأنه دخل من باب الاقتصاد وتحت مظلة دعاية إعلامية عالمية توهم أنه الغاية التي لا غاية وراءها، وأنه مسخّر لخدمة الإنسان، ونحن في عصر تعلن فيه كل الدول وكل الحكومات أن اقتصادها مسخّر لخدمة الإنسان وأن كل خطط التنمية لخدمة الإنسان! ثم ينتهي التخطيط وينتهي التنفيذ فإذا الإنسان مسخّر لخدمة التنمية ولخدمة الاقتصاد!!

فتح الاقتصاد أبواب الوطن العربي للشركات المتعددة الجنسيات وللشركات المفردة الجنسية.. ووقّعت الدول المعاهدات والاتفاقات الاقتصادية لاقتصاد مفتوح يدخل فيه الدول الضعيفة أضعافاً ما يُصدّر منها.. ويدخل مع الاقتصاد القويّ لغته فنرتمي في أحضانها ونتنافس في إتقانها ونهجر لغتنا، ومع اللغة الداخلة ثقافة يشجعها الترغيب في الوظائف والأعمال كما يشيعها الإعلام، ومع اللغة المهجورة ثقافة مزهود فيها، فلا تنقضي سنوات - وهي مهما تطل قصيرة في عمر الزمن - حتى يصبح جيل من أجيال العرب يسمّى عربيّاً وهو أممي عالمي مقطوع النسب عن تاريخه، بعيد عن ثقافته، أعجميّ بلسانه، ثم هو كالألة في يد غيرنا لأنه معلّب من معلّبات الصناعة الغربية، صنعت

بأيديهم وربيت على عيونهم!

بل إن بعض الدول العربية لم تكتف بغرس الجامعات الأجنبية في أرضها بل جلبت لما بقي فيها من جامعات عربية الأسماء خبراء غربيين في التربية والتعليم ووضع المناهج، وأساتذة غربيين للتدريس والتثقيف!!

وانظروا إلى الفرق بين ما يقوله بعض العرب عن لغتهم، وبين ما يقوله بعض الغربيين عن اللغة:

- اللغة القومية عندنا:

منّا من قال: الفصحى سبب هزيمة العرب!

ومنّا من تابع غيره وقال: هجر الفصحى في العلوم شرط للتقدم!

ومنّا من قال: حروف العربية متنوّعة باهظة التكاليف فلنهجها إلى الحرف اللاتيني!

و منّا من قال: العامية ألصق بالشارع وأرحب للتعبير عن أحاسيس النفس.

وعند غيرنا:

- اللغة تجعل الأمة الناطقة بها وحدة مترابطة لأنها الحقيقة الوحيدة التي تربط بين عالم الأجساد وعالم الأذهان «فخته».

- اللغة القومية وطن روحي يُؤوي من حُرّم وطنه على الأرض.

- بيانات الثورة الفرنسية تدعو إلى إتقان اللغة ومحاربة اللهجات المحلية «فوسلر».

إن الغرب وعلى رأسه أمريكا يحاول إبعادنا عن كل ما هو عربي أو إسلامي،

وطمس كل ما يربطنا بأصالتنا وجذورنا وتاريخنا حتى اسمنا!!

إننا نواجه اليوم هجمة عولمة شرسة تريدنا شرق أوسطيين لا عرباً ولا مسلمين، فلا أصولية تربطنا بأصولنا وجذورنا، ولا جهاد لمناهضة احتلال أوطاننا لأن ذلك إرهاب، ولا ثقافة غير ثقافتهم المتمثلة في لغتهم، وهي اللغة التي يملأ إعلامهم وأتباعهم الدنيا بأنها لغة الثقافة ولغة العلم والتعليم، ولغة التجارة والاقتصاد، ولغة السياحة. إنها سياسة تقوم على

توحيد كل شيء في شيء واحد؛ فالدين واحد! والثقافة واحدة، والنمط واحد في التفكير والأسلوب الحياتي والسلوك، إن كل ما نستخلصه من تعريفات الذين تحدّثوا عن العولمة يمكن تلخيصه بأنها «صهر العالم في البوتقة الأمريكية»!

إننا اليوم مدعوون إلى إحياءٍ جادٍّ لوعي إسلاميٍّ وقوميٍّ ووطنيٍّ وثقافيٍّ ولغويٍّ؛ لأن كثيراً من الأفكار قد مُسخت وشُوّهت، وكثيراً من البصائر زاغت وانحرفت، وكثيراً من الدعوات والشعارات أُفرغت وزُيِّفت؛ لا بدّ من توضيح بعض الحقائق وترسيخها: فاللغة ليست مجرد أداة للتفاهم. أو مجرد أصوات للتعبير عن الأغراض.

والثقافة ليست مجرد أدب يُدرس وتاريخ يُستعرض.

والقومية ليست مجرد نسبة تذكر في بطاقة الهوية.

إن اللغة فكر يوجّه السلوك، وعربيتنا المشتركة هي الطريق إلى وحدتنا الفكرية والسياسية.

وحدود لغتنا الفصحى اليوم هي حدود وطننا العربي، وإذا كانت الحدود السياسية فرّقت بين أقطاره، فإن اللغة وهي الوطن الروحي لا تعرف الحواجز والحدود. إن اللغة العربية المشتركة اليوم هي هوية الأمة العربية.

وإن الثقافة رصيد من العقيدة والفكر والقيم والأدب يُملّي المواقف. وإن القومية أسرة واحدة يسري دمها لغةً على ألسنة أبنائها، وإن الهوية هي الرمز المعبر عن الشخصية لغةً وثقافة وقومية، أي لساناً وعقلاً ووجداناً.

وليست الثقافة العربية الإسلامية شبيهة بثقافات الدول الحديثة النشأة في التاريخ، ولو كانت هذه الدول متقدّمة حائزة أسباب التقدم المادي. إن الثقافة العربية التي حملتها اللغة العربية منذ أقدم العصور، عبّرت عنها العربية التي ما بلغت لغةً حيّة في الدنيا عمرها، ولا حوت ثقافةً ما حوته من علوم أنتجتها شعوب وأعراق وأجناس، وكان إنتاجها بلسان واحد، فكانت ثقافة شبيهة بالإسلام؛ إنسانية في روحها ومضمونها عربية بلسانها.

لقد كانت اللغة العربية عروةً تجمع الماضي بالحاضر ثقافةً، وتطبع الناطقين بها هويةً.

إنها الحبل الذي تواصلت به ثقافة أمتنا منذ نشأت، وهي إلى اليوم الحبل الذي يجمع الأمة على تباعد شعوبها مكاناً في وحدة لغوية منقطعة النظير.

ولعل في كون اللغة العربية علماً في ذاتها، وكونها أداة ووسيلة إلى غيرها، ما يجعلها من أبرز أسس الثقافة العربية وأهم عوامل الوحدة الفكرية. وإذا كان للوطن المادي أرض وحدود فإن الثقافة واللغة هما الأرض والسما والحدود والسياج للوطن الروحي للإنسان.

لذلك نرى الأمم تتنافس في نشر ثقافتها ولغاتها في العالم، ناظرة ما يستتبع نشرهما من منافع سياسية وثقافية واقتصادية. وأما نحن اليوم فننتظر ما يستتبع ثقافتنا ولغتنا من وجود أو عدم. هو نفسه وجودنا أو عدمنا!

إن الخطر يزحف برفق ولين كالليل، ثم لا يلبث أن يلفّ بظلامه الحياة كلها من حولنا.. إن ما يسمى العولمة زحف مع الدولار ليسيّط على التجارة والاقتصاد ولكنه كما نعلم موجة مستعلية مستكبرة، لا ترى غير نفسها بقيادتها واقتصادها ولغتها وثقافتها وطرز حياتها.. إنها فرضٌ لسيادة لغة القوي وثقافته وأسلوب حياته، وهميش غيرها من اللغات والثقافات.

إننا في بداية طريق تلغي فيه أنظمة الاتصالات وتقنيات المعلومات كلّ الحدود والسدود بين الأمم والمجتمعات، وتفرض على الأمم الفقيرة والضعيفة والمتخلفة كل ما تريده قائدة العولمة من اتفاقات وقوانين وأنظمة. ليست إلا أغلالاً في أعناق الضعفاء، ولو استسلمنا لها لحكمتنا في أحصّ خصوصياتنا من عقيدة وحياة أسرية وعلاقات زواج وطلاق وإرث وإنجاب، ولن يحميننا من شرور هذه الهجمة واستكبار هذه السياسة إلاّ التمسك بما يريدوننا أن ننسلخ منه، وإلا الاعتصام بما يريدوننا أن نتجرد منه، من ثقافة ولغة ودين وقيم.

إنهم يريدون قطع نسبنا وتضييع ذاكرتنا ونسياننا اسمنا! إنهم لا يريدوننا عرباً ولا مسلمين بل يريدوننا شرق أوسطيين.

لا بدّ أن ندرك أن لغتنا هي الوعاء الذي يحوي كل ما عاشت عليه وبه وله وفيه أمتنا من قيم روحية وثقافية وعلمية وعقلية وأخلاقية وحضارية، لا بدّ أن ندرك أن اللغة عماد الثقافة وأن الثقافة حارسة الإنسان والوطن والأمة، فإذا نُحيت أو هُُمشت الثقافة أو أفرغت من مضمونها تحت أي شعار، وإذا خلت من روحها وقيمها، خبا وهجها وتألّقها وشاع في عقول السدّج من أبنائنا تخلفها وقصورها، وكان ذلك وأدّا لها وموتاً لنا.

لا بدّ من نشر وعي لغوي يعمّ المجتمع كلّه، جامعاته ومؤسساته وشوارعه وأسواقه قائم على أن لغتنا مستودع ثقافتنا وفكرنا وتراثنا، ولغة قرآننا ونبينا وقومنا، وأنها ذاكرة أمتنا وحبل توصلها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

إن لغتنا - كما قال ابن خلدون - أصبحت أداة تشكّل حياتنا وتوجّه سلوكنا وأداء مجتمعنا وجماعاتنا ومؤسساتنا.

وإنه لجدير بنا أن نقف عند بعض ما يتحدى اللغة العربية في أقطارنا على تفاوت بينها بل ما يشكّل خطراً إذا استمرّ وانتشر:

١- إبعاد العربية عن التعليم العالي والبحث العلمي، ففي ذلك عزل اللغة عن العلم، وعزلّ للناطقين بها عن العلم، ووأدّ العلم في الوطن العربي، وجعله مستورداً لا نحصل منه إلاّ على ما يريد أصحابه أن يصل إلينا منه! ولم يبقَ في الدنيا غير العرب يعلّمون في جامعاتهم بغير لغتهم.

٢- السماح للغة الأجنبية أن تزاخم العربية في الأسواق والشوارع والمحالّ والفنادق.

٣- توسيع رقعة العامية على حساب اللغة المشتركة للأمة.

٤- استيراد الخبراء الأجانب في شؤون التربية والتعليم في بعض البلاد العربية، وهو دليل على عدم ثقة المسؤولين الذين يستوردونهم بأمثالهم وبخير منهم من مواطنيهم، أو دليل عقدة نقص وحب انتفاخ عند بعض من يفضل كل أجنبي على كل وطني!

٥- انتشار الجامعات الأجنبية في البلاد العربية، وهو ظاهرة بدأت تشيع وتنتشر من المغرب إلى الخليج، لا يخلو قطر عربي من عدد من الجامعات الأجنبية من أمريكية وفرنسية وغيرها.. وهي جامعات بلونها وعرفناها وعرفنا نزعات بعض أو أكثر خريجيها في السياسة والثقافة. ورأينا فيها مصانع لتخريج أجيال تُؤثر الثقافة التي تتقفت بها واللغة التي تعلّمت بها!! لقد رأينا في تلك الجامعات التفافاً وتحايلاً على تعريب التعليم العالي في القطر الذي عرّب التعليم!! فكيف إذا زاد عددها على عدد الجامعات الوطنية؟! ولعلّ المفتخرين بافتتاح هذه الجامعات الأجنبية في بلادهم العربية يخبرونا كم عدد الجامعات الأجنبية في الصين أو في اليابان؟ كم جامعة أمريكية في ألمانيا وفي فرنسا؟ وكم جامعة ألمانية أو فرنسية في أمريكا؟!

إنها بؤر غربية لغزو عقول الأجيال العربية والمسلمة، وستكون لها آثارها البعيدة على أمننا القومي والوطني والديني لتمتعها بالاستقلال في مجال التدريس والمناهج واستقدام الأجانب تحت مظلة جنسية الجامعة؟! ونحن نعلم أن أعداءنا كالحرباء يتلّونون بجنسية البلد الذي يعيشون فيه.

ولا يذهبن بأحدٍ ظنّه بعد كل ما قدّمناه أننا نحارب اللغة الأجنبية، أو ندعو إلى إبعادها، بل نحن نرى في تعلّمها ضرورة لازمة وحاجة لا يُستغنى عنها، وكل الذي نطالب به هو ألا تكون اللغة الأجنبية في بلاد العرب بديلاً عن لغتهم. وندعو إلى وضع سياسة لغوية تبعث في أجيالنا وعياً لغوياً يفهم على حقيقة اللغة وأثرها في بناء شخصية الناطق بها، إن للغة الأمّ سرّاً في حياة المرء، ولا أقول لغة الأمّ بل أعني اللغة الأمّ التي تُرَضع أبناءها انتماءً لقومهم وولاءً لأمتهم، وتوحد أفكارهم وتعبر عن ثقافتهم وتجعل بينهم

رابطة اجتماعية وفكرية وثقافية وقومية، تذكّرنا بما نراه اليوم ونسمع عنه من روابط خرديجي الجامعات الإنكليزية أو الأمريكية أو الفرنسية، تجمع بعضهم إلى بعض وتقيم لهم المؤتمرات وتقدّم لهم الدعم والتأييد أينما كانوا، لأنهم يشكّلون هيئة السفراء للأمة التي تعلّموا لغتها وتطبّعوا بثقافتها.

إن التاريخ يحدّثنا أن الوحدة اللغوية كانت أقوى من الوحدة السياسية حين انقسمت دولة الخلافة العبّاسية إلى دويلات لكل منها حاكم ونظام واسم؛ عباسي في بغداد، حمادي في الموصل وحلب، إخشيدي في مصر، أموي في الأندلس - ومع ذلك الانقسام السياسي بقيت اللغة بوحدها اللسانية مستعيلة على الحدود، مستعصية على التمزيق - يتنقّل المواطن العربي بين تلك الدويلات وكأنه في كلٍّ منها في قطره أو وطنه، لا اختلاف ولا غربة، لأنه أتى رحل باقٍ في حضن لغته التي ألفت التعبير بها عن نفسه ووجدانه وأغراضه وألف مفاهيمها عن الحياة والكون.

وإن التاريخ يحدّثنا أن العربية كانت أشبه ببستان أينعت فيه كل العلوم، وانتقلت إليه بها فلسفة اليونان وحكمة الهند وعلوم الطب والفلك وسائر العلوم، فكان لكل أمة زهرة في بستاننا، لوّنها من لون منتجيها، وأريجها عقبها عربيّ فوّاح، وبذلك كانت الحضارة العربية الإسلامية إنسانية الإنتاج عربية الطابع واللسان.

وكانت تعبيراً عن الوحي الإلهي وروح الإسلام، كما كانت مرآة لانتماء العرب القومي.

إن اللغة وعاء الثقافة، واللغة نفسها ثقافة، واللغة هوية للناطقين بها، وهي نفسها رمز لتلك الهوية. واللغة نسب المرء إلى أمته، ورمز انتمائه إلى قومه. وإن من جهل ذلك وظنّ أن اللغة مجرد أصوات للتفاهم أمّي ثقافياً ولو كان يعرف القراءة والكتابة! إن من يجهل ذلك كمن يتحلّى عن نسبه إلى أمته.

إن العربية هي صورة أمتنا في كل ما أنتجته من علم ومعرفة وحضارة. هي أمتنا في علومها وآدابها وفنونها، وفي قيمها الدينية والخلقية والاجتماعية.

ولا بدّ للعرب إذا كانوا جادّين في مشروع نهضتهم من أن يحسبوا للغة حسابها؛ لأن أثر اللغة في حياة الأمة أثر بالغ؛ فهي بوحدتها على ألسنتهم وأقلامهم صلة أفكارهم وأرواحهم، وهي بعد ذلك القلب الذي بوحدته تتوحد لغتهم وفكرهم وثقافتهم، وأساليب تفكيرهم، فيتوحد سلوكهم وتتوحد مواقفهم إزاء ما يمرّ بهم من أحداث.

لغتنا تحمل ثقافتنا، وترتبط فيما بيننا مكاناً في جغرافية الوطن العربي اليوم، وزماناً مع أجيال سبقت وتاريخ مضى وأجيال آتية وتاريخ مقبل. وهي تمدّ بأيديها إلى شعوب تعرّبت بالقرآن وتفرّقت بها الأوطان. فالى وعي لغوي سليم أعلنت قبل نصف قرن أنه قرين الوعي السياسي والوعي القومي وقلت: لا يبلغ الوعي السياسي ولا الوعي القومي مداهما ما لم يقرّنا بوعي لغوي سليم.

ونحن لا نسمّي واعياً من اكتفى بفهم اللغة! أو أحسن التكلّم بها، أو مهر بالإنشاء على أساليبها؛ فذلك كلّه من صفات المتعلّم، وأما الوعي السليم في مجال اللغة فهو أن يفقه المرء طبيعة لغته وحقيقة خصائصها، وأن يدرك أثرها في بناء الشخصية وسلوك المرء وحياته ليتّخذ بعد ذلك موقفاً من مشكلاتها واعياً مبصراً ينسجم مع وعيه لجميع جوانب حياته الروحية والسياسية والفكرية والقومية.

وأذكرّ أخيراً بما بدأت به من التنبيه على خطر الاحتلال الثقافي الذي بدأت أهدافه تظهر بوضوح ومنها:

١- إضعاف العرب علمياً، أو إبقاؤهم بعيدين عن العلم الموصل إلى القوّة والتقدّم أو النهضة، ولا شك أن من أسباب غزو العراق ما كان يتمتع به من أسباب القوّة، لذلك كانت الهجمة عليه أشرس ما تكون وضوحاً في تقتيل علمائه أو خطفهم، وفي حرق مكباته أو سرقتها، وفي اصطیاد الجامعيين، وتعطيل كل ما يتصل بالعلم بسبب.

٢- عدم تمكين الثقافة العربية من أن تقوم بدورها الفاعل والمؤثر في محيطها العربي، وإلغاء دورها في المحيط الإسلامي، وجعل هذه المنطقة العربية الإسلامية منطقة شرق أوسطية تنضوي شعوبها في جملة شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

٣- إيجاد جيل تربّيه المسلسلات والدعايات، وتشدّه نزعة الانبهار بالأجنبي ولغته وثقافته وقوّته وطراز حياته في المأكل والملبس، ويرغب في تقليده في سلوكه وفي كثير من قيم حياته الأجنبية أو الغربية والأمريكية لينشأ جيلاً قابلاً للانزياح ثم قابلاً للتبعية.

وإذا أردنا درء الأخطار الزاحفة إلينا والمحدقة بنا فإن من أبرز أسلحتنا وأهمّها أثرًا في صمودنا أن نعتصم بكتاب ربّنا، وكتابه سبحانه مضمونه ولغته وهي هذه العربية التي لا يكون القرآن قرآنًا إلاّ بها، والقرآن مصدرٌ أُطلق اسمًا على كتاب الله على وزن شكران وغفران، وقد أمرنا بتدبره ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. ولو تدبّرناه لوجدنا صفة العربيّ تتردّد فيه متكررة إحدى عشرة مرة! لا تطلق في مرة واحدة منها على شعب أو أرض أو وطن، وإنما تطلق فيها جميعًا صفة للسان أي للغة!

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].

وما تكرّر ذكر صفة لموصوف بمثل هذا العدد من المرات إلاّ للفت نظر الذين يعقلون والذين يعلمون، إلى خطر اللغة التي شرفها الله بأن أنزل وحيه بحروفها، وجعلها آية كتابه المعجز ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

ألا يعني كون العربية من مظاهر الإعجاز القرآني أنه ما من عربيّ مخلص لعرويته ولقومه، أيًا كان دينه، إلاّ وجب عليه الإخلاص لهذه اللغة؟

أولا يعني أيضًا كون العربية لغة القرآن الكريم أنه ما من مسلم، أيًا كان جنسه، وأيًا كانت لغته، إلاّ وجب عليه أن تكون العربية عنده فوق أيّ لغة؟

إننا في عصر يجب أن نقيس فيه وعي الناس من عرب على اختلاف أديانهم،

ومن مسلمين على اختلاف أجناسهم وألسنتهم، بإخلاصهم للغة العربية، كما نقيس وعي المثقفين بمواقفهم من قضايا اللغة ومناصرتها، إذ هي اليوم جامع الأمة وحارسها من الضياع. إن الثقافة هي العقل المشترك للأمة بما تمثله من فكر ودين وأدب وفن وقيم، وإن اللغة هي النظام الشامل لتلك الثقافة، لذلك كانتا في الفرد نواة أمته في نفسه، وصورة هويته ورمز انتمائه.

أليست العربية اليوم هي التي تربطنا عبر الزمان بتاريخ أمتنا الماضي؟

أليست هي اليوم رابطننا على امتداد المكان بالناطقين بها فوق كل أرض، بلا توقف عند حدود أو سدود؟

أليست العربية اليوم هي وحدها بين كل مظاهر حياتنا التي تعلقو على الزمان وعلى المكان لتترك في قلب كل ناطق بها بأنه واحد من جماعة وأنه مواطن من أمة؟

أليست هي اليوم التي تملأ العربي إحساسًا وانتماءً إلى كل من تكلم بها ماضيًا. وكل من يتكلم بها حاضرًا، وكل من سيتكلم بها مستقبلاً...؟ أعني أليست هي اليوم روحًا من روح الأمة العربية يعيش في واحد من أبنائها؟

وهل الشعور القومي إلا امتلاء الفرد بروح أمته؟ وهو الروح الذي تتركه اللغة في نفوس الناطقين بها.

أليست آية من كتاب الله يقرؤها المسلم أو يسمعها كافيةً لتمتلي نفسه فخرًا واعتزازًا باللغة التي خاطبه بها ربه، فإذا هو مع كل آية مرتبط بالسماء مستعلٍ على الأرض... وإذا الحبل الذي يربطه بربه، يربط كل مسلم مثله، فإذا التالون لآيات القرآن متجهون أمةً واحدة إلى غاية واحدة.. إنها لغة القرآن وحدثت شعور أمة القرآن ولغة العرب وحدثت السنة الأمة العربية ووجهت قلوبها وأرواحها نحو الله.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

أبقراط الطبيب (*)

(Hippocrates)

(٤٦٠ - ٣٧٧ ق.م)

د. عبد الكافي توفيق المرعب (**)

المقدمة

من نافلة القول أنه لا يمكن الحديث عن تاريخ الطب الإنساني في المعمورة، دون الكلام على أبقراط، إذ كان أول من دوّن علم الطب، وسجّل الملاحظات السريرية، وصاحب أقدم مؤلفات طبية في التاريخ الإنساني، بصرف النظر عن البرديات الفرعونية. وقبل أبقراط كان الطب في اليونان مقتصرًا على أسرة أسقليبيوس التي كان أبقراط واحدًا منها، وتوارثت هذه الأسرة صناعة الطب، حتى قلّ عددهم في زمن أبقراط، ولما خاف أن يفنى الطب من العالم علّم الغرباء الطب، وبدأ في تأليف الكتب على جهة الإيجاز.^(١)

(*) اليونانيُّ الكوسيُّ مولدًا، الحمصيُّ مسكنًا، الدمشقيُّ نزيلًا ومنتجعًا ومعلمًا، اللاراسيُّ وفاةً، الطبيب قُدوةً ورئيسًا.

(**) أستاذ النحو والصرف في جامعة البعث بجمص.

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/١٠٩٢ - ١٠٩٣، وشرح فصول أبقراط ص ١٦ .

وأول الإشارات التاريخية إلى أبقرات وردت في محاورات الفيلسوف اليوناني أفلاطون مع (فيدروس) «مناقشات للتعليم الأبقراطي»، وفي محاورة (بروتاجوراس)، يقول سقراط لرفيقه: «إنك إذا دفعت مالا إلى أبقرات الكوسي الإسكليادي، وسألك إنسان لماذا تدفع له هذا المال، فماذا تجيب، فقال: أعطيه مالا لأنه طيب».^(٢)

وأول ترجمة خاصة بأبقرات وضعها الطبيب اليوناني سورانوس (soranos) الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني بعد الميلاد.^(٣)

وقيل: إن أول من استنبط الطب في العالم بعد اختلاف القوم في هذا الباب، إذ قال إسحاق بن حنين في تاريخه: «إن أهل مصر هم أول من عرف الطب، وقيل: إن هرمسًا استخراج جميع الصنائع والفلسفة والطب، وقيل: إنهم أهل كوس (Cos)، وقيل إنهم السحرة، وقيل: إنهم أهل بابل، وقيل: إنهم أهل فارس، وقيل إنهم أهل الهند، وقيل إنهم أهل اليمن، وقيل إنهم الصقالبة، وقيل إن الكلدانيين هم أول من عرفوا الطب».^(٤)

ولقد عرف العرب الطب والجراحة معًا، إذ أبان الدكتور خالد الحديدي عن وجود مدرسة طبيّة في بلاد اليمن، كان لها فلسفتها المستقلة^(٥)، كما عرف العرب أطباء مشاهير، كالحارث بن كلدة الثقفي من الطوائف الذي كتب أمثالا على شاكلة فصول أبقرات، منها: (البطنة بيت الداء، والحمية رأس الدواء)^(٦)، ومن معاصري الحارث الطبيب العربي ابن أبي رمثة التميمي، من تميم الذي يعدُّ من أوائل الجراحين العرب المشهورين.^(٧)

(٢) أفلاطون: بروتاجوراس ص ٤٤، وفصول أبقرات ص ١٦.

(٣) تاريخ العلم جورج سارتون ٢/٢١٩، دار المعارف بمصر.

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٣٩٨، وكشف الظنون ٢/١٠٩٢ - ١٠٩٣.

(٥) لا بدّ من صنعاء (اكتشاف لمدرسة طبية)، وشرح فصول أبقرات ص ٨.

(٦) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، دار قتيبة/ الكويت ١/

٢١٣، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٣ - ٦٧.

(٧) فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب) سامي حمارة ص ٣١، (١٩٦٩).

وثمة حكاية عُرفت من خلال شعر الخنساء (ت ٢٣ هـ) عندما رثت أباها صخرًا
في قصيدة مطلعها^(٨):

يُؤرقني التذكر حين أمسي فأصبح قد بُليت بفرط نكسي

إذ غزا صخر بني أسد وغنم منهم، فأصابته طعنة من ربيعة بن ثور، فأدخل
حلقة من الدرع في صدر صخر، وهذا ما أدى إلى ظهور ورم في صدره، فأجرى أحد
الأطباء جراحة له، واستخرج حلق الدرع من صدره، وتمت الجراحة بنجاح، لكنه لم
يلبث طويلًا حتى وافته المنية.^(٩)

وبعد هذه المقدمة لا بد أن نتقل إلى قطب الرحي، وبيت القصيد أبقرات أبي
الطب، وحيد دهره وفريد عصره، وطبيب زمانه، الذي جعل من حمص مسكنًا، ومن
دمشق نجعةً ومدرسةً، إذ علّم فيها الطب «الذي كان معدومًا، فأوجده أبقرات، وكان
ميتًا، فأحياه جالينوس، وكان متفرقًا فجمعه الرازي، وكان ناقصًا فأكمّله ابن
سينا»^(١٠).

أبقرات (Hippocrates)

(٤٦٠ - ٣٧٧ ق.م)

مما لا شك فيه أن أبقرات كان إمامًا فهمًا مشهورًا معنيًا ببعض علوم الفلسفة، سيدًا
للطبيعيين في عصره^(١١)، ملقبًا بأبي الطب، وحيدًا لدهره كاملاً طبييًا فيلسوفًا^(١٢)، فاضلاً،

(٨) ديوانها ص ٣٢٥ بشرح ثعلب تح، د. أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان ١٩٨٨ م.

(٩) موسوعة الأراجيز والمنظومات الطبية د. خالد الحديدي ص ٨ (١٩٨٥)، وشرح الفصول ص ٩.

(١٠) الأعلام للزركلي ٢/٢١٤.

(١١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/٢١١.

(١٢) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٠.

متأهلاً، ناسكاً، يُعالج المرضى احتساباً، طَوْافاً في البلاد، وجوّالاً عليها^(١٣)، كوسياً^(١٤)، أكثر أطباء اليونان تجديداً وشهرة في زمانه، وأول من علّم الغرباء الطب، وجعلهم شبيهاً بأولاده^(١٥)، ولا بد من الوقوف على سيرته الذاتية، التي تتضمن: ١- اسمه ونسبه، ٢- ولادته، ٣- مسكنه، ٤- أساتذته، ٥- تلامذته، ٦- أولاده، ٧- أخلاقه، ٨- أوصافه، ٩- قسمه، ١٠- وفاته، ١١- مؤلفاته، ١٢- شراح كتاب الفصول.

١ - اسمه ونسبه: أبقرات أو بقراط أو بقرات (*Hippocrates*) بن هيراكليدس (*Heraclides*)، ويعني اسم بقراط: ضابطاً في سلاح الفروسية أو ضابط الخيل، أو ماسك الصحة، أو ماسك الأرواح.^(١٦)

٢ - ولادته: وُلد أبقرات في جزيرة كوس (*Cos*) سنة (٤٦٠ ق.م)، باتفاق جلّ المؤرخين^(١٧)، وذلك قبل الإسكندر بزمن ليس بقليل^(١٨)، وهو من أسرة أسقليبيوس الثاني، وليس من أسقليبيوس الأول، لأن النسل انقطع بالطوفان إلا من سام وحام ويافث أبناء نوح عليه السلام، وبين زمن أبقرات وأسقليبيوس الأول الذي كان قبل الطوفان آلاف السنين، وقد انقطع نسله به فلا سبيل لأحد أن يُنسب إليه بوجه إلا من ينكر عموم الطوفان^(١٩). والراجح مما تقدّم أن أبقرات من ولد أسقليبيوس

(١٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ٢١/١.

(١٤) تاريخ العلم لجورج سارتون ١/ ٢١٩، أي وُلد في جزيرة كوس فهو منسوب إليها.

(١٥) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٠.

(١٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، ص ٤٨، تحقيق: الدكتور نزار رضا، منشورات دار

مكتبة الحياة، بيروت، وتاريخ العلم ١٣٧/١ حاشية ٤، وشرح فصول أبقرات ص ١٧.

(١٧) تاريخ العلم ص ٢١٩، وشرح فصول أبقرات ص ١٩.

(١٨) ذكر القفطي أنه وُلد قبل الإسكندر بمئة عام، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ٢١/١.

(١٩) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ٢١/١.

الثاني لأن كلَّ ما قبل الطوفان لا نعلم حقيقته بسبب انقطاع نسل آدم^(٢٠)، ودليل آخر قول يحيى النحوي الإسكندراني: إن الذين تولوا رئاسة الطب إلى زمن جالينوس ثمانية أطباء، وبين أسقليبوس الأول ووفاة جالينوس (٥٦٠ سنة)، وبين كل واحد من هؤلاء الأطباء فترات طويلة من السنين، إذ بين أبقراط السابع من الأطباء، وجالينوس الثامن خاتم الأطباء الذين آلت إليهم مشيخة الطب في زمانهم (٥٦٥ سنة)، علمًا أن أبقراط عاش خمسًا وتسعين سنة، منها طبيبًا ومعلمًا ست عشرة سنة، وعالمًا ومعلمًا تسعًا وسبعين سنة.^(٢١)

٣ - مسكنه: رأينا مما تقدم أن أبقراط كان طوًّا في البلاد وجوًّا عليها، بسبب معالجة المرضى، فراقت له أجواء حمص الشام فسكنها، وبدأ يتنقل بينها وبين دمشق، إذ قال شمس الدين الشهرزوري:^(٢٢) «كان بقرط بمدينة قبروها، وقيل: هي مدينة حمص من أرض الشامات»، وقال القفطي^(٢٣): «كان مسكنه مدينة حمص من بلاد الشام، وكان يتوجه إلى دمشق ويقيم في غياضها للرياضة والتعلم والتعليم، وفي بسايتها مكان يُعرف بصفّة بقرط إلى الآن»، وقال القلقشندي^(٢٤): «إن أبقراط كان مسكنه مدينة حمص»، وقال ابن العبري:^(٢٥) «إن أبقراط الفاضل كان مسكنه مدينة حمص»، وقال ابن العبري: «وفي هذا الزمان أيضًا عُرف أبقراط الطبيب. هذا كان يسكن مدينة حمص، ويتردد إلى مدينة دمشق، ويأوي إلى بستان كان له فيها،

(٢٠) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/٢٠-٢١.

(٢١) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٠ بتصرف يسير.

(٢٢) تاريخ الحكماء (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) لشمس الدين الشهرزوري، ط ١ (٩٨٨م)،

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص ١٩٦.

(٢٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/٢١.

(٢٤) صحح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ٤/١١٧.

(٢٥) الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ص ١٩٩.

ومكانه معروف إلى يومنا هذا في وادٍ هناك يسمى النيرب. وكان رجلاً إلهياً يداوي المرضى مجاناً. وقد أحسن جالينوس في وصفه، إذ قال: إن جالينوس أدبه الدرس، وأبقراط أدبته الطبيعة»^(٢٦)، وأورد ابن تغري بردي خبراً جاء فيه^(٢٧): «إن الملك المنصور صاحب حمص قدم دمشق فنزل ببستان بالنيرب، ومرض فيه أياماً، وتوفي بصفّة بقراط» وجاء في دائرة المعارف الإسلامية^(٢٨): «إن بقراط أقام في حمص ثم انتقل إلى دمشق، وكان يعلم الطب في غياضها بموضع لا يزال يُعرف بصفّة بقراط»، وقال الدكتور عدنان التكريتي^(٢٩): «ونزل أبقراط مدينة حمص ثم انتقل إلى دمشق وعالج المرضى فيها»، وقال الدكتور قتيبة الشهابي^(٣٠): «صفّة بقراط: موضع كان في النيرب ذكره ابن القفطي في القرن السابع يُنسب إلى الطبيب اليوناني أبقراط الملقّب بأبي الطب (٤٦٠ - ٣٣٧ ق.م) الذي يروى أنه سكن بحمص الشام وكان يختلف كثيراً إلى مدينة دمشق، ويقوم في بستان له فيها للرياضة والتعلّم والتعليم، وكان موضع تنزّهه يسمّى (صفّة بقراط)^(٣١)، وبذلك تكون دمشق أول مدينة علّم فيها الطب بصورة نظامية». إذن مدينة حمص في بلاد الشام كانت منزلاً لبقراط، وكانت دمشق منتجعاً له يعلم الطب فيها، واستطاع أن يتعرّفهما من تجواله وترحاله وتطوافه في البلاد، وذلك لمعالجة أبناء جنسه، لكن ما سبب اختياره لهاتين المدينتين؟ لعراقتيهما في التاريخ، أو لطيب هوائيهما وجوههما، أو لعلم أهلهما، ولا سيما أن سكان

(٢٦) تاريخ مختصر الدول لابن العربي ٢٦/١.

(٢٧) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥، ٨٣/١.

(٢٨) دائرة المعارف الإسلامية ٣١/٤.

(٢٩) الموسوعة العربية ١٠١/١.

(٣٠) معجم دمشق التاريخي للدكتور قتيبة الشهابي ٧١/٢.

(٣١) المكان معروف وهو في الغوطة الغربية من مدينة دمشق بالقرب من حديقة تشرين وحديقة النيربين الآن، والنيربان هما رابيتان متقابلتان، وفروع نهر بردى تمر بينهما وكانتا أيكيتين كثرت الأشجار فيهما.

حمص عرفوا الحساب مبكرين بسبب كثرة التجار فيها.^(٣٢) يبقى السؤال مفتوحًا والجواب مبدولاً.

٤- أساتذته: إن أبقرات تعلم الطب على والده هيراكليس (*Heraclides*)، وعلى هيروديكوس السليميري^(٣٣) (*Herodicos of selymbri*)، وعلى أسقليوس الثاني، ولما مات خلف ثلاثة تلاميذ: هم ماغارينس، ووارخس، وبقرات، فلما مات الأولان آلت رئاسة الطب إلى بقرات.^(٣٤)

إذ كان الطبيب السابع في تاريخ الطب الذي بدأ ب(أسقليوس الأول) أولاً، وغوروس ثانياً، ومنيس ثالثاً، وبرماتيندس رابعاً، وأفلاطون الطبيب خامساً، وأسقليوس الثاني سادساً، وبقرات سابعاً، وجالينوس خاتم الأطباء ثامناً.^(٣٥)

وعرف بقرات جلّ فلاسفة عصره، وكان صديقاً لعدد من مشاهير هذا العصر من أمثال الفيلسوف ديمقريطس، صاحب النظرية الذرية التي أرجع فيها الوجود إلى ذرات، والخطيب الشهير جورجياس الملّقب بأبي البلاغة، والرياضي الكبير هيروديكوس المتخصص بالجمباز.^(٣٦)

إذن تلمذ بقرات لكبار أطباء عصره، وأفاد منهم، وانتفع بعلمهم، وهذا ما جعله شيخاً للأطباء في عصره.

٥ - تلامذته: لقد نال بقرات شهرة عظيمة بالطب في عصره، فأقبل عليه التلاميذ لكي ينتفعوا بعلمه ويتعلموا عنده، حتى نُسجت حوله القصص والأساطير، إذ قيل: إن النحل الذي يعيش حول قبره يفرز عسلاً شافياً للأمراض، أما الصورة الواقعية له التي نجدها

(٣٢) الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ص ١٩٩.

(٣٣) تاريخ العلم جورج سارتون ٢١٩/١، وشرح فصول أبقرات ص ١٧.

(٣٤) الفهرست لابن الندم ص ٤٠٠.

(٣٥) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ٢١/١، والفهرست لابن الندم ص ٣٩٩.

(٣٦) شرح فصول أبقرات ص ١٧.

في غالبية المصادر التاريخية، فهي صورة الحكيم القصير القامة الذي جمع بين الطب والفلسفة^(٣٧)، وأفاد منه رهط من التلاميذ مع أولاده الذين خلفهم، وهم: ١- لاذن، ٢- ماسرجن ٣- ساوري ٤- فولوس وهو من أجلّ تلاميذه، ٥- مانيسون، ٦- سطات، ٧- غوروس، ٨- سنيلقيوس، ٩- ثائلس، ١٠- مكسانوس، ١١- ثالوس، ١٢- دارقن، ١٣- مايا ارسيا^(٣٨)، ١٤- وصهره بوليوس الكوسي^(٣٩)، ١٥- مغنس أو مغلس طبيب مذكور من أهل حمص، من تلاميذ بقراط ومن بلدته، وله ذكر في زمانه، وهو أقدم من جالينوس، وله تصانيف منها: (كتاب البول) مقالة واحدة.^(٤٠)

ومما تقدّم نجد أن بقراط من أشهر الأطباء في زمانه الذين انتهت إليهم صناعة الطب^(٤١)، وهذا سبب واضح في إقبال التلاميذ عليه والإفادة منه.

٦- أولاده: لقد توفي بقراط وخلف من الأولاد لصلبه ثلاثة أولاد، هم:

١- ثاسلوس، ٢- دارقن، ٣- مايا ارسيا، وكانت أبرع من ابنه، وله حفيدان يدعى كل واحد منهما بقراط، أحدهما ابن ثاسلوس، والثاني ابن دارقن^(٤٢)، وقد أفاد أولاده وأحفاده منه، لأنهم تعلموا منه ودرسوا عليه.

٧- أخلاقه: لقد تمتع بقراط بأخلاق العلماء والأطباء والحكماء والفلاسفة، إذ يجد القارئ في صدور كتبه وصايا جميلة من التحنن والشفقة على النوع، وتطهير

(٣٧) ابن النفيس للدكتور بول غليونجي ص ١٩، الهيئة المصرية الناشر للكتاب، وشرح فصول أبقراط ص ١٧.

(٣٨) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٠-٤٠١، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٢٦.

(٣٩) تاريخ العلم جورج سارتون، دار المعارف، ١/٢٢٠.

(٤٠) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ٢/٤٣١، والفهرست لابن النديم ص ٣٥١.

(٤١) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٠، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٢٣.

(٤٢) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٠، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٢٦.

الأخلاق من الكبر والعجب والحسد،^(٤٣) ويتحدث أرسطو في كتابه السياسة عن عظمة أبقرات الطبيب^(٤٤)، وقال يحيى النحوي: «أبقرات وحيد دهره الكامل الفاضل المبين المعلم لسائر الأشياء، الذي يضرب به المثل، الطبيب الفيلسوف، وبلغ به الأمر إلى أن عبده الناس، وأول من علّم الغرياء الطب وجعلهم شبيهاً بأولاده لما خاف على الطب أن يفنى من العالم»^(٤٥).

وقال القفطي: «كان بقرات يعالج الناس احتساباً»^(٤٦).

«والطبيب على رأي بقرات هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال:

الأولى: أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء، حسن الذكاء، جيد الرؤية، عاقلاً، ذكوراً^(٤٧)، خيّر الطبع.

الثانية: أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف البدن والثوب.

الثالثة: أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم.

الرابعة: أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.

الخامسة: أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس.

السادسة: أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل عليّة القوم، فضلاً عن أن يتعرض إلى شيء منها.

(٤٣) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٢٣.

(٤٤) تاريخ العلم ١/٢٢٠.

(٤٥) الفهرست لابن النديم ص ٤٠٠، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٢٥، وشرح فصول أبقرات ص ١٦.

(٤٦) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٢١، وشرح فصول أبقرات ص ١٧.

(٤٧) صاحب ذاكرة قوية.

السابعة: أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال، لا يصف دواءً قتالاً ولا يعلمه، ولا دواءً يُسقط الأجنة، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه». وقال: «المعلم لصناعة الطب هو الذي اجتمعت فيه الخصال بعد استكماله صناعة الطب، والمتعلم هو الذي فراسته تدل على أنه ذو طبع خير، ونفس ذكية، وأن يكون حريصاً على التعليم، ذكياً، ذكوراً لما قد تعلمه»^(٤٨).

ولم يسع بقراط إلى طلب الغنى، ولا إلى زيادة في المال تفضُّل عن احتياجه الضروري، وفي ذلك قال جالينوس: «إن أبقراط لم يجب أحد ملوك الفرس العظيم الشأن المعروف لدى اليونانيين (بأرطخششت) - وهو أزدشير الفارسي جدُّ دارا بن دارا- إذ عرض في أيام هذا الملك للفرس وباء، فوجّه إلى عامله بمدينة (فاوان) أن يحمل إلى أبقراط مئة فنطار من الذهب بكرامة عظيمة وإجلال، وأن يكون هذا المال مقدمة له، ويضمن له إقطاعاً يمثلها، وكتب إلى ملك اليونانيين يستعين به على إخراجه إليه، فلم يُجب أبقراط إلى الخروج عن بلده إلى الفرس، فلما أُلح عليه ملك اليونان في الخروج إليه، فقال أبقراط: لست أبدل الفضيلة بالمال، وعالج الملك (بردقس) من أمراض أُصيب بها، ولم يبق عنده دهره، وانصرف إلى علاج المساكين والفقراء الذين كانوا في بلده، وفي مدن أخرى وإن صغرت، وتنقل في جميع مدن اليونان، حتى وضع لهم كتاباً في الأهوية والبلدان»^(٤٩).

وقال ياقوت: «وذكر بقراط الحكيم في كتابه (الثناء) أنه كان في بعض السواحل فبلغه أن هناك قرى كثيرة قد فشا فيها الموت، فقصدتها ليعرف السبب، إذ تبين له أن بعض الحيوانات حملها السحاب من البحر وألقى بها على نحو عشرين فرسخاً من

(٤٨) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص ٤٦ - ٤٧ بتصرف.

(٤٩) السابق ص ٤٧.

هذه القرى، ففنتت، حتى فشا الموت فيها من ننتها، فعمد بقرط إلى جباية الأموال من تلك المنطقة، واشترى بها ملحًا، ثم أمر أهل تلك القرى أن يحملوه ويلقوه على الجثث المتفسخة حتى انتهت رائحتها، وكف الموت عنهم»^(٥٠).

مما تقدّم نرى أن بقرط كان يمتاز بأخلاق الحكماء والعلماء والأطباء والفلاسفة الذين نذروا حياتهم في سبيل نشر العلم والفضيلة والأخلاق التي يدوم بقاء المجتمعات ما إن تمسكت بها. وكان يعالج المرضى مجانًا ولا سيما الفقراء، ولا يأخذ الأجرة إلا من الأغنياء، ولم يشغله الدرهم والدينار ولم يقدّمهما على الفضيلة، ويحافظ على أرواح الناس ونفعهم، ويوصي بعدم إسقاط الأجنة، ويعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه، ولا يُفشي أسرار المرضى ولا يبوح بها، وكان عفيف النظر صادق اللمحة، ولا يخطر بباله أمور النساء إذ يملك نفسه.^(٥١) وكان قبل الطب ملكًا ترك الملك وترهد به.^(٥٢)

٨- أوصافه: قال شمس الدين الشهرزوري^(٥٣): «كان بقرط ربعةً، أبيض،

حسن الصورة، أشهل العينين، غليظ العظام، ذا عصب، معتدل اللحية، منحني الظهر، عظيم الهامة، بطيء الحركة، إذا التفت يلتفت بكليته، كثير الإطراق، مصيب القول، متأنياً في كلامه، يكرر على السامع منه بين يديه إذا جلس، إن كُلم أجاب، وإن سُكيت عنه سأل، وإن جلس كان نظره إلى الأرض، معه مداعبة، كثير الصوم، قليل الأكل، بيده أبدأ مرؤودٌ وإما مبضع، مات وله خمس وتسعون سنة».

(٥٠) معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/١٨٩ - ١٩٩ بتصرف يسير.

(٥١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٢٢.

(٥٢) تاريخ الحكماء ص ٢٠٠. ٢٠١.

(٥٣) تاريخ الحكماء ص ١٩٩، ومختار الحكم ومحاسن الكلم لأبي الوفاء المبرّ بن فاتك،

ص ٤٩، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بدوي، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات (١٩٨٠)،

وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٩.

٩- قَسَمَ أَبِقْرَاطُ: قال أَبِقْرَاطُ^(٥٤): «إني أقسم بالله رب الحياة والموت، وواهب الصحة، وخالق الشفاء وكل علاج، وأقسم بأسقليبوس، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً، وأشهدهم جميعاً على أني أفى بهذه اليمين وهذا الشرط، وأرى أن المعلم لي في هذه الصناعة بمنزلة آبائي، وأواسيه في معاشي، وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلته من مالي.

وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساوٍ لإخوتي، وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجر ولا شرط، وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي، والتلاميذ الذين كُتِبَ عليهم الشرط أو حلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة، أما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك، وأقصد في جميع التدابير، بقدر طاقتي منفعة المرضى.

وأما الأشياء التي تضرُّ بهم وتدني منهم بالجور عليهم، فأمنع منها بحسب رأيي، ولا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً، ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة، وكذلك لا أرى أن أدني من النسوة فرجة (شيء تتداوى به النساء) تسقط الجنين، وأحفظ نفسي في تدبيرتي وصناعتي على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل، وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إراديٍّ مقصود إليه في سائر الأشياء، وفي الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد، وأما الأشياء التي أعابنها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً، فأمسك عنها، وأرى أن أمثالها لا ينطق بها، فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسدها شيئاً كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على

(٥٤) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص ٤٥، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء ١٧/١.

أفضل الأحوال وأجملها، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان، ومن تجاوز ذلك كان بضده». إن هذا القسم الذي تركه لنا الطبيب أبقرط كان قانوناً ونبراساً إلى يوم الناس هذا، إذ يقسم به كل إنسان تخرّج في كليات الطب، وفي الجامعات التي تعلّم هذه الصنعة في أصقاع العالم، ولو لم يترك أبقرط للإنسانية سوى هذا القسم لكفاه.

١٠ - وفاته: عاش بقراط زهاء خمسة وتسعين عامًا^(٥٥) متعلماً عالماً، ووفاته المنية سنة (٣٧٧ ق.م) في مدينة لاريسا (*Liriss*) من أعمال تساليا جنوب اليونان، ويُروى أنه مات بمرض الفالج.^(٥٦)

١١ - مؤلفاته: لقد عُرفت مؤلفات أبقرط *FTQG* نشرها بوساطة إميل ليتريه (*Emile-Litter*) سنة (١٨٠١ - ١٨٨١) في عشر مجلدات، تحت عنوان مجموعة مؤلفات أبقرط، إذ ذكر ليتريه أن هذه المؤلفات بلغت اثنين وسبعين مؤلفاً، ونُشر منها الأكثر شهرة، إذ نشرها (صموئيل جونز - *Samuel Jones*) في أربع مجلدات، تتضمن مختارات باليونانية والإنكليزية،^(٥٧) ولا بد من تقديم موجز للمؤلفات التي ثبت نسبها إلى أبقرط، ولا سيما المؤلفات التي احتفظ بها الزمان لنا.^(٥٨)

أ - كتاب: المرض المقدس (الصرع):^(٥٩)

(٥٥) لقد اضطرت الأخبار في تاريخ وفاة بقراط، وتنحصر ما بين (٣٨٠ - ٣٧٠ ق.م)، تاريخ

العلم ٢١٩/١، وشرح فصول أبقرط ص ١٨.

(٥٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٩.

(٥٧) شرح فصول أبقرط ص ١٨.

(٥٨) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٢٧ - ١٢٨، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء

ص ١٤٤ - ١٤٦، والفهرست لابن النلم ص ٤٠١ - ٤٠٢، وتاريخ العلم ١/٢٢١ -

٢٣٦، وشرح فصول أبقرط ص ١٨ - ٢٤.

(٥٩) شرح فصول أبقرط ص ١٩.

وهو من أبرز المؤلفات الأبقراطية في نظر مؤرّحي علم الطب، ويعالج فيه أبقراط مرض الصرع (الاختيار العصبي) وأنواعاً أخرى من النوبات العصبية والأمراض العقلية. وفي بداية هذا الكتاب، يعترض أبقراط على تسمية الصرع بالمرض المقدس، فالأمراض لا تنقسم في نظره إلى طبيعية ومقدسة.

يقول أبقراط: «هأنذا أبدأ ببحث المرض المعروف بالمقدس وليس هو في رأيي أعرق في الألوهية أو القداسة من سواه من الأمراض، بل له سبب طبيعي. أما ألوهية أصله المزعومة، فمردها إلى جهل الناس واستغرابهم لطبائعه الخاصة.. وهناك أمراضٌ أخرى لا تقل عن هذا المرض غرابة وهولاً، ومع ذلك لم يعدّها أحد مقدسة».

ب- كتاب: الإنذار المرضي: (٦٠)

ويصف فيه أبقراط نشوء الأمراض الحادة وتطورها، حتى يتمكن الطبيب من التكهّن بأطوار المرض عند ابتدائه.

ج- الأمراض الحادة (التدبير الصحي في الأمراض الحادة): (٦١)

بحث أبقراط في هذا الكتاب الأمراض التي تتميز بجمرة عالية كالعلل الصدرية والملاريا المتقطعة، ويرى أن علاجها يقتزن بنظام غذائي خاص.. مشيراً في أحيان قليلة إلى علاجها بالأدوية المركبة.

وقد عرف المسلمون هذا الكتاب ضمن ثلاثين كتاباً أبقراطياً، وأوصوا بدراسته ضمن اثني عشر كتاباً لأبقراط لا غنى عنها في صناعة الطب. ونقل هذا الكتاب للعربية حنين بن إسحاق العبادي، وتوجد منه مخطوطة بأيا صوفيا محفوظة تحت رقم (١/١٤٣٨) بعنوان: الأمراض الحادة. وتوجد ترجمة عربية أخرى لعيسى بن يحيى بن

(٦٠) السابق ص ١٩.

(٦١) السابق ص ١٩.

إبراهيم، أحد تلامذة حنين بن إسحاق.

د- الأوبئة (أبيديميا):^(٦٢)

يعدُّ كتاب الأوبئة (*epidemics*) من روائع المؤلفات العلمية اليونانية، وهو مجموعة من الأنظمة الصحية والتسجيلات السريرية. وقد عرفه المسلمون معرفة جيدة، من خلال ترجمة حنين بن إسحاق.. وتوجد نسخة من هذه المخطوطات الإسلامية بالأسكوريال، تحت رقم (٨٠٤ - ٨٠٥ أول) ونجد لهذا الكتاب عدة شروح، من بينها شرح لابن النفيس، وتوجد نسخة بدار الكتب بالقاهرة، برقم (٥٨٣ طب / طلعت) وسوف تصدر قريباً طبعة محققة من شرح ابن النفيس على هذا الكتاب، للدكتور يوسف زيدان.

ه- الجروح في الرأس^(٦٣):

هو أروع بحوث أبقراط الجراحية، ويشتمل على أوصاف لأنواع الجماجم المختلفة، كما يشتمل على وصف لنظرية الكسر بالصدمة المعاكسة (*contrecoup*) ومنهجاً لكيفية ثقب الجمجمة بالترتبة والحالات التي تجري فيها هذه الجراحة.

و- الكسور والمفاصل وأدوات الجبر:^(٦٤)

هو من المؤلفات الثابت نسبتها إلى أبقراط، وضعه جالينوس - أكبر شراح أبقراط اليونانيين - في المجموع الأول من المؤلفات الأبقراطية، وعرفه المسلمون بعنوان (الكسر والجبر) وكان ضمن المؤلفات الموصى بقراءتها لمن أراد تعلم الطب.

(٦٢) شرح فصول أبقراط ص ٢٠.

(٦٣) السابق ص ٢٠.

(٦٤) السابق ص ٢١.

ز- طبيعة الإنسان (الأخلاق):

ويبحث فيه أبقراط بعض النظريات الطبية، وأهمها نظرية الأخلاط القائمة على فكرة الفيسيس (*physis*) التي اشتقت منها كلمة (*physiology*) وهي نظرية فلسفية في الأصل، تقول بأن هناك طبائع أربع للأشياء (الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة) وتقابل في الطب الأخلاط الأربعة (البلمغ والدم والمرارة السوداء والصفراء) إذ تنشأ الصحة من انسجام هذه الأخلاط، كما ينشأ المرض من اضطرابها.

وقال جورج سارتون: إن هناك كتاباً أبقراطياً بعنوان (الأخلاط) يختلف عن هذا الكتاب، وإن النقاد أشاروا إلى أنه مسودة أبقراطية. وهو حافل بالألغاز، ولا يكاد يعرض لموضوع الأخلاط التي لم يعرض لها إلا كتاب الطبيعة الإنسانية.^(٦٥) وعدَّ الأطباء المسلمون كتاب الطبيعة الإنسانية من أهم مؤلفات أبقراط، ونالت نظرية الأخلاط مكانة عالية عندهم .. ويذكر ابن سينا الأخلاط في أرجوزته الطبية المطولة فيقول:^(٦٦)

الجسمُ مخلوقٌ من الأمشاج مختلفاتِ اللونِ والمزاج
من بلمغٍ ومِرّةٍ صفراءِ ومن دمٍ ومِرّةٍ سوداءِ

وقد ترجم عيسى بن يحيى كتاب (في الأخلاط، لأبقراط) وتوجد منه نسخة بآيا صوفيا، برقم ٣٦٣٢ (أوراق ٣١ ب: ٣٩ أ).

ح- الأهوية والمياه والأماكن:^(٦٧)

(٦٥) تاريخ العلم لجورج سارتون ٢/٢٨٢.

(٦٦) وهما من أرجوزة ابن سينا الطبية ص ٧٢-٧٣، انظر ابن النفيس غليونجي، ص ٢٢-٢٥.

(٦٧) شرح فصول أبقراط ص ٢٢.

يعدُّ هذا الكتاب أول بحث في علم المناخ الطبي، وأول دراسة في علم الأجناس البشرية، وفيه يوجه أبقراط أنظار الطبيب إلى أهمية المناخ وتأثيره في الطبع، وإلى ضرورة دراسة كل مسألة طبية في جوّها الجغرافي الخاص.

وترجم الكتاب إلى العربية قديماً حنين بن إسحاق، ثم ترجمه في القرن الماضي د/ شبلي شميل (توفي ١٩١٧م) وطبع بالقاهرة (المقتطف ١٨٨٥م) وتوجد عدة نسخ من هذه الطبعة بدار الكتب بالقاهرة وبمكتبة الجامع الأزهر (دار الكتب برقم ١ طب/ تيمور- الأزهر برقم ١٩٣ خاص / الطب) أما ترجمة حنين بن إسحاق، فتوجد منها نسخة مخطوطة بأيا صوفيا.

ط- كتاب الغذاء: (٦٨)

يجاول أبقراط في هذا الكتاب شرح عملية التغذية البالغة التعقيد، فيعرف الغذاء وضرورة تحوله إلى سائل ليستفيد منه الجسم، كما يتحدث الكتاب عن عمليات النبض وحركة التنفس وارتباطهما بالسّن. و تعدُّ هذه أول إشارة طبية إلى النبض في التراث اليوناني.

وترجم هذا الكتاب إلى العربية واحدٌ من أقدم المترجمين هو الحجاج بن يوسف بن مطران المعروف بالحاسب الوراق. وتوجد من هذه الترجمة نسخة ضمن المجموعة الخطية بأيا صوفيا، المحفوظة تحت رقم ٣٦٣٢.

ي - مقدمة المعرفة: (٦٩)

وهو من مؤلفات الحكيم الطبية، يتألف من ثلاث مقالات تحتوي كل مقالة منها على عدة فصول، وأول هذه المقالات - بحسب الترجمة العربية - يقول فيها أبقراط: «إني أرى أنه أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر...» وقد ترجم هذا الكتاب

(٦٨) السابق ص ٢٢.

(٦٩) السابق ص ٢٣.

يعقوب الكندي، وتوجد منه عدة نسخ خطية، منها نسخة بدار الكتب بالقاهرة (١٧٧ طب/ تيمور) ونسخة أخرى بالإسكندرية (برقم ٣٧٢٢ طب) كما ترجمه حنين بن إسحاق، مع شرح جالينوس عليه .. وتوجد من ترجمة ابن إسحاق للكتاب وشرحه نسخة مخطوطة بباريس (المكتبة الوطنية، رقم ٢٨٣٧/ أول).

ووضع الأطباء المسلمون شروطًا عديدة على هذا الكتاب، منها شرح عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الصادق النيسابوري (المتوفى بعد سنة ٤٦٠ هـ) وشرح مهذب الدين بن علي الدَّخَوَّار (المتوفى ٦٢٨ هـ) وشرح لابن النفيس.

وإلى جانب هذه القائمة من المؤلفات الأبقراطية، عرف المسلمون العديد من كتب ورسائل أبقراط، وكانت معرفتهم لهذا التراث الأبقراطي مبكرة إلى حد ما، فقد تمت ترجمة معظم آثار أبقراط إلى اللغة العربية إبان القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر للميلاد) ونظر المسلمون إلى أبقراط نظرة خاصة، عدَّوه: أول من دوَّن علم الطب.

لكن صورة أبقراط عند المسلمين، وتراثه المترجم للغة العربية، يضيق المقام هنا إذا أردنا الإفاضة فيهما، وربما كان في حاجة إلى بحث مفرد مستقل.

فصول أبقراط: (٧٠)

الفصول هي أشهر ما كتبه أبقراط على الإطلاق، وربما كان الأثر الأبقراطي الوحيد الذي ينازع الفصول في لقب (أشهر المؤلفات الأبقراطية) هو: قسم أبقراط. وفصول أبقراط عبارة عن حكم طبية موجزة، أودع فيها خبراته وملاحظاته الطبية، وكان اختيار هذا الشكل الموجز أمرًا مستحسنًا عند اليونان، فقد كانوا يرون في الإيجاز الموحى، صفة من صفات الحكمة لمعناها العام. ولهذا نجد العديد من كتب

أبقراط قد سارت على هذا النحو، إلى جانب مؤلفات يونانية أخرى كأمثال (أيسوب) وكتابات الفيلسوف الكبير (هيراقليطس).

١٢ - شُراح كتاب الفصول:

الفصول الأبقراطية صاحبة أكبر عدد من الشروح في تاريخ الطب الإنساني، فقد اعتنى بها الأطباء في كل العصور عناية لا مثيل لها. وربما رجعت أسباب هذه العناية الفائقة إلى إعجاب الأطباء بشخصية أبقراط، أو لأن الأسلوب الذي كُتبت به الفصول يُتيح لكل شارح أن يعبر عن نفسه تمامًا من خلال شرح عبارات أبقراط الموجزة الموحية.

أما أول شرح على كتاب الفصول فقد قام بوضعه طبيب مشهور من أسرة أكليوس، وهو جالينوس المتوفى (٢٠٠م)، الذي جمد الطب القديم بعده حتى بعثه المسلمون مرة أخرى.

ويرجع الفضل في معرفتنا بكتاب الفصول وبشرح جالينوس عليه إلى مترجم عاش في بغداد في عصر المأمون والمتوكل، هو أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي المتوفى سنة (٢٦٠ هـ)، هذا ما ذكره بروكلمان^(٧١)، الذي أثبت بعض مخطوطات حنين بن إسحاق حين ذكر مؤلفات جالينوس، إذ ترجم حنين بن إسحاق كتاب الفصول من اليونانية إلى العربية، وهذه الترجمة أتاحت للأطباء المسلمين شرقًا وغربًا أن يدرسوا هذا الأثر الأبقراطي، وثمة مخطوطات بالعربية لكتاب الفصول في مختلف مكاتب العالم.^(٧٢)

وقد انعقدت شروح كثيرة على كتاب الفصول التي وضعها الأطباء العرب والمسلمون، إذ قام جورج سارتون^(٧٣) بالبحث عن شروح كتاب الفصول وترجماتها إلى

(٧١) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (الترجمة العربية) ١٠٤/٤.

(٧٢) شرح فصول أبقراط ص ٢٥ - ٢٦.

(٧٣) تاريخ العلم لجورج سارتون ١/٢٢١ - ٢٣٥ و ٢/٣٠٨، ويسمي فصول أبقراط كتاب الحكم.

مختلف لغات العالم كـ (اليونانية والسريانية والعربية واللاتينية والعبرية) ولا بد من الوقوف على هذه الشروح، وهي:

١- شرح لأبي القاسم عبد الرحمن بن علي بن أبي الصادق النيسابوري، الملقب بقراط الثاني، (ت ٤٦٠هـ)، وهو بعنوان: أوفر الشروح.. ويوجد من هذا الشرح العديد من النسخ الخطية في العالم.^(٧٤)

٢- شرح ابن رضوان المصري (ذكر سارتون أنه من معاصري ابن أبي الصادق).. ولكن لم نقع على أي إشارات أخرى إلى هذا الشرح^(٧٥).

٣- شرح يوسف بن حاسداي الإسباني (المتوفى خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري) وهو بعنوان: شرح الفصول^(٧٦).

٤- شرح موسى بن ميمون الطيب (قضى الشطر الأول من حياته بمصر) وقد ترجم هذا الشرح إلى اللغة العبرية سنة ١٢٥٧ ميلادية^(٧٧).

٥- شرح يوسف بن مائير بن زبارة الإسرائيلي، المغربي الأصل، عاش في مدينة فاس في النصف الثاني من القرن السادس الهجري. وكان رئيسًا من أطباء الملك ظاهر غازي بن ناصر.^(٧٨)

٦- شرح مهذب الدين عبد الرحيم بن علي، الملقب بالدخوار (توفي ٦٢٨هـ) وهو أستاذ ابن النفيس وابن أبي أصيبعة.. وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الشرح بدار

(٧٤) شرح فصول أبقرط ص ٢٩.

(٧٥) السابق ص ٣٠.

(٧٦) السابق ص ٣٠.

(٧٧) تاريخ العلم لجورج سارتون ٣٠٢/٢، وشرح فصول أبقرط ص ٣٠.

(٧٨) كشف الظنون ٨٠٢/٢، وتاريخ العلم ٣٠٣/٢، وشرح فصول أبقرط ص ٣٠.

الكتب المصرية. (٧٩)

٧- شرح يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن القفّ الكركي النصراني (توفي بدمشق ٦٨٥هـ) في مجلدين، بعنوان: الأصول في شرح الفصول .. أكمله سنة ٦٧١هـ، وتوجد منه نسخ خطية عديدة^(٨٠).

٨- شرح ابن النفيس.

٩- شرح الشيخ محمد العطار الدمشقي، بعنوان: شرح فصول أبقراط.. وتوجد منه نسخة بدار الكتب بالقاهرة، برقم ٤٤٠/ط، تيمور (كتب سنة ١٢٢٨هـ)^(٨١).

١٠- شرح صدقة بن منجا الدمشقي (طبيب سامري توفي ٥٢٠هـ) بعنوان: شرح فصول أبقراط .. ذكر حاجي خليفة أنه لم يتمه^(٨٢).

١١- شرح برهان الدين نفيس بن عوض الكرمانى (المولود في كرمان بقرب سمرقند، وكان طبيب إلغ بيك كوركان) وقد أشارت المراجع إلى هذا الشرح^(٨٣).

١٢- شرح محمد بن عبد السلام المظفرى، بعنوان: بدائع النقول في شرح الفصول وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٧م/ط. وهذه النسخة بتاريخ ٨٨٧ هجرية^(٨٤).

١٣- شرح عماد الدين بن عبد الرحيم البقال^(٨٥).

(٧٩) شرح فصول أبقراط ص ٣٠.

(٨٠) السابق ص ٣٠ - ٣١.

(٨١) السابق ص ٣١.

(٨٢) السابق ص ٣١.

(٨٣) فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب) لسامي همارنة ص ٢٨١، وشرح فصول أبقراط ص ٣١.

(٨٤) شرح فصول أبقراط ص ٣١.

(٨٥) شرح فصول أبقراط ص ٣١.

- ١٤- شرح ابن الطيب، وقام بتهديب الشرح: رضي الدين الرحبي.^(٨٦)
- ١٥- شرح شمس الدين الحكيم بن عبدان الدمشقي، المعروف بابن اللبودي (المتوفى ٦٢١هـ) مع تعليق لابن المنذر.^(٨٧)
- ١٦- شرح الفاضل الرئيس أحمد بن سعد بن علوان الطيب.. بعنوان: تنبيهات العقول على حل مشكلات الفصول.^(٨٨)
- ١٧- شرح أحمد بن محمد قاسم الكيلاني.. وهو شرح مع ترجمة للتركية، أهدها الكيلاني إلى جاني بك محمود أمير العشيرة الزرقاء في غربي القبجاني.^(٨٩)
- ١٨- شرح عبد الله بن عبد العزيز بن موسى السيواسي، الطيب التركي، بعنوان: عمدة الفحول في شرح الفصول.^(٩٠)
- ١٩- شرح عز الدين محمد بن أبي محمد بن أبي بكر بن جماعة (المتوفى ٨١٩هـ).^(٩١)
- ٢٠- شرح المناوي (المتوفى ٨٩٣هـ) بعنوان: تحقيق الوصول إلى شرح الفصول، وتوجد منه نسخة خطية بالأسكوريال، برقم ٨٧٨.^(٩٢)
- ٢١- شرح موفق الدين بن يوسف البغدادي (المتوفى سنة ٩٢٩هـ).^(٩٣)
- ولعل هذه الشروح التي انعقدت على كتاب الفصول تبين لنا أهمية هذا الأثر الأبقراطي من جهة، وتكشف عن اهتمام الأطباء العرب والمسلمين، وغيرهم ممن

(٨٦) السابق ص ٣١.

(٨٧) كشف الظنون ٨٧/٢، وشرح فصول أبقراط ص ٣٢.

(٨٨) شرح فصول أبقراط ص ٣٢.

(٨٩) تاريخ العلم لجورج سارتون ٣٠٥/٢، وشرح فصول أبقراط ص ٣٢.

(٩٠) فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب) لسامي حمارة ص ٢١٨، وشرح فصول أبقراط ص ٣٢.

(٩١) شرح فصول أبقراط ص ٣٢.

(٩٢) السابق ص ٣٢.

(٩٣) السابق ص ٣٢.

سبقهم إلى شرح هذه الآثار التي خلّفها لنا أبو الطب أبقرات الذي اعترف له الشرح العرب الأوائل بالفضل والعرفان والجميل من جهة ثانية، إلا أن شرحًا واحدًا من هذه الشروح أكثر أهمية من غيره، وهو الشرح الذي وضعه مفخرة الطب الإسلامي، مكتشف الدورة الدموية، صاحب المؤلفات الطبية الرائعة، أوحد زمانه، الحكيم الرئيس، علاء الدين القرشي، المعروف بالعلامة ابن النفيس.

من خلال وقوفنا على السيرة الذاتية لأبقرات الحكيم تبين لنا أن مدينة حمص الشام هي من المدن القديمة الحية في التاريخ، إذ توالى عليها أقوام كثيرون من العمالقة وغيرهم، وأمّها وزارها وسكنها ونزل فيها الأطباء والحكماء و الفلاسفة والعباقرة في أيام خلت، وهذا أبقرات واحد من هؤلاء.

المصادر والمراجع

- ١- ابن النفيس لبول غليونجي (أعلام العرب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٢- إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، تح، د. عبد المجيد دياب، مكتبة ابن قتيبة الكويت.
- ٣- أرجوزة ابن سينا الطبية، تح، د. محمد زهير البابا، مطبوعات معهد المخطوطات العربية في الكويت (١٩٨٦م).
- ٤- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
- ٥- أفلاطون محاورة (بروتاجوراس)، المؤسسة المصرية العامة للكتاب القاهرة (١٩٦٧م).
- ٦- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، ط٤ دار المعارف.
- ٧- تاريخ الحكماء (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) تأليف شمس الدين الشهرزوري، تح، د. عبد الكريم أبو شويرب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط١ (١٩٨٨م).
- ٨- تاريخ العلم لجورج سارتون، ترجمة الدكتور جورج حداد وآخرين، دار المعارف، القاهرة.
- ٩- تاريخ مختصر الدول لابن العربي، صححه وفهرسه، الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني (١٩٨٣م).
- ١٠- دائرة المعارف الإسلامية، راجعها محمد مهدي علاّم، دار المعرفة بيروت.
- ١١- ديوان الخنساء بشرح ثعلب تح، د. أنور أبو سويلم، دار عمار، عمان (١٩٨٨م).
- ١٢- الروض المعطار في خبر الأقطار تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري، تح، د. إحسان

- عباس، مكتبة لبنان بيروت.
- ١٣- شرح فصول أبقراط (مؤلفات ابن النفيس) لعلاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المتوفى سنة (٦٨٧هـ)، تح، الدكتور يوسف زيدان، والدكتور ماهر عبد القادر، الدار المصرية اللبنانية، ط ١ (١٩٩١م).
- ١٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ط ١، (١٩٨٧م).
- ١٥- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، شرح وتحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت.
- ١٦- فهرس مخطوطات الظاهرية، قسم الطب، سامي حمارنة، دمشق (١٩٦٩م).
- ١٧- الفهرست لابن الندم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- ١٨- كشف الظنون لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٩- لا بد من صنعاء (اكتشاف لمدرسة طبية ببلاد اليمن) الدكتور خالد الحديدي، دار الوسطانية.
- ٢٠- مختار الحكم ومحاسن الكلم، لأبي الوفاء المبرش بن فاتك، تح، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط ٢ (١٩٨٠م).
- ٢١- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- ٢٢- معجم دمشق التاريخي للدكتور قتيبة الشهابي، دمشق، وزارة الثقافة، (١٩٩٩م).
- ٢٣- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي، تح، د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب (١٩٨٥م).
- ٢٤- موسوعة الأراجيز والمنظومات الطبية، الدكتور خالد الحديدي، دار الوسطانية (١٩٩٨م).
- ٢٥- الموسوعة العربية في الجمهورية العربية السورية.

المراجع الأجنبية:

- 1- Brockelmann: *Giescheichte der Arabischen Literatur* (1937).
- 2- S. Jones: *Heppocrates loep Classical library* (1923).

المستدرك على ديوان ابن الرومي

د. عباس هاني الجراخ(*)

ابن الرومي شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي. وهو علي بن العباس بن جريح (٢٢١ - ٢٨٣هـ)، وُلد ونشأ في بغداد، ومات فيها مسموماً. له شعر كثير تتوزع موضوعاته بين وصف الطبيعة، والهجاء الساخر، والحياة اليومية في عصره، والحديث عن الأشباح والأوهام، ويتّصف في شعره بتقلّب المزاج وحدّته، وينحو نحو الإطالة والاستقصاء وتوليد المعاني.

أما ديوانه فقد طُبِع على النحو الآتي:

- 1 - عناية وشرح محمد شريف سليم، القاهرة، 1335 هـ - 1917 م، في جزء واحد، ولم يكمل.
- 2 - اختيار وتصنيف كامل الكيلاني، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1924 م، ويقع في ثلاثة أجزاء، في مجلد واحد.
- 3 - تحقيق د. حسين نصّار، وسيدة حامد ومنير المدني، الهيئة المصرية العامة

(*) باحث في الأدب والتراث من العراق.

للكتاب، القاهرة، في ستة أجزاء: 1973، 1974، 1976، 1977، 1979،
1981 م، في 2750 صحيفة، مع الفهارس العلمية. وضّم 2025 قطعة، مجموعها
30772 بيتاً، وأعاد نشرها مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،
1424 هـ - 2003 م، من دون إضافة أي شيء .

٥ - تحقيق علي عبد الأمير مهنا، بيروت، وعمله إلى التجارة أقرب منه إلى العلمية.
إن النشرة القاهرية التي أشرف عليها د. حسين نصّار هي النشرة العلمية الكاملة،
التي رجع إليها الباحثون والمحققون^(١)، وكأنيّ عمل منشور فإن باب الاستدراك يظل
مفتوحاً، وقد استطعتُ بحمد الله الظفر بقطعٍ للشاعر لم ترد في النشرة الأخيرة، فكان
هذا المستدرك^(٢)، الذي يضمّ ١٨٨ بيتاً في ٨٤ نطفة وقطعة .

وقد قسمت المستدرك إلى قسمين، الأول: ما كان للشاعر حقّاً، والثاني: ما نُسب
إليه وإلى غيره، باذلاً الجهد في التنقيب في شتيت المصادر .

نأمل أن يكون هذا المستدرك تتمّة وصلّة تُضَاف إلى الديوان الأصلي، يستفيد منه
الباحثون في الدراسة.

والحمد لله ربّ العالمين .

(١) نشر د. عبد اللطيف عبد الحليم نقداً للكتاب في مجلة (الثقافة) القاهرية، العدد ١٩، السنة الثانية،
إبريل، ١٩٧٥ م: ١٣٠ - ١٣٥، ومجلة (عالم الكتاب) القاهرية، العدد الخامس، يناير، ١٩٨٥
م: ١٨ - ٢٠، والعدد الثامن، ١٩٨٥ م، لكن عمله لم يكن استدرாகاً على الديوان.

(٢) كتب د. حبيب حسين الحسني مقالاً في مجلة كلية الآداب، العدد ٢٠، ١٩٧٦ م، بعنوان:
(استدراكات على دواوين مطبوعة وأخرى محققة) معتمداً على مخطوطة كتاب «المحب والمحبوب»
للسري الرّفاء، وكان من بينها ديوان ابن الرومي، ثم أصدر «المحبوب» ببغداد، ١٩٨٤ م، ثم طبع
الكتاب كاملاً بتحقيق ماجد الذهبي وأتمّه مصباح غلاونجي، لذا لم تُدخل ما استدركه هنا.

المستدرک

۱- قال ابن الرومی: (الخفيف)

هو إلفُ الحِجَا وتَرَبُّبُ المساعي وعقيدُ الندى وحلفُ السنَاءِ

التخريج: المنتخل 1 / 216 .

۲- وقال: (الخفيف)

إِنَّ لِّلَّهِ غَيْرَ مرعَاكَ مرعى نرتعيه، وغير بابكُ بابا

التخريج: أحاسن المحاسن 472 - 473 .

۳- وقال: (مجزوء الرمل)

وجدوا عوادي الصَّفِّ ر على الغمر صليبا

كَلَّمَا زَيْدَ عَذَابَا زادهم صبراً عجيبا

وكذا المِسْكَ إِذَا مَا زَيْدَ سَحَقًا زَادَ طَيْبَا

التخريج: المنتخل: 2 / 918 .

۴- وقال: (الطويل)

يقولون لي: شِخَتْ فارجع عن الصَّبا فقد لاح صُبْحُ في القذال عجيبُ

فقلتُ لأصحابي: دعوني ولدَّتِي فَإِنَّ الكرى عند الصَّبَاحِ يَطْيَبُ

التخريج: طرائف الطرف 111 .

۵- وقال: (الطويل)

نُعَاتِبْكُمْ يَا أُمَّ عَمْرٍو حُبِّكُمْ أَلَا إِنَّمَا المقلبي مَنْ لا يعاتبُ

التخريج: المنتخل 1: 373 .

٦- وقال (الحنيف)

إِنَّ عَطْفَ الْأَمِيرِ فِي بَلَدِ الْعُرِّ
أَيْنَ أَخْلَاقُكَ الْأَيْقَةُ حَالَتْ
بِةِ خَوْفًا عَلَى ذَوِي الْأَدَابِ
عِنَاكَ؟ أَمْ أَيْنَ رِقَّةِ الْكُتَّابِ؟
أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَظْمَأُ
إِنَّ هَذَا لَوْصِمَةٌ فِي السَّحَابِ

التخريج: أحاسن المحاسن: 362 .

٧- وقال (المنسرح)

أُتْرِجَّةٌ كَالْقَضِيبِ نَاعِمَةٌ
حَلَّتْ بِلُونٍ لَهَا وَرَائِحَةٌ
مَا شَانَهَا مُذْهَبٌ بِتَذْهِيبِ
لُونٍ مَحَبٌّ وَرِيحٌ مَحْبُوبِ

التخريج: الكشف والتنبيه 349 .

٨- وقال: (السريع)

الدَّهْرُ كَافٍ مِنْ وَقَائِعِهِ
وَالْعَمْرُ أَفْرَحَنِي عَلَى الْغَضْبِ

التخريج: المنتخل 2 / 607 .

٩- وقال: (الكامل)

فَكَأَنَّمَا يَمْنَايَ حِينَ تَنَاوَلْتِ
أَخَذْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ مَبَشَّرٌ
يَمْنَاكَ إِذْ صَافَحْتَنِي بِكِتَابِ
بِكْرَامَةِ الرِّضْوَانِ يَوْمِ حَسَابِ

التخريج: المنتخل 2 / 838 .

١٠- وقال: (الطويل)

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْبَيْنَ زَمْتِ رِكَابَهُ
طَلَبْنَ عَلَى الرِّكْبِ الْمَجْدِينَ عِلَّةً
وَأَيَّقْنَ مَنَّا بِامْتِنَاعِ الْمَطَالِبِ
فَعُجِّنَ عَلَيْنَا مِنْ صَدُورِ الرِّكَائِبِ
فَلَمَّا تَلَاقِينَا كَتَبْنَ بِأَعْيُنِ
لَنَا كِتَبًا أَعْجَمْتُهُمَا بِالْحَوَاجِبِ

- فلما قرأناهن سراً طوبينها حذار الأعادي بازوارر المناكب
التخريج: منازل الأحباب ۱۸۳ .
- ۱۱- وقال: (الطويل)
وماذا يعيب المرء من قدح نفسه إذا لم يكن في قوله يكذوب
- التخريج: المنتخل 232 . وبلا عزو في: الدر الفريد 321 / 5 .
- ۱۲- وقال في المناجاة: (الوافر)
إلهي قد أسأت، وقد عصيتُ وهأنذا المقرُّ بما جنيتُ
فإن تغفر، فأنت بذاك أهلُ وإن عدبتني فبما آتيتُ
- التخريج: طرائف الطرف 111 .
- ۱۳- وقال: (مجزوء الرمل)
لو يشا أَلَفَ ضَبًّا حُسْنَ تَأْلِيْفٍ بِحُوتِ
ويَقُودُ الْجَمَلَ الصَّعْبِ سَبَ بَحْيِطِ الْعَنْكَبُوتِ
- التخريج: التذكرة الفخرية 4 / 82 .
- ۱۴- وقال: (الوافر)
يقودُ من الفراهية أَلَفَ بَغْلٍ بها حَرَنُ بَحْيِطِ الْعَنْكَبُوتِ
- التخريج: التذكرة الفخرية 9 / 398 .
- ۱۵- وقال: (البيسط)
لو كان مَطْلُكَ ذَا رُوحٍ وَذَا جَسَدٍ من طولهِ، ما شككنا أنه عُوْجُ
كما نوالُكَ مع ما فيه من قِصَرٍ لو مرَّ بالناسِ، قالوا عنه: يا جُوْجُ
- التخريج: المناقب والمثالب 162 .
- ۱۶- وقال: (الكامل)
وبنفسجٍ غَضُّ القِطَافِ، كأنما نثرتُ عليه محاسنُ الماذينج

لا شيء يحكي غير زرقة إثمِدٍ أو دمعَةٍ قطرتْ على فيروزِجِ
التخريج: الكشف والتنبيه 306 .

١٧- وقال: (الكامل)

يا دهرُ صافيتَ اللّامَ مصادقًا لهمُ، وعاديتَ الكرامَ معاندا
فغدوتَ كالميزان ترفعُ ناقصًا من جهلهِ أبدأ، وتخفضُ زائدا

التخريج: المحاضرات والمحاورات 364 .

١٨- وقال: (الكامل)

لبسَ الشتاءِ من الجليدِ جلودا فأشربُ، فقد عاد الزمانُ جديدا
كم مؤمن قرصتُهُ أظفار الشتاء فغدا لِسكّانِ الجحيمِ حسودا
وترى طيورَ الجوّ في أرجائه تختار حتى النار والسّفودا
ولو ارتميتَ بفضل كأسك في الهوى رجعتُ إليك من العقيقِ عقودا
يا صاحب العودين لا تهملُهما حرّقْ لنا عودًا، وحرّكْ عودا

التخريج: سرور النفس ٣٠٢ . والبيتان ٣ و٤ في: الكشف والتنبيه ٢٤٦، بلا عزو، ولم يُشر محققه إلى نسبتها لابن الرومي.

١٩- وقال: (المنسرح)

قُبُلُك والبرِّ مُدٌّ بذلتَهما تكفّلا أن تعيشَ في رغدِ
وسَعَتَ هذا، فعِشْتِ في سعةٍ وقام هذا، فقام بالأودِ

التخريج: التذكرة الفخرية 5 / 154 .

٢٠- وقال، وتُروى لغيره: (الوافر)

أتذكرُ ليلةَ العقتِ فيها وأنتَ وليدها عسلاً وصبرا

لَتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ كُلَّهُ حُلُوءًا وَمَرًّا

التخريج: أحاسن المحاسن 147 .

٢١- وقال: (الوافر)

تَشَبَّهَ بِالْفِعَالِ بِهِ أَنْاسٌ وَأَنْتَى يُشْبِهُ الشَّبَّهَ النَّضَارَا

التخريج: المنتخل 1 / 251 .

٢٢- ويضاف إلى التتفة في 2 / 85، قوله، ويكون ثانيًا: (الطويل)

لِيَهْنِكُمْ الْمَلِكُ الَّذِي أَصْبَحَتْ بِكُمْ أَسْرَتُهُ مَخْتَالَةً وَالْمَنَابِرُ

التخريج: المنتخل 2 / 891 .

٢٣- وقال: (البيسط)

وَمَا لَوْجِهِ رَجَائِي عَنْكَ مَنْصَرَفٌ وَهَلْ يَفَارِقُ جُرْمَ الْمُشْتَرِي الثَّوْرُ؟

التخريج: المنتخل 1 / 298 .

٢٤- وقال: (الطويل)

وَإِنِّي لِأَرْجُو مِنْ سَمَائِكَ مَطْرَةً أَهْرُ لَهَا عِطْفِيَّ مِنْ وَرَقِ نَضْرٍ

التخريج: المنتخل 1 / 305 .

٢٥- وقال في البقرية: (البيسط)

فَقُلْتُ: الطَّعَامُ، فَقَالُوا: مِنْ مَزْوَرَةٍ فَقُلْتُ: زَوْرٌ وَلَيْسَ الزَّوْرُ مِنْ وَطْرِي:

هَاتُوا أَطْيَابَ ثَوْرٍ فَاتَّقِ سَمْنَا كَالْفِيلِ جَسْمًا، وَإِنْ عَدَّوْهُ فِي الْبَقْرِ

وَسَكِّجُوهَا، وَوَفَّوْهَا تَوَابِلَهَا وَزَعْفَرُوهَا، وَصَوْنُوهَا عَنِ الْغَيْرِ

وَقَدِّمُوهَا عَلَى بِيضَاءٍ صَافِيَةٍ كَأَنَّمَا خُلِقَتْ مِنْ دَارَةِ الْقَمَرِ

فَمَنْ نَجَا، فِدْفَاعُ اللَّهِ سَلَّمَهُ وَمَنْ مَضَى فِإِلَى الْفَرْدُوسِ أَوْ سَقَرِ

التخريج: أحاسن المحاسن 210 .

٢٦- وقال: (البيسط)

وناطِرٍ نحو عين الشمس يرمئُها حتى إذا غربت أغضى بتكيسِ
كأنه، ودروع الماء تشمله تحت الشعاع، أكاليل الطواويسِ

التخريج: الكشف والتنبيه 309 . وبلا عزو في: نهاية الأرب 11 / 225 .

٢٧- وقال: (المتقارب)

أيا دهرٌ ويحك، ما ذا الغلط؟ وضيعٌ علا ورفيعٌ سقطُ
همازٌ يُسَيِّبُ في روضةٍ وطرفٌ بلا علفٍ يُرْتَبِطُ

التخريج: أحاسن المحاسن: 154 .

٢٨- وقال: (الخفيف)

قد رأينا الجيادَ تجري بعرقٍ فسريعٌ لدى الرهان ومُبطي
وشقيقين يسموان بجدِّ فمانعٌ - بما لديه - ومعطي
وقضيين ثابتين لأصلٍ سمفا فيه بين جمعٍ وسَبَطِ

التخريج: الأونس والعرس 209 - 210 .

٢٩- وقال: (البيسط)

إنَّ الزمانَ رأى إلفَ السرورِ لنا فنمَّ بالهجرِ فيما بيننا وسعى
ولم تنزلْ نائباتُ الدهرِ ترصدني حتى تجرعتُ من كاساته جُرعا
فليصنعِ الدهرُ بي ما شاء مجتهدًا فلا زيادةَ شيءٍ فوقَ ما صنعا

التخريج: الدرّ الفريد 2 / 330 . وبلا عزو، في: المتخلل 2 / 758 .

٣٠- وقال: (مجزوء الخفيف)

والثريّا كأثّا في بروج المطالعِ

کفّ خودِ تَحْتَمَّتْ فی رؤوسِ الأصابعِ

التخريج: الكشف والتنبيه 180 .

۳۱- وقال: (الوافر)

وما تُعْني التَّجاربُ عنكَ ما لم تُعاوَنها برأْيٍ واخْتراعِ

التخريج: المنتخل 1 / 246 .

۳۲- وقال: (الكامل)

جاءتْ إلى طرائفِ بطرائفَ لوانان من لوزينج وقطائفِ
هذا ديبقي الثياب ملففٌ بملابسٍ صُقلتْ وذا بمناشفِ

التخريج: التذكرة الفخرية 9 / 125 .

۳۳- وقال: (السريع)

قد عسكر اللؤم على بابه في ألف سباقٍ وقد خندقا
وعبده يسرق من جوعه لا بد للجائع أن يسرقا
وقلبه من غير سُقمٍ به كأنما أسقيته خربقا
إن جئته مُستسقيًا ماءه كأنما استسقيته زبقا
هذا الذي يمنعكم ماءه فكيف لو تسأله جردقا

التخريج: المناقب والمثالب 251 .

۳۴- وقال: (الرجز)

وكلُّ أخلاقك مَرَضِيَّةٌ فما لخلقٍ ذمُّها من خلاقِ

التخريج: المنتخل 1 / 215 .

۳۵- وقال: (الكامل)

قَبْلَ أنامله، فَلَسْنَ أناملاً لكنَّهُنَّ مفاتحُ الأرزاقِ

التخريج: الأفضليات 162 .

٣٦- وقال: (مجزوء البسيط)

انظر إلى نرجسٍ تبدى يوماً لعينك منه طاقةً
فاكتب أباطيل مُشبهيه بالحرق في دفتر الحماقة
وأَيِّ حُسنٍ ترى لعينٍ مع يرقانٍ يحلّ ماقَ َه
كرايةٍ رُكبت عليها صفرهً بيضٍ على رقاقةً

التخريج: الكشف والتنبه 279. وللسروي، في المشموم: 102، وحلبة الكميت 235، نزهة الأنام 172. وللصنوبري، في: حدائق الأنوار 195.

٣٧- وقال: (المتقارب)

بكيثٌ من الشيب حتى ضحرتُ فقد دبّ في عارضي واشتعلت
وسوّد وجهي، فسوّدته فَعَلْتُ بِهِ مِثْلَ مَا قَدْ فَعَلَ

التخريج: أحاسن المحاسن 299.

٣٨- وقال: (الكامل)

وإذا عزمت على الرحيل فلا تنزل للمكرمات وللندی رَحَالاً
جعل الإله لك التّجاح مطيئةً ولما طلبت من الأمور عقلاً
حتى تنال من الأمور بعيدها وقريبها، وتحقق الآمالاً
لا كان هذا العهد آخر عهدنا بك، لا، ولا كان الزيالُ زوالاً

التخريج: المنتخل 2 / 970. وهي - عدا الثالث - في: الدرّ الفريد 5 / 216.

٣٩- وقال: (الكامل)

ولربّ رتبةٍ سوّدت شَفَعْتُ بِهِ من قبل أن يُدعى لها ويؤهّلا

التخريج: المنتخل 1 / 122.

۴۰ - وقال: (الكامل)

أحببتُ بركَ إذ أردتَ رحيلًا
وعلمتُ أنك في المكارم راغبٌ
فجعلتُ ما تُهدي إليَّ هديةً
برًّا يخفُّ على يديك قبوله
فوجدتُ أكثرَ ما ملكتُ قليلاً
تسعى إليها بكرةً وأصيلاً
مَيَّ إليك، فطرقتُها التأميلاً
ويكون محمله عليك ثقيلًا

التخريج: المناقب والمثالب 211-212.

۴۱ - وقال: (الطويل)

وقالوا: اختضبَ قبل المشيب فقد بدتُ
فقلتُ: خضابُ الأصل لم يبقَ لونه
لأسهمه في عارضيكِ نصولُ
فكيف خضابٌ يعتريه نُصولُ؟

التخريج: التذكرة الفخرية 54.

۴۲ - وقال: (الطويل)

أرى زمنًا نوکاهُ أسعدُ أهلهِ
مشى فوقه رجلاهُ والرأسُ تحتهُ
ولكنما يشقى به كلُّ فاضلٍ
فكَبَّ الأعلی بانکبابِ الأسافلِ

التخريج: المناقب والمثالب 332-333.

۴۳ - قال: (البسيط)

هذي الشقائقُ قد أبصرتَ حمرةًها
كأنها أدمعٌ قد غَسَلتُ كُحلاً
مع السوادِ على قضبانها الدُّلُ
جادتُ بها وقعةً في وجنيّ خَجَلِ

التخريج: الكشف والتنبيه 334 - 335 .

۴۴ - وقال: (الحنيف)

لكَ وجهُ كَأخِرِ الصَّكِّ فِيهِ
لمحاتُ كثيرةٌ من رجالِ

كخطوطِ الشهودِ مختلفاتٌ
معلماتٌ أن ليسَ بابنِ حلالٍ
التخريج: أحاسن المحاسن 373.

٤٥ - وقال: (مجزوء الرمل)

أيها المحتجُّ للور
ذهبَ النرجس بالفض
لا تقاسُ الأعيُنُ التج
دِ بزورٍ ومحالٍ
لِ فأنصفَ في المقالِ
لُ بأسرامِ البغالِ

التخريج: الكشف والتنبيه 279.

٤٦ - وقال: (الطويل)

بجرمة ما قد كان بيني وبينكم
وإني ليرضيني قليلٌ نوالكم
مِنَ الوُدِّ ألاَّ عُدتُّمُ بجميلٍ
وإن كنتُ لا أرضى لكم بقليلٍ

التخريج: المنتخل 1 / 416 .

٤٧ - وقال: (الطويل)

هو الدهرُ لم تُبدعْ عليَّ صروفُهُ
وما راعني المكروهُ، إذ هو عادي
تَعَجَّلَ حتى كادَ آخرَ فعلِهِ
ولم يأتِ شيئاً لم أكنُ أنخيئُهُ
لديه، ولكن راع قلبي تَعَجُّلُهُ
يَجِيءُ، ولما ينقطع بعدُ أولُهُ

التخريج: المنتخل 2 / 393 .

٤٨ - وقال: (مجزوء الكامل)

خذ ما أتاك من اللئام
فالسبعُ يفترسُ الكلا
م إذا عدمت ذوي الكرم
ب إذا تعدّرت الغنم

التخريج: المناقب والمثالب 251.

۴۹- وقال في الباذنجان: (المتقارب)

أتانا بإبذنج بورانيةٍ وشيرازةٍ من لبانِ العنمِ
وقد شتج القلي منه الجلودَ كتشنيج أوجهِ بعضِ الخدمِ

التخريج: الكشف والتنبيه 390، غرائب التنبهات 125.

۵۰- وقال: (الخفيف)

قاتل الله طيلسان ابن حربٍ كيف أنسى الأضغاث والأحلاما
قد رأينا الرياحَ تصرعه صرَّ عَ رياحٍ إذا اقشعرَّ غماما
طيلسانٌ يظلُّ لابسُهُ من خشية المزق فيه يخفي الكلاما
فهو يمشي هونًا على الأرض، إنْ خا طبهُ الجاهلونَ قال: سلاماً^(۱)

التخريج: الاقتباس ۲ / ۱۸۴۰

۵۱- وقال (الطويل)

أناسٌ إذا دهرٌ تبسّمَ مرةً فعنهم وعن أيامهم يتبسّمُ

التخريج: المنتخل 247/1، 250.

۵۲- وقال: (الطويل)

نجوم الدجى منها شهابٌ على العدا ومنها شمّالٌ للغفاة ومرزُمُ

التخريج: المنتخل 250/1.

۵۳- وقال: (الوافر)

كأن الرازقيَّ وقد تناها وتناهتْ بالعناقيدِ الكرومُ

(۱) يُشير إلى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ

قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ۶۳]

قواريرٌ بماءِ الوردِ مألَى تشفُّ، ولؤلؤٌ فيها يعومُ
وتحسبُهُ من العسلِ المصقَى إذا اختلفتَ عليكِ به الطعومُ
فكلُّ مجمَعٍ منه الثريا وكلُّ مُفَرِّقٍ منه النجومُ

التخريج: الكشف والتنبية 275، وغرائب التنبيهات 108، ونهاية الأرب
152-151/11.

٥٤ - وقال: (الطويل)

ولو كانَ همِّي واحداً لا طرَحْتُهُ خواطِرُ قلبي كلَّهنَّ همومُ
التخريج: التذكرة الفخرية 72 / 5 .

٥٥ - وقال: (الخنيف)

وإذا قلتُ ويكُ للكلبِ: إحصاً لحظتني عيناهُ لحظةً تُهمِّمهُ
أترى أنّي أظنُّك كلباً؟ أنت عندي منْ أبعدِ الناسِ همِّمهُ
التخريج: المناقب والمثالب 292.

٥٦ - وقال: (السريع)

قد قلتُ للدهرِ على أنّي أمسيتُ أنّ يرجعَ عن ظلمهِ
أمرضتَ منْ أهوى وعافيتني حكمتَ في الحبِّ سوى حكمهِ
فقال: لمْ تغتمْ، وكلّ امرئٍ آفتهُ النسيانُ في فهمهِ
قد نلتُ في قلبك ما أشتكي أضعاف ما قد نلتُ من جسمهِ
التخريج: أحاسن المحاسن 386 .

٥٧ - وقال: (الخنيف)

أيّ شيءٍ يُهدى إليك وفي وجدِ هكّ من كلِّ ما سنهديه معنى

منک یا حبذا النعیم الهدایا أفنهدی إلیک ما منک یجنى ؟

التخریج: الفسر 3 / 74، والأول فقط فی 1129/1، والتذکره الحمدونیة 15/5، أحاسن المحاسن 405-406، والمآخذ علی شرح دیوان أبی الطیب المتنبی 288/1، والموضح 4 / 273، والمتخل 1 / 97، بروایة: کلّ ما تُهُودِي .

٥٨- وقال: (البسيط)

ما لي لديك كأني قد زرعتُ حصي في عام جدبٍ، فوجهُ الأرض صفوانُ
أما لزرعي إبانَ فأنظره حتى يربع، كما للزرعِ إبانَ

التخریج: مجموعة المعاني 147، التذکره الحمدونیة 8 / 162 .

٥٩- وقال: (الكامل)

قشّر من الذهبِ المصقّى حشوه شَهْدٌ لذيذٌ طعمه للجانِ
فكأتمّ الأفلاكُ من طربِ بنا نثرت كواكبها على الأغصانِ

التخریج: الكشف والتنبيه 354، ونهاية الأرب 11 / 282 .

٦٠- وقال في تشبيه خرق الناس لنوادير الطرف لثلا تُسرق، بخرق الخضرِ

السفينة، لثلا يأخذها الملكُ غضبًا: (المنسرح)

رُبَّ مَضارٍ بَجْرٌ منفعَةٌ تدعو إليها ثواقبُ الفطنِ
كفعلتِ الخضرِ بالسفينةِ إذْ خافها الجلنديُّ مُسَخَّرَ السفنِ^(٢)
فامتثل الناسُ تلك في خرقها السفنُ، فصار لاحبِ السننِ
إنْ يُوجب الدهرُ كدر سائله إلا به أبنَةٌ من الأبنِ

التخریج: الاقتباس ٢ / ١٨٢ .

(٢) يُشير إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]

٦١- وقال: (الكامل)

طامِنٌ حشاك، فإنَّ دهرَكَ مُؤَقَّعٌ
فإذا أخذتَ من الأمور مَقَدَّرًا
بك ما تخاف من الأمور وتكرهُ
وفررتَ منه فَنَحْوُهُ تتوجَّهُ

التخريج: التذكرة الفخرية 33 / 7 .

٦٢- وقال: (الكامل)

لا راعتِ الأيام سربك بعدها
وإذا الزمانُ أصابَ منك فمُنْصَفًا
أبدًا، ولا نظرتِ إليك شرافيا
لا مسرِفًا، ومؤدَّبًا لا فانيًا

التخريج: المنتخل 2 / 966 - 967 .

٦٣- وقال: (المجتث)

لها أتاني رسولُ الـ
ألفيتُ أتي في سلـ
وسوفَ أحظى بمن
حبيبٍ بالخيريِّ
ووةٍ وبالِ رحيِّ
قد هويته من صفيِّ

التخريج: حدائق الأنوار وبدائع الأشعار 270 .

٦٤- وقال (الخنيف):

وكأَنَّ الجوزاءَ واترُ قومِ
وكأَنَّ الحجرَ جدولُ ماءٍ
أخذوا ثأرهم يَقْطَعُ يديه
نبتَ الأقحوان في جانبيه

التخريج: الكشف والتنبيه 158 .

٦٥- وقال: (السريع)

أصبحتَ ذا نُعمى عليّ، فلا
وامننْ بِإِجْازِ لوعدك، فالـ
تُخْلِيقُ بِمَنْعِكَ جِدَّةَ النُّعمى
إِجْازُ فِيهِ المَنِّ والسَّلوى

التخريج: المنتخل 1 / 303 .

٦٦- وقال: (الرجز)

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ ذَاكَ الْمَرَا
وَلَوْ تَوَلَّى غَيْرَنَا رِزْقَ الْوَرَى
جَرَتْ حَطُوبٌ بَيْنَنَا تَحْتَ الْعَرَا

التخريج: الاقتباس ٢ / ١٨٦ .

ما نُسِبَ إِلَيْهِ وَإِلَى غَيْرِهِ:

١- وقال: (البيسط)

لَا زَلَّتْ تَلْبَسُ أَعْيَادًا وَتَنْسُجُهَا مَا واصل الدهرُ آناً بآناً

التخريج: الدر الفريد 5 / 439 . ولا بن المعتز في: المنتخل 2 / 956، وأحلّ به ديوانه.

٢- وقال: (السريع)

وَبِرْكَةٍ تَزْهَوُ بِنِيلِـوْفِرٍ نَسِيمَهَا يَشْبَهُ رِيحَ الْحَبِيبِ
مُفْتَحُ الْأَجْفَانِ فِي يَوْمِهِ حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ دَنَتْ لِلْمَغِيبِ
أَطْبَقَ حَفْنِيهِ عَلَى عَيْنِهِ وَغَاصَ فِي الْبِرْكَةِ خَوْفَ الرَّقِيبِ

التخريج: الكشف والتنبيه 310. ولأبي بكر الأندلسي في: مباحج الفكر 253. وبلا عزو في: نهاية الأرب 11 / 224، وحدائق الأنوار وبدائع الأشعار 254 - 255.

٣- وقال: (المنسرح)

هُمُ قَعَدُوا فَانْتَقَوْا لَهُمْ نَسَبًا يَجُوزُ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي الْعَرَبِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبَاحُ بَانَ لَهُمْ بَيْنَ سَتْوَفُهُمْ مِنَ الدَّهْبِ
وَالنَّاسُ قَدْ أَصْبَحُوا صَيَارِفَةً أَنْقَدُ شَيْءٌ لِرُبَيْقِ النَّسَبِ

التخريج: المناقب والمثالب 274 . ولبشار بن برد في: ديوانه 4 / 30 . ولدعبل الخزاعي في: ديوانه 366 .

٤- وقال: (البيسط)

كأَنَّ نرجسَهَا، والريحُ تَلْفَحُهُ وقد غدتْ عَصَّةً فُضْبَانُهُ الدَّمْعُ
وصائفُ رقصتْ في عرسِ سيِّدها وقتَ الرِّقَافِ على هاماتها السُّرْبُجُ
التخريج: الكشف والتنبيه 276 . ولأيدمراخيوي، في: حلبة الكميت 234، وأخلَّ
به ديوانه.

٥- وقال: (الطويل)

أفدْ طبعَكَ المكود بالجدِّ راحةً تراح، وعلَّله بنوعٍ من المنحِ
ولكنْ إذا أعطيتَهُ المنحَ فليكنْ بمقدار ما يُعطى الطعامُ من الملحِ
التخريج: نزهة الأبصار 313 . وللبستي، في: ديوانه 109، ورواية عجز الثاني:
تُعطي الطعامَ.

٦- وقال: (البيسط)

إني وإن ما يعدلُ
كَانَ المألُ عندي
جمْعُ المالمال يعجبني صحَّةُ الجسدِ
المالمالُ زِينٌ وفي الأولاد مكرمَةٌ والسقمُ
يُنسيكُ ذكرَ المالمالِ والولدِ

التخريج: المناقب والمثالب ٣ و٧.

٧- وقال: (مجزوء الكامل)

اشربْ على زهرِ البنْفُ مسحِ قَبْلَ تَأنيبِ الحسودِ
فكأنَّـمًا أوراقُه آثارَ قَرَصٍ في الخدودِ

التخریج: التذکرۃ الفخریة 243، الكشف والتنبیه 306. ولأبی الحسن الشاطبی، وتروی لابن الرومی فی: نهایة الأرب 282/11 - وللشمشاطی، فی: یتیمۃ الدهر ۱/ ۱۲۵ - ۸- وقال: (الطویل)

علیک بإخوان الصّفاء، فإنهم عمادٌ إذا استنجدتهم وظهورُ
ولیسَ کثیراً ألفُ حِلٍّ وصاحبٍ وإنَّ عدوّاً واحداً لکثیرُ

التخریج: أدب الدنيا والدين 182 . وللإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فی: الظرف والظرفاء 61، ديوانه 203. ولحمود الوراق فی: روضة العقلاء 94، ديوانه 73. وللحليل بن أحمد الفراهيدي، فی: نور القبس 64، شعره (شعراء مقلون ۲۲۶). وللشافعي، فی: مناقب الشافعي 2 / 83 . وبلا عزو فی: المنتخل 2 / 754، والدر الفريد 4 / 92. ۹- وقال: (الوافر)

أطال الدَّهرُ في بغداد همّي وقد يشقى المسافرُ إذ يفوزُ
ظللتُ بما على رُغمي مُقيماً كعَيْنينِ تُضاجعُهُ عَجوزُ

التخریج: مستوفي الدواوين ۱ / ۳۲۶ . ولابن المعتز ، في ديوانه ۲ / ۱۸۷ . ۱۰- وقال: (السريع)

مظاهرُ ثوب حدادٍ على ثوب بياضٍ عُللٍ بالورسِ
فالشطُرُ من أعلاه في مأتمٍ وشطره الأسفل في عُرسِ
مُغمّضٌ طول الدجى ناعسٌ جفونه تُفتَحُ في الشمسِ

التخریج: الكشف والتنبیه ۳۱۴ - ۳۱۵ . وللطغرائي، في ديوانه ۲۰۲، وقبلها بيت واحد.

۱۱- وقال: (الخفيف)

طيّبٌ ريقُهُ إذا دُفّت فاهُ والثريّا بجانبِ الغربِ فُرطُ

التخریج: الكشف والتنبیه 174 . ولا بن المعتز، في: شعره 2 / 655، ضمن قطعة.
١٢- وله في بعض الرؤساء، وقد سأله حاجةً فقضاها له، وكان لا يتوقع منه
خيرًا: (الطويل)

سألتك في أمرٍ فجدتَ ببذله على أنني ما خلثُ أنك تفعلُ
وألزمتني بالبذل شكراً، وإنه عليّ من الحرمان أدهى وأعضلُ
وما خلثُ أن الدهر يثني بصرفه إلى أن أرى في الناس مثلك يُسألُ
لئن سرّني ما نلتُ منك، فإنه لقد ساءني إذ أنت ممّن يؤمّلُ

التخریج: وفيات الأعيان 3/360، ثم قال: «هذه الأبيات تُنسب إلى ابن وكيع». وأخلاً بها: ديوان الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنبيسي، ووردت في المستدرک الذي صنعه د. عبد الرازق حويزي في: مجلة الأحمدية، ع 23، 2006م: 277 .
١٣- وقال: (الطويل)

وإن أحقّ الناس باللوم شاعرٌ يلومُ على البخل الرجالَ ويخجلُ
التخریج: الاقتباس ٢ / ١٦٨ . - ولأحمد بن أبي فنن، في: التمثيل والمحاضرة ١٨٧، شعراء عباسيون ١ / ١٦٩ .
١٤- وقال: (الطويل)

تصوغُ لنا كفّ الربيعِ حدائقاً كعقدِ عقيقٍ بين سبطِ لآلي
وفيهنّ نوار الشقائق قد حكى حدود غوانٍ نُقطتْ بغوالي

التخریج: الكشف والتنبیه 399، نهاية الأرب 11/282. - وللميكالي، في: ديوانه ١٤٥.
١٥- وقال:

يا بن حربٍ كسوتني طيلساناً أمرضتُهُ الأوضاع، فهو سقيمُ
فإذا ما رجوتُهُ قال سبحاً نكّ محيي العظام، وهي رميمُ

التخریج: الاقتباس ٢ / ١٦٨ . - وللمحمدي، في شعره (شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري ١٣٥ - ١٣٦).

١٦- وقال: (الوافر)

جرى قلمُ القضاء بما يكونُ فسَيَّانَ التحرُّكُ والسكونُ

جنونٌ منك أن تسعى لرزقٍ ويُرزقُ في غشاوتِهِ الجنينُ

التخریج: الدرّ الفريد ٣/١٩٧، وأضاف «وقد نُسب لأبي الخير الواسطي الكاتب». ولأبي الخير في: وفيات الأعيان ٣/٢٨٣، ٦ / ١٧٢، ومرآة الجنان ٣/٢٨٧، حياة الحيوان ٢/٤٠٩، ونفح الطيب ٢/١١٨. - ولابن هندو (٤٢٣ هـ)، في: تنمة اليتيمة ١/١٤٢، والدرّ الفريد ٣ / ١٩٧، وشعر ابن هندو ٢٦٠. وبلا عزو، في: محاضرة الأديب ومسامرة الحبيب ٤٤ - ٤٥ .

١٧- وقال: (الخفيف)

وكأنَّ الهلالَ نصفُ سوارٍ والثريَّاكفُ تشيرُ إليه

التخریج: سرور النفس ٧١، والكشف والتنبيه ١٧٤ . ولابن المعتز، في: شعره ٢/٥٦٦، ضمن مقطعة .

١٨- وقال: (الكامل)

إنَّ الطيبَ بطبِّه ودوائه لا يستطيعُ دفاعَ مكروهٍ أتى

ما للطيب يموتُ بالداء الذي قد كان يُبْري مثلهُ فيما مضى

هلكَ المداوي والمداوي والذي جلبَ الدواءَ وباعهُ ومَن اشترى

التخریج: التذكرة الفخرية 9 / 255 . ولأبي العتاهية، في أشعاره 18 . بلا عزو، في: محاضرات الأدباء 2 / 129 .

المصادر والمراجع

- أبو العتاهية .. أشعاره وأخباره: د. شكري فيصل، دمشق، ١٣٥٣ هـ .
- الأفضليات: ابن الصيرفي؛ علي بن منجب بن سليمان (ت 542 هـ)، تحقيق د. وليد قصاب ود. عبد العزيز المناع، مجمع اللغة العربية بدمشق، 1402 هـ - 1982 م .
- الاقتباس من القرآن الكريم: الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار ود. مجاهد مصطفى بحجت، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٢ م .
- الأنس والعرس: أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت421هـ)، إعداد وتحقيق إيفلين فريد يارد، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1999م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني، علي بن أحمد (ت1120هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، ط1، النجف الأشرف، 1968م-1969م .
- البصائر والذخائر: أبو حيّان التوحيدي، تحقيق د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت .
- تمة اليتيمة: الثعالبي، تحقيق عباس إقبال، طهران .
- التذكرة الحمدونية: ابن حمدون، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1996 م .
- التذكرة الفخرية: بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي (ت 692هـ)، تحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. حاتم الضامن، بيروت 1987م .
- حقائق الأنوار وبدائع الأشعار: جُنيد بن محمود بن محمد (ت بعد 790هـ)، تحقيق هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.
- حلبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات: النواجي، المكتبة العلامة، مصر، 1357هـ-1938م.
- حياة الحيوان الكبرى: الدميري، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق ٢٠٠٥م.
- الدر الفريد وبيت القصيد: محمد بن أيدير، أشرف على طباعته مصوّراً د. فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٨٨ م - ١٩٨٩ م.
- ديوان أبي دهب الحمحي، برواية أبي عمرو الشيباني: تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، 1392هـ-1972م .
- ديوان أشعار الأمير عبد الله بن المعتز، تحقيق د. محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة .

- ديوان الإمام علي عليه السلام المسمّى: أنوار العقول من أشعار وصيّ الرسول، للبيهقي الكيدري (ت 578 هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، قم، 1426هـ.
- ديوان أيدمر المحبوي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1931 م .
- ديوان أبي الفتح البستي: تحقيق شاکر العاشور، دار الينايع، دمشق، 2006 م .
- ديوان بشار بن برد: تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1369هـ - 1950 م .
- ديوان السري الرفاء: تحقيق ودراسة د. حبيب حسين الحسني، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981 م .
- ديوان الشاب الظريف، محمد بن عفيف الدين (ت 688هـ): حققه وأعد تكميلته وفسر ألفاظه شاکر هادي شکر، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ط 1، بيروت، 1985م.
- ديوان الصنوبري: تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، 1970 م .
- ديوان الطغرائي (514هـ): تحقيق د. علي جواد الطاهر و د. يحيى الجبوري، دار القلم، ط 2، الكويت، 1403هـ-1983م.
- ديوان عفيف الدين التلمساني: دراسة و تحقيق د. يوسف زيدان، أخبار اليوم، الإسكندرية، 1989 م .
- ديوان محمود بن حسن الوزّاق (ت نحو 225 هـ)، جمع وتحقيق عدنان راغب العبيدي، مطبعة دار البصري، بغداد، 1969 م .
- ديوان الميكالي، جمع وتحقيق د. جليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥ م .
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: الزمخشري، تحقيق د. سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1980 م .
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت 354 هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، بيروت، 1977 م .
- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: شهاب الدين الخفاجي (ت 1069هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة 1967م .
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: التيفاشي (ت ٦٥١هـ)، اختصار: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٠م.
- شعر ابن المعتز: صنعة أبي بكر الصولي: دراسة وتحقيق د. يونس احمد السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977-1978م.

- شعر أبي الفرج بن هندو، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الرازق حويزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧ م.
- شعر أبي هلال العسكري: جمع وتحقيق د. محسن غياض، مطبعة الوطن، تراث عويدات، بيروت، 1975 م.
- شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنعة د. عبد الكريم الأشر، المجمع العلمي العربي بدمشق، 1964 م.
- شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت 680 هـ): جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراخ، ط1، بابل، 2006 م.
- شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري، دراسة ونصوص: د. محمد جبار المعبيد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧ م.
- شعراء مقلّون: صنعة د. حاتم صالح الضامن، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- طرائف الطرف: البارح الهروي، تحقيق هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، 1998 م.
- غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات: علي بن ظافر الأزدي (ت 613 هـ)، تحقيق د. محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة، 1971 م.
- الغيث المسحوم في شرح لامية العجم: الصفدي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1975 م.
- الفسر: أبو عثمان بن جنبي، تحقيق د. رضا رجب، دار الينايع، 2004 م.
- فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاکر الکتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973 م.
- في نقد التحقيق: عباس هاني الجراخ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002 م، ط2، دار الينايع، دمشق، 2006 م.
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: كمال الدين المبارك بن الشعار الموصلی (ت 654 هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م.
- الكشف والتنبیه علی الوصف والتشبيه: الصفدي، حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ د. هلال ناجي ووليد بن أحمد بن الحسين الزبيري، ليدز، بريطانيا، 1420 هـ - 1999 م.
- الكشكول: العاملي، محمد بن الحسين (ت 1031 هـ)، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، مط دار إحياء الكتب العربية القاهرة، د. ت.

- كوكب الروضة: السيوطي، تحقيق محمد الششتاوي، القاهرة، 2002 م .
- المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي: علي بن معقل الأزدي (ت 644هـ)، تحقيق د. عبد العزيز المانع، الرياض، 2001 م .
- مجموعة المعاني، الجوائب، 1301 هـ .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق د. رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م .
- المحاضرات والمحاورات: السيوطي، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003 هـ.
- محاضرة الأديب ومسامرة الحبيب: علي بن عوض الحلبي (ت ١٣٢٧ هـ)، تحقيق عباس هاني الجراخ، دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٧ م .
- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: السري الرفاء (ت 360 هـ)، تحقيق ماجد الذهبي ومصباح غلاونجي، دمشق ١٩٨٢ - ١٩٨٦ م .
- مرآة الجان وعبرة اليقظان: اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ)، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد، الهند، ١٣٣٨هـ.
- مسالك الأبحار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري (ت 749 هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، المجمع الثقافي، دبي، 2002 م .
- مستوفي الدواوين: محمد بن عبد الله الأزهري (ت ٨٨٧هـ)، تحقيق زينب القوصي ووفاء الأعصر، القاهرة، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م .
- مطالع البدور في منازل السرور: الغزولي، علاء الدين بن عبد الله (ت 815هـ) مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1419هـ - 2000م.
- معاهد التنصيص: العباسي، عبد الرحيم بن أحمد (ت 963هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، 1367هـ-1947م.
- منازل الأحباب ومنازه الألباب: شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، حققه وقدم له د. محمد الديباجي، دار صادر، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠م.
- مناقب الشافعي: البيهقي (ت 458 هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1965 م .
- المناقب والمثالب: الخوارزمي؛ ريجان بن عبد الواحد بن محمد (ت نحو 430 هـ)، عُني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، 1999 م .

- المنتخل: الميكالي؛ عبيد الله بن أحمد بن علي (ت 436 هـ)، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 م.
- الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي: التبريزي، دراسة وتحقيق د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989 - 2004 م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي (ت 874 هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936 م.
- زهرة الأبصار في محاسن الأشعار: شهاب الدين بن العباس العنابي (ت ٧٧٦ هـ)، تحقيق السيد مصطفى السنوسي وعبد اللطيف احمد لطف الله، دار القلم، ط ١، الكويت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- زهرة الأنام في محاسن الشام: البدري الدمشقي، دار الرائد العربي، ط 1، بيروت، 1980 م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ)، دار الكتب المصرية وهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975 م.
- نور القبس المختصر من المقتبس: الحافظ اليعموري، تحقيق رودلف زلهام، فيسبادن، 1965 م.
- الوافي بالوفيات: الصفدي، تحقيق مجموعة من المستشرقين والعرب، جمعية المستشرقين الألمانية، فرانز شتاينر، إسطنبول وبيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت 681 هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968 م.
- يتيمة الدهر: الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر 1956 م.

المجلات:

- مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد، العدد ٢٠، ١٩٧٦ م: استدراقات على دواوين محققة وأخرى مطبوعة: د. حبيب حسين الحسني.

تعقيب على بحث
«المستدرك على ديوان ابن الرومي»
للدكتور عباس هاني الجراخ

د. محمود الحسن (*)

مقدمة:

بعد التطور الكبير الذي حصل في مجال الحاسوب والشابكة (الإنترنت)، ومع تقدم إمكانات البحث الآلي في الدواوين والكتب والمصادر الأدبية واللغوية، اتجه كثير من الباحثين لعمل المستدركات على الدواوين والمجموعات الشعرية.

والمستدرك يضم عادة الأشعار التي تُنسب إلى شاعر معيّن، أو إلى مجموع شعري محدّد، في بعض كتب الأدب واللغة والتراجم، ولا يتضمّن ديوان الشاعر، أو المجموع الشعري الموجود بين أيدي الناس والباحثين.

وقد نُشرت مجلة مجمع اللغة العربية عددًا من هذه المستدركات، منها: استدراك على الأصمعيّات للأستاذ ناصر توفيق الجباعي^(١)، والمستدرك على ديوان محمد بن حازم

(*) عضو الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) مجلة المجمع، المجلد ٨٤، ص ٥٤٥ و ٨٥٣.

الباهلي^(٢)، والمستدرك على ديوان «عُمارة بن عقيل»^(٣)، وهما للأستاذ شاعر عاشور، وديوان مجير الدين بن تميم: قراءة ومستدرك للأستاذ عباس هاني الجراخ^(٤)، وعبيد بن الأبرص: ديوانه والمستدرك عليه للدكتور محمد علي دقة^(٥)، والملفتي في المستدرك على ديوان البستي للأستاذ هلال ناجي^(٦).

ومن هذه المستدركات: «المستدرك على ديوان ابن الرومي» للدكتور عباس هاني الجراخ، الذي نُشر في الصفحات السابقة، ولنا عليه ملاحظات كثيرة، استمعت إليها لجنة المجلة، فقررت الموافقة على نشر المستدرك احتراماً لآراء الباحث الفاضل وجهوده في التحقيق والتأليف، كما قرّرت نشر الملاحظات في هذا التعقيب، خدمةً للمنهج العلمي في تحقيق النصوص وإثبات نسبتها إلى أصحابها.

خلاصة المستدرك:

يضم المستدرك ١٨٨ بيتاً من الشعر، موزعةً على ٨٤ قطعة، ولكل قطعة رقم. ويقرّر الباحث أن هذه الأبيات للشاعر العباسي المشهور ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ)، مع أن ديوانه المحقق لم يتضمّنّها.

ويُذكر أن ديوان ابن الرومي حَقَّقَه كلٌّ من: محمد شريف سليم عام ١٩١٧، وكامل الكيلاني عام ١٩٢٤ في القاهرة، وعلي عبد الأمير مهنا في بيروت.

والتحقيق العلمي الذي يعتمد عليه الباحثون هو تحقيق: الدكتور حسين نصار،

(٢) مجلة المجمع، المجلد ٨٢، ص ٨٧١.

(٣) مجلة المجمع، المجلد ٧٩، ص ٨٨١.

(٤) مجلة المجمع، المجلد ٧٨، ص ٤٢٣.

(٥) مجلة المجمع، المجلد ٧٢، ص ٥٢٧.

(٦) مجلة المجمع، المجلد ٧٠، ص ١١١.

الذي نشرته الهيئة المصرية للكتاب في ستة أجزاء، صدر آخرها عام ١٩٨١، وأعيد نشره في القاهرة عام ٢٠٠٣.

ملاحظات حول مضمون المستدرک:

عُرض المستدرک على لجنة المجلة للنشر، وفيه أخطاء مطبعية ونقص في الضبط اللغوي، فوافقت اللجنة على نشره، وكلفتني وضع مقدمة مختصرة للتعريف بالشاعر، وضبط الأبيات التي تضمنها المستدرک.

ولدى العودة إلى مصادر هذه الأشعار لضبطها تبين أن كثيراً منها أثبتته الباحث لابن الرومي معتمداً على مصدر واحد فقط، مع وجود مصادر أخرى لم يذكرها، يُضاف إلى ذلك أن كثيراً منها لا تصح نسبته أصلاً إلى ابن الرومي.

وقد قسم الباحث مستدركه إلى مجموعتين: الأولى تضم الأشعار التي جزم الباحث بنسبتها إلى ابن الرومي، والثانية تضم الأشعار التي رأى أنها تُنسب إلى ابن الرومي وإلى غيره.

وفيما يلي عرض لنماذج من الأشعار التي وردت في المستدرک، مع ما يحيط بنسبتها إلى ابن الرومي من ملاحظات، علماً أنها ملاحظات عامة لا أدعي أنها ترقى إلى درجة التحقيق.

أولاً- أشعار المستدرک المنسوبة إلى ابن الرومي:

- القطعة (٣): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «المنتحل» للميكالي (ت ٤٣٦هـ)، مع أنها منسوبة إلى الوزير المهلي (ت ٣٥٢هـ) في كتاب «المنتحل» للثعالبي (ت ٤٢٩هـ). والميكالي والثعالبي متعاصران، فلا تصح نسبة القطعة إلى ابن الرومي اعتماداً على أحدهما مع معارضة الآخر، بل لا بدّ من وجود مصدر ثالث للترجيح.

والمصدر الثالث يُرجح النسبة إلى الوزير المهلي، لأن القطعة موجودة في شعره الذي جمعه وحققه جابر عبد الحميد الخاقاني، ونشره في مجلة المورد عام ١٩٧٣.

وهنا يُشار إلى أن البيت الأول من القطعة وزنه غير مستقيم، وروايته الصحيحة:
وحدوا عُودَ أبي الصَّفْ — — — — — رِ على العَمَزِ صَليبا

- **القطعة (٤):** نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «طرائف الطرف» للبارع الهروي (ت ٥٢٤هـ)، مع أنها منسوبة إلى الأمير خسره فيروز بن ركن الدولة في كتابين هما: يتيمة الدهر للثعالبي، والثعالبي قبل البارع الهروي بقرن، وفي «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، ومنسوبة للخوارزمي دون تعريف به في «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ).

فالمراجع أنها للأمير خسره فيروز، ورواية البيت الأول التي أثبتتها الباحثة لا يستقيم وزنها إلا بإضافة «قد» بعد قول الشاعر: يقولون لي. والرواية في ديوان المعاني واليتيمة والوافي بالوفيات:

وقالوا: أفقُ من رَقْدَةِ اللّهُوِ والصَّبَا فقد لاحَ صُبْحُ في دُجَاكَ عَجِيبُ

- **القطعة (٥):** وهي بيت واحد نسبه الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «المنتخل» للميكالي. وهو منسوب لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، كما في كتاب «من غاب عنه المطرب» للثعالبي، و«محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ). فالأرجح أنه لابن المعتز.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن كتاب «المنتخل» الذي حققه الدكتور يحيى الجبوري، ونسبه إلى الميكالي، ونُشر عام ٢٠٠٠ في دار الغرب الإسلامي، لم تثبت نسبته للميكالي. وقد أجرى الدكتور عبد الرزاق حويزي تحقيقاً علمياً نشره في مجلة آفاق

الثقافة والتراث، انتهى فيه إلى أن «المنتحل» للثعالبي، وليس للميكالي، وهو غير كتاب «المنتحل» المشهور للثعالبي.^(٧)

فإذا استقرّ لدى الباحثين ما انتهى إليه الدكتور حوزي فهذا يعني أن البيت المذكور هنا نُسب إلى ابن الرومي في «المنتحل» وإلى ابن المعتز في «من غاب عنه المطرب» والكتابان لمؤلف واحد، فلا بدّ من مرّح. والمرجح هنا هو كتاب «محاضرات الأدباء» فيُحْكَم على البيت بأنه لابن المعتز، على الأقل حتى تظهر لدى الباحثين المختصين قرائن ومرّحات أخرى.

- القطعة (٦): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «أحاسن المحاسن» للثعالبي، وهي للحسين بن الضحّاك، وهو خليف كان في عصر المأمون، كما في: الأغاني لأبي الفرج (ت ٣٥٦هـ)، والإعجاز والإيجاز للثعالبي، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني.

والرواية الصحيحة للبيت الأول هي: أينَ عطفُ ... والباحث أثبتها: إنَّ عطفَ. والمعنى لا يستقيم معها.

- القطعة (٧): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «الكشف والتنبيه» لصلاح الدين الصفدي فقط.

وهي منسوبة لأبي بكر الدريدي في «التدوين في أخبار قروين» للرافعي (ت ٦٢٣هـ).

ومنسوبة لابن دريد (ت ٣٢١هـ) في «الحب والمحجوب» للسري الرفاء (ت ٣٦٦هـ) وفي «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني.

ومنسوبة لمحمد بن عبد الله بن طاهر وزير المتوكل في كل من: ربيع الأبرار للزحشري

(٧) مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد ٦٣، لعام ٢٠٠٨، ص ٧٠.

(ت ٥٣٨هـ)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي، و«فوات الوفيات» لابن شاعر الكتيبي (ت ٧٦٤هـ).

فالراجح أن القطعة لمحمد بن عبد الله بن طاهر وزير المتوكل. والمصدر الذي اعتمد عليه الباحث لإثبات نسبة القطعة إلى ابن الرومي لا يصح الأخذ به، لأن صاحبه الصفدي نسبه إلى محمد بن طاهر في كتابه «الوافي بالوفيات».

- **القطعة (١٠):** نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «منازل الأحاب» لشهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، وهي منسوبة إلى أبي العباس الناشئ (ت ٢٩٣هـ) في «زهر الآداب» للحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، والقيرواني سبق الشهاب الحلبي بثلاثة قرون. فالأولى أن تكون القطعة لأبي العباس الناشئ.

- **القطعة (١٨):** نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «سرور النفس» للتيفاشي (ت ٦٥١هـ)، وهي منسوبة للباخرزي (ت ٤٦٤هـ) صاحب كتاب «دمية القصر» كما في معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، ومنسوبة لابن حكينا البغدادي كما في «نهاية الأرب» للنويري (ت ٧٣٣هـ). فالأولى أن تُنسب القطعة للباخرزي، بحسب معجم الأدباء، لأنه الأقدم بين هذه المراجع، وصاحبه عالم محقق متخصص بالسير والأعلام.

- **القطعة (٢٢):** وهي بيت واحد نسبه الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «المنتحل»، وهو منسوب إلى مروان بن أبي حفصة (ت ١٨٢هـ)، كما في ديوانه المطبوع في دار المعارف، وفي كتاب «المنتظم في التاريخ» لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ). وقد أورده الثعالبي في «المنتحل» مع بيت آخر قبله هو:

وهل يُحمَدُ التَّقْصِيرُ أَوْ يَحْسُنُ الْوَقْتُ وَمِثْلِي مَأْمُورٌ وَمِثْلُكَ أَمْرٌ

في موضعين، مرة بدون عزو، ومرة منسوبًا إلى البحتري. فالأرجح أن يكون لمروان بن أبي حفصة.

- القطعة (٢٣): وهي بيت واحد نسبه الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «المتخل»، وهو لأبي الفرج البغاء (ت ٣٩٨هـ) كما في «يتيمة الدهر» للثعالبي.

- القطعة (٢٧): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «أحاسن المحاسن»، وهي منسوبة في كتاب «نثر النظم وحل العقد» إلى جحظة (ت ٢٢٤هـ). والكتابان للثعالبي.

- القطعة (٣٥): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «الأفضليات» لابن الصيرفي (ت ٥٤٢هـ).

وهي منسوبة إلى ابن دريد في كل من: «التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (ت ٥٦٢هـ)، ومعجم الأدباء، ونهاية الأرب.

ومنسوبة إلى مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ) في «غرر الخصاص» للوطواط (ت ٧١٨هـ).

ومنسوبة إلى ابن الرومي، إضافة إلى «الأفضليات»، في العمدة لابن رشيق (ت ٤٦٣هـ).

فهذه القطعة تحتاج إلى مزيد من التحقيق في نسبتها، للوصول إلى رأي قاطع، ولا يمكن التسليم بنسبتها إلى ابن الرومي.

- القطعة (٣٧): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «أحاسن المحاسن»، وهي موجودة بلا عزو في كل من: «المحاسن والمساوي» لإبراهيم البيهقي (ت ٣٢٠هـ)، و«المحب والمحبوب» للسري الرفاء (ت ٣٦٦هـ)، لذلك يحتاج إثباتها إلى ابن الرومي إلى مزيد من البحث والتحقيق.

- القطعة (٤٢): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «المناقب والمثالب» لريحان بن عبد الواحد الخوارزمي (ت ٥٤٣٠هـ).

وهذه القطعة لا تصحّ نسبتها إلى ابن الرومي، لأنها موجودة بلا عزو في: «البيان والتبيين» و«الحاسن والأضداد» للجاحظ (ت ٥٢٥٥هـ)، وفي «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ت ٥٢٧٦هـ). والجاحظ توفي قبل ابن الرومي بثلاثين سنة، وليس لابن الرومي ذكر في مؤلفاته. وابن قتيبة توفي قبل ابن الرومي بسبع سنين. فالأرجح ألا تكون لابن الرومي.

- القطعة (٤٣): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «الكشف والتنبيه» للصفدي (ت ٥٧٦٤هـ) فقط، وهي منسوبة إلى الأحيطل الأهوازي في الكتب التالية: التشبيهات لابن أبي عون (ت ٥٣٢٢هـ)، و«المحب والمحبوب»، و«معجم الشعراء» للمرزباني (ت ٥٣٨٤هـ)، و«ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (ت ٥٣٩٥هـ)، و«ربيع الأبرار» للزمخشري (ت ٥٥٣٨هـ)، و«نهاية الأرب» للنويري (ت ٥٧٣٣هـ). فالقطعة للأحيطل الأهوازي ولا تصح نسبتها إلى ابن الرومي.

- القطعة (٤٦): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «المنتخل»، وهي منسوبة إلى ذي الرمة في كتاب «الزهرة» لابن داود (ت ٥٢٩٧هـ)، ومنسوبة إلى العباس بن الأحنف في: معجم الأدباء لياقوت، والمثل السائر لابن الأثير، والكشكول لبهاء الدين العاملي (ت ١٠٣١هـ)، ومنسوبة إلى ابن الرومي في «المنتخل» للنعالي. فلا يمكن التسليم بنسبتها إلى ابن الرومي.

- القطعة (٤٧): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «المنتخل»، وهي منسوبة إلى أبي الحسن بن المنعم في «يتيمة الدهر». والكتابان

للتعالبي فلا تصحّ نسبتها إلى ابن الرومي دون وجود مرجّح. والبيت الثاني ورد فيه: عادي، والصواب: عاديّ.

- القطعة (٤٩): نسبتها الباحث إلى ابن الرومي معتمداً على: «الكشف والتنبيه» للصفدي، وغرائب التنبيهات للأزدي (ت ٦١٣هـ)، وهي منسوبة إلى الوأواء الدمشقي (ت ٣٨٥هـ) في «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، وهو أقدم من المرجعين المعتمدين لدى الكاتب.

- القطعة (٦١): نسبتها الباحث إلى ابن الرومي معتمداً على «التذكرة الفخرية» لبهاء الدين الإريلي (ت ٦٩٢هـ)، ولم يذكر أنها منسوبة إلى ابن الرومي في: «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي، و«التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (ت ٥٦٢هـ). وكلاهما أقدم من المصدر المعتمد.

وهذه القطعة موجودة بلا عزو في: الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ)، والمتحل للثعالبي، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، وأعيان العصر للصفدي، والمستطرف للأبشيهي (ت ٨٥٢هـ)، ونفح الطيب للمقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ).

فالقطعة تحتمل أن تكون لابن الرومي، ولكن يحتاج إثباتها إلى مزيد من البحث والتحقيق. وفيها أورد الباحث: أخذت، والصواب: حذرت.

ثانياً- أشعار المستدرك المنسوبة إلى ابن الرومي وإلى غيره:

- القطعة (٣): نسبتها الكاتب إلى ابن الرومي بناء على ما ورد في كتاب «المناقب والمثالب»، وإلى بشار بحسب ديوانه، وإلى دعبل بحسب ديوانه أيضاً. وهي منسوبة لدعبل في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، ولبشار العقيلي في «العقد الفريد»

لابن عبد ربه (٣٢٨هـ)، ولمخلّد بن بكار الموصلّي في: جمع الجواهر للحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، ووفيات الأعيان، وخلاصة الأثر للمحيي (ت ١١١١هـ).
فإثبات نسبة القطعة يحتاج إلى مزيد من التحقيق. ومن المستبعد أن تكون لابن الرومي.

- **القطعة (٥):** من هذه المجموعة من الأشعار نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «نزهة الأبصار» للعنابي (ت ٧٧٦هـ)، وإلى البستي بحسب ديوانه. والصواب أنها لأبي الفتح البستي بحسب: يتيمة الدهر للثعالبي، وجمع الجواهر، وزهر الآداب للحصري القيرواني، وغرر الخصائص للوطواط، والمراح في المزاح لبدر الدين الغزي (ت ٩٨٤هـ)، ويؤيد نسبتها إلى البستي أن صاحب اليتيمة ذكر أنه التقى به، وخصّص صفحات كثيرة من كتابه «يتيمة الدهر» للحديث عنه.

- **القطعة (٩):** من مجموعة الأشعار السابقة نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «مستوفى الدواوين» للأزهري (ت ٨٨٧هـ)، ولابن المعتز بحسب ديوانه. والصواب أنها لابن المعتز كما جاء في: ديوانه، وفي: ثمار القلوب، وخاص الخاص، وكلاهما للثعالبي وهو قبل صاحب «مستوفى الدواوين» بأربعة قرون، وكما جاء في «فوات الوفيات» للكّتي (ت ٧٦٤هـ) أيضاً.

- **القطعة (١٣):** من مجموعة الأشعار السابقة نسبها الباحث إلى ابن الرومي، معتمداً على كتاب «الاقْتباس»، ونسبها إلى أحمد بن أبي فنن بحسب كتاب «التمثيل والمحاضرة»، والكتّابان للثعالبي، لذلك يُرجّح أنها لابن أبي فنن بحسب: العمدة لابن رشيق (٤٦٣هـ)، وريع الأبرار للزّمخشري، والتذكرة الحمدونية، والوافي بالوفيات، والمستطرف.

- القطعة (١٤): نسبها الباحث إلى ابن الرومي، بحسب كتاب «الكشف والتنبيه» ونهاية الأرب، وإلى الميكالي بحسب ديوانه.

والصواب أنها للميكالي، كما في «يتيمة الدهر» للثعالبي الذي خصَّص بابًا من كتابه للحديث عن محاسن شعر الميكالي ونثره، وأورد فيه القطعة المذكورة، وكذلك وردت نسبتها إلى الميكالي في: زهر الآداب للحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، والوافي بالوفيات للصفدي، وغرائب التشبيهات لابن ظافر الأزدي (ت ٦١٣هـ)، ومعاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ).

- القطعة (١٥): نسبها الباحث إلى ابن الرومي بحسب كتاب «الاعتباس» للثعالبي، وإلى الحمدوي بحسب كتاب «شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري» للدكتور محمد جبار المعبيد.

وهي منسوبة إلى ابن الرومي في «التشبيهات» لابن أبي عون (ت ٣٢٢هـ)، ومنسوبة إلى الحمدوي في: ثمار القلوب للثعالبي في ثلاثة مواضع، وفي الحماسة المغربية للجريري (ت ٦٠٩هـ)، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ). ولم يقف الباحث على هذه الكتب.

وهي منسوبة إلى إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه الحمدوني في: طبقات الشعراء لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، والإعجاز والإيجاز وخاص الخاص ولباب الآداب للثعالبي، وزهر الآداب للحصري القيرواني، والوافي بالوفيات للصفدي، وفوات الوفيات. وأعتقد أن الحمدوني هو الحمدوي نفسه. فالقطعة له، ولا تصح نسبتها إلى ابن الرومي.

هذه حال كثير من المقطوعات التي ضمَّها هذا المستدرک، يُضاف إلى ذلك أن بعض المقطوعات التي يُرجَّح أنها لابن الرومي اكتفى الكاتب في الغالب بمرجع واحد

فقط لإثبات نسبتها، مع وجود مراجع أخرى بعضها أقدم من المرجع المعتمد أحياناً. ومن أمثلة ذلك: القطعة (٢) و(٩) و(١١) و(١٣) و(١٤) و(١٥) و(١٧) و(٢٩) و(٤٤) و(٥١).

والخلاصة أن البحث مبني على استقراء غير تام، ولم يُراعَ فيه المنهج العلمي في قواعد إثبات نسبة الأشعار إلى قائلها، يُضاف إلى ذلك أن أشعار ابن الرومي تزيد على (٣٠) ألف بيت، ومعظمها لا ينال استحسان العلماء ونقاد الشعر، ومن الطبيعي أن تختلط بعض أشعاره، نظرًا لكثرتها، بأشعار بعضٍ من معاصريه، أو ممن تقدّموا عليه، أو تأخروا عنه قليلاً، فلا فائدة علمية تُرتجى من مثل هذا المستدرك.

وحبذا لو صرف أصحاب مثل هذه المستدركات جهودهم إلى الشعر في الجاهلية، وصدر الإسلام، لأنه يمثل مرحلة ضاع معظم آثارها الأدبية وأحداثها التاريخية، كما يمثل اللغة العربية في صورتها النقية.

ولا بدّ أخيراً من الإشارة إلى أنّ ما قدّمته هنا لا أدعي أنه يرقى إلى مستوى البحث العلمي والتحقيق، بل هي مجموعة ملاحظات أهديتها للباحث الفاضل، وأرجو أن يتسع لها صدره، وأقدمها للقراء الأعزاء لعلها تُسهم في التنبيه على بعض الأصول العلمية في تحقيق النصوص وإثبات نسبتها إلى أصحابها.

كتاب المثلثات من كتاب حدائق الآداب للأبهري تحقيق ودراسة

د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان(*)

القسم الأول: دراسة حول المؤلف والكتاب

المؤلف:

لا نعرف عن مؤلف هذا الكتاب سوى اسمه الذي تردّد في بعض المصادر، وهو عبید الله بن محمد بن علي بن شاهمردان أبو محمد، وعند هذا الحدّ وقفت المصادر التي أشارت إليه ولم تذكر شيئاً عن أخباره وأحواله، بل إن ياقوتاً الحموي بعد أن ذكر اسمه صرّح بعدم معرفة شيء عنه حين قال: «ولا أعرف من حاله شيئاً» وأشار إلى كتاب الحدائق بقوله: «إلا أنني وجدت له كتاباً في اللغة في مجلد سمّاه حدائق الآداب»^(١)، ونقل عنه ذلك السيوطي في بغية الوعاة^(٢)، والخوانساري في روضات الجنات^(٣)، ولا بد من الإشارة إلى أن المؤلف نفسه قد صرّح بكنيته ونسبته في مقدمة كتابه «الحدائق» إذ

(*) عضو مراسل في مجمع اللغة العربية في المملكة العربية السعودية.

(١) معجم الأدباء (٧٢/١٢) .

(٢) انظر بغية الوعاة (١٢٩/٢) .

(٣) انظر روضات الجنات (١٧٣/٥) .

جاء فيها (قال أبو محمد الأبهري^(٤))، ومثل هذا ورد في صفحة العنوان إذ اقتصر من اسم المؤلف على ما جاء في المقدمة. أما الكنية فقد أشار إليها من ترجم له، وأما النسبة فلم أجد لها أثرًا عند من أشار إليه أو أورد اسمه من كتب التراجم، ويرجح الدكتور فؤاد سزكين أن صاحب هذه الكنية والنسبة إنما هو عبيد الله بن محمد بن شاهمردان صاحب «الحدائق»^(٥)، وتحديث السمعاني عن هذه النسبة وهي الأبهري وأعادها إلى موضعين أحدهما أبهر وهي بلدة بالقرب من زنجان، والثاني نسبة إلى قرية من قرى أصبهان اسمها أبهر، وذكر جماعة ممن يحملون هذه النسبة من الفقهاء المالكية والمحدثين والصفوية والأدباء، وليس منهم صاحبنا^(٦)، وحدد ياقوت الحموي هذين الموضعين بما هو قريب مما لدى السمعاني^(٧)، ويبدو أن المؤلف كان ذا عناية باللغة والأدب كما يظهر من كتابه «الحدائق»، ومن بعض صلواته بأهل العلم والأدب، ومنهم أبو محمد عبد الله بن شعيب الذي لا نعرف من هو على وجه التحديد سوى أن الأبهري أشاد به في مقدمة كتابه «الحدائق»، ووصفه بالتوسع في الآداب والتقدم في العلم والصناعة «فهو بعض رؤساء الكتاب، وممن جمع التوسع في الأدب والتقدم في الصناعة، والاشتهار بالبراعة، وبلغ في الفلسفة وفنونها مبلغًا عاليًا، وحلّ منها محلاً ساميًا»^(٨)، وفوق ذلك أظهر الأبهري ابن شعيب أنه هو صاحب الفضل في توجيهه وحفزه إلى الإقدام على تأليف كتابه «الحدائق»، وأشاد بما له من توجيهات سديدة

(٤) الحدائق ٩ .

(٥) تاريخ التراث العربي المجلد الثامن الجزء الأول، ص ٣١ .

(٦) انظر الأنساب (١٠٣/١، ١٠٤) .

(٧) انظر معجم البلدان (٨٢/١، ٨٣) .

(٨) الحدائق، ٩، ١٠ .

أوضحت له معالم الطريق^(٩)، ويقدرُّ البغدادي أن وفاة الأبهري ربما كانت في حدود سنة (٦٠٠)^(١٠)، ويستبعد الدكتور محمد السديس هذا التاريخ ويرى أن الصواب هو سنة (٦٨٨) واستند في ذلك إلى أن المؤلّف ذكر أبا محمد عبد الله بن شعيب وأنه هو الذي اقترح عليه صنع كتابه الحدائق، وابن شعيب توفي سنة (٧٠٩) ومن هنا أيضًا جاء تصحيحه لتاريخ نسخ مخطوطة مكتبة طبوقبو، الذي ذكر أنه سنة ٥٨٨^(١١).

تعريف المثلث:

إذا قلبنا النظر في معاجم اللغة العربية بحثًا عن لفظة المثلث، نجد أنها تدور حول الدلالة على ثلاثة أشياء، فهذا الأزهري في تهذيب اللغة ينقل عن الليث قوله: «المثلث: ما كان من الأشياء على ثلاثة أثناء» وأشار إلى المثلوث من الحبال وهو ما قُتل على ثلاث قوى، ومثل هذا ورد عن الجوهرى في الصحاح وعنده أيضًا (الثلوث من النوق: التي تجمع بين ثلاثة آنية تملؤها إذا حلبت)، والمثلوثة: مزادة تكون من ثلاثة جلود، وشيء مثلث: أي ذو أركان ثلاثة^(١٢).

على أن هذا المظهر اللغوي للفظ المثلث لا يبعد كثيرًا عن المدلول الاصطلاحي للفظه نفسها عند اللغويين، الذين عنوا بجمع المثلث من الألفاظ وأفردوها بالتأليف، وعلى رأسهم محمد بن المستنير المعروف بقطرب، فهو يذهب إلى أن المثلث «اسم يُرى في الكتاب واحدًا ويُصرف على ثلاثة أوجه فتح وكسر وضم» ويلاحظ أن هذا التعريف فيه شيء من الإجمال الذي يحتاج إلى تفصيل وهو ما نجد عند ابن السيد

(٩) انظر المصدر السابق، ٩، ١٠.

(١٠) هدية العارفين (٦٥٠/٥).

(١١) مقدمة تحقيق حدائق الآداب صفحة (ب، ج).

(١٢) الصحاح (٢٧٦/١).

البَطْلِيُّوسِي إذ يرى أن المثلث «ما اتفقت أوزانه وتعادلت أقسامه ولم يختلف إلا بحركة فائه فقط أو بحركة عينه فقط أو كانت فيه ضمتان تقابلان فتحتين وكسرتين، كالسَّمْسَمِ والسَّمْسِمِ والسَّمْسُمِ، والجَرْجَارِ والجِرْجِيرِ والجُرْجُورِ والمَهْمَاهِمِ والمُهْمُهُومِ»^(١٣).

وهكذا يتبين أن المثلث من الألفاظ إنما يتمثل فيما جاء منها متفقاً من حيث الوزن وعدد الحروف وترتيبها، مع تقلبها من حيث الحركات على ثلاثة أوجه فتحاً وضمّاً وكسراً، وهذا الاختلاف يكون بحركة فاء اللفظة فقط، أو عينها فقط، أو يكون فيما فيه ضمتان تقابلان فتحتين أو كسرتين كما أشار البطليوسي في مقدمة كتابه «المثلث». وهو يوحي فيها أن المثلث في اللغة على نوعين هما: المثلث المتفق المعاني: وهو ما اتفقت فيه اللفظة من حيث الوزن والحروف واختلفت من حيث الحركات على ثلاثة أوجه الفتح والضم والكسر، ولا يؤثر هذا الاختلاف في المعنى المراد، ومن هذا القبيل الأثره والأثره والأثره: بمعنى الاستئثار بالشيء^(١٤). أما النوع الثاني: فهو المثلث المختلف المعاني وفيه تختلف معاني اللفظة باختلاف الحركات الثلاث من مثل: العَمْرُ بالفتح، الماء الكثير وبالكسر الحقد، وبالضم الرجل القليل التجربة^(١٥).

المثلثات عند الأبهري

تناول الأبهري المثلثات ضمن كتابه «الحدائق» وذلك في الكتاب الحادي والعشرين منه، حيث ضم بين دفتيه ثلاثين كتاباً حول موضوعات متعددة ومتنوعة لها أهميتها وقيمتها في مجال اللغة والأدب، من مثل كتاب «خلق الإنسان» وكتاب «الخيال» وكتاب

(١٣) المثلث لابن السيد البطليوسي (٢٩٨/١).

(١٤) انظر المصدر السابق (٣٠٤/١).

(١٥) انظر المصدر السابق (٣١٥/٢).

«الإبل» وكتاب «الوحوش»، وكتاب «الحشرات»، وكتاب «الصفات والأسماء»، وكتاب «ما في السماء والهواء»، وكتاب «الأزمنة»، وكتاب «النبات»، وكتاب «السلاح»، وكتاب «الأمثال»، وكتاب «المثلثات»، وكتاب «إصلاح المنطق»، وكتاب «الإعراب»، وكتاب «الهجاء»، وكتاب «الألفاظ الدائرة في السنن والأحكام». ويبدو أن الأبهري اعتمد في كتابه هذا على المصادر الأولى في اللغة عند أبي عبيدة والأصمعي، إلى جانب الإفادة مما اختاره أبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، وأبو زيد الكلابي، وأبو زيد الأنصاري. وقد اصطفى من ذلك كله الزبدة والخلاصة وأودعها كتابه «الحدائق» كما أشار في المقدمة حين قال «وانتقيت اللباب والصريح والكلام الفصيح فأودعته هذا الكتاب، لأننا وجدنا كتب العلماء في اللغة مصنفة على قسمين، أحدهما ما ذهب إليه أبو عبيدة والأصمعي ومن هذا حذوهما من أفراد كل نوع بكتاب خاص، كإفرادهم خلق الإنسان من خلق الخيل، وتمييزهم كتاب «الطير» من كتاب «الوحش»، وكتاب «السلاح» من كتاب «الصفات»؛ والقسم الثاني ما اختاره أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وأبو زيد الكلابي وأبو زيد الأنصاري في أكثر الكتب من جمع كلام العرب خلطاً من كل فن غير مبوّب ولا مصنّف. وقد عرف أبو محمد عبد الله بن شعيب انتشار اللغة وتشتتها في أعماق هذه الكتب، وتقطعها بين هذين القسمين فرأى أن أجمع ما يُحتاج إلى استعماله من الألفاظ الفصيحة والأسماء الجزلة الصحيحة، والتقاط ذلك من جميع هذه الكتب^(١٦)، وقد طُبِعَ كتاب «حدائق الآداب» بتحقيق الدكتور محمد بن سليمان السديس الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض وصدر عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

ومن هنا ندرك أن أبا محمد عبد الله بن شعيب كان له دور كبير في حث المؤلف على إنجاز هذا الكتاب، وفي توجيهه إلى الاصطفاء والاختيار مما تناثر في بطون الكتب مما يهم

المتأديين والطلاب في اللغة والنحو والشعر. وهكذا جاء كتاب الحقائق شاملاً وجامعاً لصنوف وموضوعات متنوعة من اللغة والأدب، ودرج مؤلفه على أن يجعل كل صنف أو موضوع في كتاب مستقل، أو حديقة منفردة زاخرة بشهية الثمر، ولا غرور أن يكون له من اسمه نصيب فهو كما وصفه المؤلف «كتاب يجمع الكتب، ويستأن يُرَى على البساتين يحتوي على حدائق الرياحين، لأن كل كتاب منه حديقة منفردة بأنواع من الشجر، وفنون من الزهر ترتاح له نفوس الأدباء، وقلوب الألباء كما ترتاح للرياض المونقة الأنوار»^(١٧).

أما كتاب المثلثات فيبدو أن الأجهري اعتمد فيه على مثلثات قطرب، فالألفاظ تكاد تكون متفقة في الكتابين، سوى بعض الإضافات والإيضاحات التي يعقب بها المؤلف أحياناً، وقد اقتصر فيه على المثلث المختلف المعاني كما هو الشأن عند قطرب، وساق من ذلك ثمان عشرة لفظة^(١٨)، وقليلاً ما يستشهد في إيضاح بعض المعاني بآيات من القرآن الكريم أو بشيء من أشعار العرب، ويلاحظ أن المؤلف قد تابع قطرب فيما وقع فيه من أخطاء حيث ذكر السُّلامي مع السَّلام والسَّلام، في حين أنَّ السُّلامي من المقصور، ونَبَّه على ذلك ابن السيد البطليوسي في مقدمة كتابه «المثلث» وهو بصدد الإشارة إلى بعض المآخذ حول مثلث قطرب^(١٩).

مخطوطة كتاب الحقائق

النسخة التي بين يدي من هذا الكتاب حقائق الآداب هي نسخة طبوقبو سراي أحمد الثالث بتركيا، وهي نسخة جيدة كُتبت بخط نسخي واضح مضبوط بالشكل، وفي الصفحة الواحدة خمسة عشر سطراً تقريباً، وكُتبت العناوين بخط عريض متقن،

(١٧) الحقائق، ١١ .

(١٨) في نسخة دار الكتب المصرية زيادة وصلت إلى (٢٩) مادة وسيأتي ذكرها .

(١٩) انظر المثلث للبطليوسي (١/٢٩٨) .

وعدد أوراقها ٢٥٠ ورقة، وُكُتبت سنة ٥٨٨ هـ^(٢٠)، فهي على هذا الأساس تُعد نسخة قيِّمة حيث كُتبت في حياة المؤلِّف إذا كانت وفاته في حدود سنة ٦٠٠ هـ، كما أشار البغدادي في «هداية العارفين»، وجاء كتاب «المثلثات» في ورقتين من هذه المخطوطة. وأشار فؤاد سركين إلى نسخة أخرى في مكتبة بلدية الإسكندرية، وهناك نسخة أخرى في دار الكتب المصرية. وقد اعتمد الدكتور محمد السديس على هذه النسخ في تحقيق كتاب الحدائق ووصف هذه النسخ في مقدمة التحقيق بأن عمله في تحقيق كتاب المثلثات ضمن كتاب الحدائق جاء قاصراً من حيث التعليق على الألفاظ التي تحتاج إلى مزيد من بيان معانيها وتوثيق هذه الألفاظ من المصادر اللغوية المماثلة، أو من معاجم اللغة المشهورة. وقد قمت بتكملة هذا القصور في تحقيقي لكتاب المثلثات، إلى جانب أنني قمت بإعداد دراسة عن المؤلِّف وعن كتابه، وتوخيت تقويم النص وتحريه من التصحيف والتحريف.

القسم الثاني

النص المحقق لكتاب المثلثات

والمثلثات ما كان على هجاء واحد، وثلاث حركات، وما كان من الألفاظ على ثلاثة أوجه من الحركة لكل وجه معنى مخالف لغيره، نذكر منها الفتح ثم الكسر، ثم الضم، لئلا يغلط القارئ^(٢١)، وبالله التوفيق فمن ذلك:

(٢٠) هذا التاريخ هو الذي يظهر من المدون على المخطوطة، وسبقت الإشارة إلى أن الدكتور محمد السديس محقق كتاب الحدائق يرى أن الصواب هو ٦٨٨ هـ .

(٢١) الذي يتحدث عنه الأبهري هنا وساق هذه الألفاظ له إنما هو من قبيل المثلث المختلف المعاني، ذلك لأن الألفاظ المثلثة في اللغة على نوعين منهما هذا النوع الذي بين أيدينا، أما النوع الآخر فهو ما يسمى المثلث المتفق المعاني، وهذا النوع لا يحتمل سوى معنى واحد على اختلاف ضبطه بالشكل فتحاً ورفعاً وجراً، وقد أُلِّف في هذا النوع الفيروزآبادي كتابه (الدرر الميثة في الغرر المثلثة) وجمع بين النوعين ابن السيد البطلبوسي في كتابه (المثلث) وانظر فيه تعريف المثلث عند ابن السيد (١/٢٩٨).

- ١- السَّلَامُ: وهو السَّلَامَة، والسلام بعينه والسَّلَام: بالكسرة الحجاره. والسَّلَامَى^(٢٢): بالضم والألف بعد الميم واحده السَّلَامِيَات وهي عظام ظهور اليدين والقدمين.
- ٢- العَمْرُ: معجمة العين الماء الكثير. والغَمْرُ الحقد، والعُمْرُ: الرجل القليل التجربة البعيد عن الحيلة^(٢٣).
- ٣- الكَلَامُ: الذي يتكلم به الإنسان^(٢٤). والكَلَامُ: الجراحات واحدها كَلْم. والكَلَامُ: الأرض الصلبة.
- ٤- والحَجْرُ: مقدم القميص وغيره من اللباس^(٢٥)، وهو مصدر حجر القاضي

(٢٢) هذه اللفظة لا تناسب ما ذكر قبلها، وهي من المآخذ التي لاحظها ابن السيد البطليوسي على من أَلَّف في المثلث وخلط في تأليفه، ومنهم قطرب الذي أوردها مع اللفظين السابقين وهما غير مقصورين في حين أن «السلامي» مقصورة. انظر المثلث لابن السيد (٢٩٨/١) وفي القاموس المحيط ١٤٤٩. السَّلَامِي: كحباري عظام في فرسن البعير، وعظام صغار طول أصبع أو أقل في اليد والرجل.

(٢٣) انظر المثلث لابن السيد (٣١٥/٢، ٣١٦، ٣٢٠).

(٢٤) يقول ابن السيد البطليوسي: وأكثر ما يستعمل في الجمل القائمة بأنفسها، ويستعمل في كل ما نُطِق به، ويسمى ما في القلب كلامًا وقولًا قبل أن يلفظ به قال الله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ وقال الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ويسمى كل دليل كلامًا وقولًا ونطقًا = المثلث (١٢١/٢).

(٢٥) بفتح الحاء وكسرها الحِضْنُ، وكذلك حَجْر الإنسان وحجره انظر المثلث للبطليوسي

(٤٣٨/١).

عليه إذا منعه من البيع والشراء^(٢٦) .

والحِجْر^(٢٧): العقل ومنه قوله **عَلَيْكَ** ﴿حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢] أي حرامًا محرّمًا^(٢٨). والحِجْرُ: اسم رجل^(٢٩).

٥- والدَّعْوَةُ: مصدر دعوته دعوة واحدة أي مرة. والدَّعْوَةُ: ادّعاء الرجل إلى قوم ليس منهم. وأما الدَّعْوَةُ: فما يدعى إليه من الطعام والشراب^(٣٠).

٦- الخَرْقُ: الأرض الواسعة. والخِرْقُ: الغني اللثيم^(٣١). والخِرْقُ: الجهل والحمق.

٧- الحِرَّةُ: أرض سوداء فيها حجارة سود وبيض. والحِرَّةُ: العطش والحِرَّةُ: تَأْنِيثُ الحِرِّ^(٣٢).

(٢٦) أشار البطلوسي إلى معنى المنع وذكر منه الحجر على السفينة وهو أن يُمنع من إفساد ماله، وحَجْرٌ أيضًا قسبة اليمامة. المثلث (٤٣٧/١) .

(٢٧) ومن معاني اللفظة بالكسر: حطيم مكة مما يلي الشعب، وقيل الحِجْرُ: القرابة، وبلاد ثمود والأنتى من الخيل وانظر المثلث للبطلوسي (٤٣٩/١) .

(٢٨) يبدو أن الاستشهاد بجزء الآية هنا ليس على معنى العقل ولو كان الأمر كذلك لما صح هذا الاستشهاد لأن سياق الآية في الموضوعين من سورة الفرقان الآية رقم ٢٢، ٥٣ لا ينبئ بذلك وانظر التسهيل لابن جزي (١٧٣/٣) والكشاف (٢٧٣/٣، ٢٨٧) .

(٢٩) ممن سُمِّيَ بذلك أبو امرئ القيس.

(٣٠) هذا التفسير جاء في مثلث قطرب ١١٧ وعقّب عليه البطلوسي بقوله: (وأما الدَّعْوَةُ بضم الدال فزعم أنها الدعوة إلى الطعام، ولا أحفظ ذلك عن غيره، والذي حكاه اللغويون دعوة بالفتح). المثلث (١٤/٢) .

(٣١) عند البطلوسي في المثلث (٤٨٣/١) الخِرْقُ بالكسر: السخي من الرجال يتخرق في العطاء وانظر تاج العروس (٣٢٨/٦) .

(٣٢) هذا المعنى قاصر وعند أبي السيد البطلوسي في المثلث (٤٥٩/١) الحِرَّةُ من النساء بالضم: خلاف الأمة، ورملة حرة: أي طيبة، وسحابة حرة: أي غزيرة الماء، وحرّة الدَّفْرَى: مجال القرط، والحِرَّةُ: الأذن .

٨- السَّبْتُ: من الأيام وأصل السبت الراحة، وسمي اليوم سبْتًا لأنه يوم راحة لليهود^(٣٣). والسَّبْتُ: النعال اليمينية. والسَّبْتُ: نبت يشبه الخظمي^(٣٤).

٩- السَّهَامُ: شدة الحرِّ، ويقال الريح الحارة. السَّهَامُ: جمع سَهْمٍ^(٣٥) والسَّهَامُ. زعموا ألعاب الشمس^(٣٦)، وقال الشاعر^(٣٧):

تخالُّ السَّهَامَ بأرجائها سَبَائِحَ قُطْنٍ لَدَى نَادِيِنَا

١٠- الشَّرْبُ: القوم المجتمعون على شراب، واحدهم شراب مثل راكب وركب. والشَّرْبُ القسط من الماء^(٣٨). والشَّرْبُ: مصدر شربت شَرِبًا^(٣٩).

١١- الشُّكْلُ: الشُّبُهَةُ والمِثْلُ. والشُّكْلُ: الغنج والدلال. والشُّكْلُ: جمعه

(٣٣) انظر المثلث (٤١٥/٢) وتاج العروس (٥٤٧/١).

(٣٤) أشار الزبيدي في تاج العروس إلى أن هذا المعنى عن «كراع».

(٣٥) وهو النبل، والسَّهَامُ: الأنصباء.

(٣٦) السَّهَامُ: داء يصيب البعير من شدة الحر، ويعلِّق الزبيدي في تاج العروس (٣٥٣/٨) بقوله (ظاهر سياقه كسحاب والصحيح أنه بهذا المعنى مضموم قال شيخنا وهو المنصوص عليه في مصنفات اللغة والموافق للقياس في الأداء يقال بعير مسهوم إذا أصابته السهام) وانظر المثلث للبطليوسي (٤٢٨/٢) وفي تاج العروس (٣٥٢/٨) السَّهَامُ بضمين غزل عين الشمس.

(٣٧) البيت لكعب بن زهير في المثلث للبطليوسي (٤٢٨/٢) واستشهد به على السَّهَامِ بالفتح والضم بمعنى وهج الصيف ورياحه الحارة بخلاف ما سبق لأجله هنا، ولم أجد البيت في ديوان كعب بن زهير في القصيدة التي هي من بحر هذا البيت وقافيته.

(٣٨) والشَّرْبُ أيضًا: ضرب من الثياب.

(٣٩) وعن أبي عمر الشَّرْبُ: الفهم وانظر تهذيب اللغة (٣٥٦/١١) واللسان (٤٧٥/١) والمثلث

للبطليوسي (٤٤١/٢).

شكال^(٤٠)، والشُّكْل أيضًا الحطّات في الكتابة التي تبيّن بها الحركات.

١٢- الرِّقَاق: الرمال المتصلة^(٤١). والرِّقَاق: جمع رقيق. والرِّقَاق: ما نصب عنه الماء من شطوط الأنهار والأودية. وأمّا الرِّقَاق: فالخبز المرقق واحدها رُقَاقَة.

١٣- الطَّلِي: الولد أول ما يولد من الطيبة وغيرها. أما الطَّلَاء: ممدود فالشراب الغليظ الذي كأنه يُطلى به^(٤٢). والطَّلِي مقصور: الأعناق واحدها طَلِيَة^(٤٣).

١٤- الصَّرَّة: الجماعة قال الشاعر^(٤٤):

هَبَّاطٌ أودِيَّةٍ و هادي صَرَّةٍ حشناءً فيهنّ الأسنّة تلمعُ

(٤٠) الشُّكْل: جمع الأشكل من الكباش، وهو الذي ابيضت خاصرته، والأشكل من الناس: هو الذي في بياض عينيه حمرة، والأشكل من سائر الحيوان: ما خالط سواده حمرة أو غبرة، والشكل أيضًا: جمع شِكْال وهو ما تُشكَل به الدابة. المثلث للبطليوسي (٤٤٥/٢) وانظر اللسان (شكل ١٣ / ٣٧٩).

(٤١) الرِّقَاق بالفتح: الأرض السهلة المنبسطة المستوية اللينة التراب تحت صلابه، وعن الأصمعي الرِّقَاق: الأرض اللينة من غير رمل، اللسان (٤١٤/١١).

(٤٢) في المقصور والممدود لابن ولاد، ص ٧. الطَّلَاء: ضرب من الأشربة، والطَّلَاء أيضًا ما يُطلى به البعير، ويُلاحظ أن هذه اللفظة من الممدود، ولا تنسجم مع ما جاءت في سياقه وسبق أنّ البطليوسي قد انتقد قطرب على مثل هذا الصنيع.

(٤٣) في المقصور والممدور للغراء، ص ٦٣، الطَّلِي: ولد البقرة والطيبة مقصور يُكتب بالياء والطَّلِي الأعناق يُكتب بالياء، والجمع أطلاء ممدود يُكتب بالألف. في المثلث لابن السيد البطليوسي (٩٤/٢) الطَّلِي بالضم صفحات الأعناق واحدها طَلِيَة وطلاة قال ذو الرمة:

أضله راعيا كليلية صدرا عن مُطَلِّبٍ وطَلِي الأعناق تضطرب

(٤٤) هو الشمردل بن شريك كما جاء في المثلث للبطليوسي (٢٢٩/٢).

وأما قوله عز وجل: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ﴾ [الذاريات: ٥٩]، فالصِّرةُ هنا: الصَّيِّحة والضَّحَّة. والمعنى أنَّها حين سَمعت البشارة بالولد صاحت صيحة كأنها فرحت وتعجبت، الصِّرة: البرد والليلة، وكان الريح الصرصر من ذلك^(٤٥). وأما الصُّرة: فالخرقة يُشد فيها الشيء .

١٥- المِلاء: مقصور: الصحراء، المِلاءُ مقصور مهموز وجوه كل قوم^(٤٦). والمِلاء: ممدود جمع مِلاءن^(٤٧) .

ويقال أيضاً رجل مليء بكذا، وله مِلاء ممدود أي وفاء .
وقوم مُلاء بالضم، وآنية ملاءً بالكسر فرقاً بين الآنية والرِّجال، والمِلاءُ بالضم أيضاً: الثوب من الكتان وغيره^(٤٨) .

(٤٥) انظر اللسان (١١٩/٦، ١٢٠).

(٤٦) في المقصور والممدود للفراء، ص ٤٧، المِلاءُ من الرجال، والمِلاءُ الخلق ويقال الخلق مهموزان مقصوران يكتبان بالألف يقال أَحْسِنُ مِلاءً أي خُلقك، والمِلاءُ من الأرض مقصور غير مهموز يكتب بالياء والألف والألف أجود وهو ما اتسع من الأرض، في المثلث للبطلبيوسي (١٧١/٢) المِلاءُ بالفتح: الجماعة من قولهم يتمالؤون على الأمر: أي يجتمعون ويتعاونون عليه، ومِلاءُ القوم: كبارهم وأشرفهم قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٠٩] والمِلاءُ: الخُلق ومنه قوله ﷺ في حديث الأعرابي الذي بال في المسجد «حسِّنوا أملاءكم» وقال عبد الشارق الجهني:

تنادوا يالْبُهْثَةَ يوم صبر فقلنا أحسني مِلاءً جهيها

وانظر المقصور والممدود لابن ولاد: ١٠٢ .

(٤٧) في المثلث للبطلبيوسي (١٧١/٢) المِلاءُ بالكسر: جمع مِلاءة وهي الامتلاء من الطعام ويبدو أن الجمع على ما ذهب إليه البطلبيوسي وانظر اللسان (١٥٣/١).

(٤٨) انظر المقصور والممدود للفراء، ص ٢٥، واللسان (١٥٥/١) .

١٦- السَّقْطُ^(٤٩): الثلج، ويقال له السقيط أيضاً، [وقال الشاعر في السقط:

ووادٍ كجوفِ العيرِ كَلَفْتُ صُحْبَتِي تَرى السَّقْطَ في أَعْلَامِهِ كَالكَرَاسِفِ^(٥٠)

والسَّقْطُ: النار التي تسقط من الزند. والسَّقْطُ: الولد، ويقال له السَّقْطُ بالكسر أيضاً]^(٥١)

١٧- والأُمَّةُ: الشَّجَّةُ، ويقال لها الأُمَّةُ والمأمومة، والأُمَّةُ في الأصل الفَعْلَةُ من

أُمَّتِهِ إذا شججته قال الشاعر:

فَأُمَّهُ أُمَّةٌ بِالْفِهْرِ مُوضِحَةٌ فَوْهَاءٌ تَعْرِقُ فِيهَا إِصْبَعُ الْآسِي^(٥٢)

وأما الأُمَّةُ: ممدودة فهي الشجة التي تبلغ أم الدماغ، وهذه هي الموضحة وهي التي تُضَحُّ العظم فلا تجوزه، وأما الإِمةُ: فهي النعمة، وأما الأُمَّةُ: بالضم فقامة الإنسان، والأُمَّةُ الجماعة^(٥٣).

١٨- والقَسْطُ: مصدر قسط يقسُط إذا جار فهو قاسط أي جائر قال الله تعالى:

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]، ويقال أقسط إذا عدل^(٥٤)، ومنه

(٤٩) هذه المادة فتحاً وكسراً وضماً عددا ابن السيد البطليوسي (٤٠٣/٢) من قبيل المثلث المتفق المعاني، وتبعه الفيروزآبادي في الدرر المبتثة: ١٣٠.

(٥٠) البيت في اللسان (١٨٨/٩، ١٨٩) لهديبة بن خشرم ورواية صدره (ووادٍ كجوف العيرِ قفر قطعته). (٥١) ما بين المعكوفين استندراك في هامش الأصل.

(٥٢) البيت بدون عزو في المثلث للبطليوسي (٣٢٧/١) ورواية صدره (فَأُمَّهُ أُمَّةٌ بِالْفِهْرِ مهلكة).

(٥٣) انظر المثلث للبطليوسي حيث ذكر للفظ الأُمَّة ثمانية معان (٣٢٨/١، ٣٢٩).

(٥٤) قَسَطَ: من الأضداد يقال قَسَطَ الرجل إذا عدل، وقَسَطَ إذا جار، والجور أغلب على قَسَطَ قال الله ﷻ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] أراد الجائرون، وقال القطامي:

أليسوا بالألى قَسَطُوا جميعاً على النعمان وابتدروا السطاعا

ويقال: أقسط الرجل بالألف إذا عدل لا غير قال الله ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] قال الحارث بن حلزة:

ملكٌ مُقْسِطٌ وَأَكْمَلُ مَنْ يَمْشِي وَمَنْ دُونَ مَا لَدَيْهِ الشَّاءُ

الأضداد للأنباري، ٥٨.

قوله **رَبِّكَ** ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] والقِسْطُ بالكسر: العدل ومنه قوله **رَبِّكَ**: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] وأما القِسْطُ بالضم فما يتبخر به. انقضى والحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الأبرار.

١٩- **اللِّحَا**: لِحَا الشَّجَرِ وهو قِشْرُهَا؛ واللِّحَى: جمع لِحِيَّةٍ، وهي عَظْمُ اللَّثَّةِ؛ واللُّحَى جمع اللحية^(٥٥).

٢٠- **الحَلْمُ**: من الاحتلام في النوم؛ والحَلِمُ: من فساد الأديم إذا نَعِلَ. والحَلْمُ: من الحلم والعقل^(٥٦).

٢١- **العَرْفُ**: العُوْدُ؛ والعَرْفُ: الصبر على المصيبة، والعَرْفُ: المعروف^(٥٧).

(٥٥) ابتداء من هذه المادة إلى نهاية رقم (٢٩) زيادة من نسخة دار الكتب المصرية، ولا توجد في النسخة المعتمدة طوبوقو بتركيا، وفي المقصور والممدود للفراء، ص ٢٥- اللِّحَا على وجهين، اللِّحَى بالقصر والكسر جمع لحية يكتب بالياء، واللِّحَاء: أن يتلاحى الرجلان، اللِّحَاء: لحاء الثمرة وهو ما كسا النواة منها، وكذلك لحاء العصا ممدود، وانظر المقصور والممدود لابن ولاد، ص ٢٣٣، ومثلثات قطرب، ص ٤٤.

(٥٦) نغل: أي تعقن وتحرى في الدباغ، وفي مثلثات قطرب: حَلْمٌ: من الحلم والاحتمال، وانظر المثلث للبطليوسي (٤٥٣/١، ٤٧٣).

(٥٧) انظر مثلثات قطرب، ص ٤٧ حيث أورد شواهد للمعاني المذكورة على معنى الفتح قول عدي بن زيد:

أبصرت عيني عشاءً ضوءاً نار
من سناها عَرَفَ هنديّ وغار

وعلى معنى الكسر قول: دهبِل

قل لابن قيس أخي الرُّقِيَّاتِ
ما أحسن العَرَفَ في المصبيات

وعلى معنى الضم قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأُوْمَرُ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف، ١٩٩].

وانظر المثلث للبطليوسي (٢٥٥/٢، ٢٥٦) وتاج العروس (١٩٢/٦).

٢٢- الجَدُّ: أَبُو الأب، والجِدُّ: ضد الهَزَل، والجُدُّ: البئر العَادِيَّة^(٥٨).

٢٣- الكَلَا: النَّبْتُ؛ والكِلَا جمع كَلَايَة، والكُلَى جمع كِلِيَّة^(٥٩).

٢٤- الجَوَارِي^(٦٠): جمع جارية؛ والجوار: المجاورة، والجَوَّار: الصوت^(٦١).

٢٥- المَسْكُ: الجلد؛ والمِسْكُ: الطَّيِّب؛ والمُسْكُ: ما أُمْسِكَ من رَمَق

(٥٨) في مثلثات قطرب، ص ٤٨، ٤٩ - من معاني الفتح عظمة الله سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، واستشهد على الاجتهاد بقول الشاعر:

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمِّي لمختلف جدًا
وبالضم بمعنى البئر القديمة. استشهد بقول زهير:

أَسَافِيَّ سَعْفًا فِي مَعْرَسِ مِرْجَلٍ وَتُوَيْيَا كَحَوْضِ الْجَدِّ لَمْ يَتَثَلَّمْ
وانظر المثلث للبطلوسي (٣٩٥/١ - ٣٩٧)، وتاج العروس (٣١٣/٢).

(٥٩) وفي مثلثات قطرب، ص ٤٩: وأما الكلا: جمع كلاءة وهي الحفظ، قال جميل بن معمر:

فكويي بخير في سرور وغبطة وإن كنت قد أزمعت صرمي وهجري
الكلا، والكلا مقصور ومهموز: النبت - قال زهير:

فَقَضُّوا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَاٍ مُسْتَوِيلٍ مُتَوَحَّمٍ
وانظر المثلث للبطلوسي (١٢٢/٢)، وتاج العروس (٣١٦/١٠).

(٦٠) هذا إذا كان بصيغة الجمع، وقد ذكر البطلوسي في المثلث (٤٢٢) أن الجوار بالفتح الماء الكثير الذي لا يدرك له مقر، قال القطامي يصف سفينة نوح:

وعامت وهي قاصدة بإذن ولولا الله جار بما الجوار

(٦١) انظر المثلثات لقطرب (ص ٥٠)، وذكر من معانيها السيف، وبالضم، الصوت العالي في

الحرب، وانظر المثلث للبطلوسي (٤٢٢/١، ٤٢٣).

الإنسان، يقال: به مُسَكَّةٌ^(٦٢).

٢٦- اللَّمَّةُ: ما طافَ بِالْإِنْسَانِ مِنْ جَنُونٍ أَوْ فَرَعٍ، وَاللَّمَّةُ: الْوَفْرَةُ مِنَ الشَّعْرِ؛ وَاللَّمَّةُ: الْجَمَاعَةُ^(٦٣).

٢٧- الصَّلُّ: صوت الحديد؛ والصَّلُّ: الْحَيَّةُ الرَّفِيعَةُ؛ وَالصَّلُّ: مَا يُشْرَبُ فِيهِ الْمَاءُ حَوْوُ الْبَاطِيَةِ^(٦٤).

٢٨- البُرُّ: المفازة؛ والبُرُّ: الخبز؛ والبُرُّ: الحنطة^(٦٥).

٢٩- الجِنَّةُ: البستان؛ والجِنَّةُ: الجِرْنُ، والجِنَّةُ: الثُّرسُ^(٦٦).

(٦٢) انظر مثلثات قطرب (ص ٥٠، ٥١) والمثلث للبطليوسي (١٤٩/٢)، وتاج العروس (١٧٩/٧)، واستشهد قطرب على المسك بالضم بقول: ابن أحمد:

فلولا مُسَكَّةٌ مِنْ مَاءِ مِزْنٍ تُضَلَّلُنَا لَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ

(٦٣) انظر مثلثات قطرب (ص ٢٥٢)، والمثلث للبطليوسي (١٣٨/٢)، وانظر الشواهد هناك.

(٦٤) انظر مثلثات قطرب (ص ٥٥ فقرة ٣٣ وذكر معنى آخر للصَّلُّ بالضم، وهو ما نتن من اللحم، وانظر المثلث للبطليوسي (٢٢٧/٢) وعقب على المعنى المذكور عند قطرب بقوله: (وزعم قطرب أن الصَّلُّ بالضم ما تغير من اللحم وغيره ولا أحفظ ذلك عن غيره: ومثل هذا التعقيب فيه نظر، لأن المعنى الذي ذكره قطرب وارد عن أئمة اللغة كما جاء في لسان العرب (٤١٧/١٣) وتاج العروس (٤٠٥/٧)).

والصَّلَّةُ: بقية الماء في الحوض، والصَّلُّصل: القدح أو الصغير منه، والمصلة بالكسر الإناء الذي يُصْفَى فِيهِ، لسان العرب (٤٠٧/١٣).

(٦٥) انظر المثلث للبطليوسي (٣٥٧/١) وذكر أن البُرَّ بالفتح خلاف البحر، وبالكسر من معانيه الإكرام، واللطف. وقال ثعلب البُرُّ: القلب.

(٦٦) انظر معاني أخرى في المثلث للبطليوسي (٤١٧/١) وذكر من معاني الجِنَّةُ بالكسر الملائكة، وبذلك فسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصفات: ١٥٨]، وانظر في

ذلك تفسير القرطبي (١٤٣/١٥).

المصادر والمراجع

- ١- الأضداد: محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق/ أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠ م.
- ٢- الأنساب: لعبد الكريم السمعاني، دائرة المعارف العثمانية، بيجدر آباد، الهند، ١٣٨٢ هـ.
- ٣- بغية الوعاة: لجلال الدين السيوطي، تحقيق/ أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسى الحلبي، ١٣٨٤ هـ.
- ٤- تاج العروس في شرح القاموس: للزبيدي: طبع بولاق، ١٣٠٧ هـ.
- ٥- تاريخ التراث: للدكتور فؤاد سزكين، الطبعة الصادرة عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٦- التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جُزَيِّ الغرناطي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى.
- ٧- تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٦٤م - ١٩٧٥م.
- ٨- الدرر المبتثة في غور المثلثة: للفيروزآبادي، تحقيق/ الدكتور علي البواب، دار اللواء بالرياض، ١٤٠١ هـ.
- ٩- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: للخوانساري، إيران، ١٣٩٢ هـ.
- ١٠- الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري، طبع دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٧٦ هـ.
- ١١- القاموس المحيط: للفيروزآبادي، طبع بمؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ١٢- الكشاف: لجار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٣- لسان العرب: لجمال الدين بن منظور، طبع بولاق، ١٣٠٨ هـ.

- ١٤- المثلث: لابن السيد البطليوسي، تحقيق/ صلاح الفرطوسي، العراق، ١٩٨٢م، دار الرشيد.
- ١٥- معجم الأدباء: لياقوت الحموي، دار المأمون بمصر، ١٣٥٥ هـ .
- ١٦- معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٧٤ هـ .
- ١٧- المعرب من كلام الأعجمي: لأبي منصور الجواليقي، ت ٥٤٠، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، صدر عن دار الكتب المصرية، ١٣٨٩ - ١٩٦٩ م .
- ١٨- المقصور والممدود: لأبي زكريا الفراء، ت ٢٠٧، تحقيق/ ماجد الذهبي، صدر عن مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٩- المقصور والممدود - لأبي العباس أحمد بن ولّاد (ت ٣٣٢) تحقيق الدكتور إبراهيم عبد الله - صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق .

الدراسة المقطعية في التراث

من إشارات النحاة واللغويين إلى تنظير الفلاسفة المسلمين

د. المهدي بوروبة(*)

هذه الدراسة محاولة متواضعة، الغرض منها بعث تلك الجهود الخاصة بالدراسة المقطعية، التي بثها أئمة اللسان العربي في مختلف مصادر التراث اللغوية و الفلسفية على اختلاف مستوياتها البحثية، إذ يكتشف العائد إلى موروثنا الصوتي والمنقب في مظانّه أنّ النحاة واللّغويين خاصة، لم يولوا الدراسة المقطعية اهتماماً كبيراً، ولم يلقَ هذا النوع من البحث حظاً وافراً من عنايتهم، شأنه في ذلك شأنُ جُلِّ الظواهر الأدائية - أي ما فوق المقطعية - كالنبر والتّنعيم.

غير أنّ غياب دراسة مقصودة من هذا النوع في تراثنا اللّساني، كما جسّده النحاة واللغويون، لا يعني مطلقاً إغفال أو عدم التفات هؤلاء الأئمة إلى المعالجة المقطعية لأنسجة اللّغوية في اللّغة العربية، بل لقد وصلتنا منهم إشارات مهمة يمكن عدّها إرهاصات أولى في هذا المجال، إذ الظاهر مما أوردته بعض المصادر أنّ فكرة تجزئة الكلام إلى مقاطع فكرة أصيلة عند العرب، وأنّ منبعها يمتدّ - فيما نخاله - إلى تلك المرحلة الطويلة التي عاشت فيها العربية لغة شفوية تعتمد في نقل صنائع أهلها ومنجزاتهم على

(*) أستاذ علوم اللغة واللّسانيات في جامعة تلمسان.

المشاهدة والسماع. وقد ساهمت هذه الطبيعة في تنقية أصوات العربية من كل ما يحد من انسيابها، أو يقف دون تواردها مقاطعها في إيقاعٍ موسيقي جذاب،^(١) ممّا يوحي بأنّ مذهب العرب في التلقين يقوم على نسقٍ إيقاعي منعم، لأنّ ذلك يساعد الذاكرة على الحفظ والتّخزين، كما يُعينها على سرعة الاستحضار.^(٢)

وهكذا دفعت سيطرة الطبيعة الموسيقية على العربية بعض الدارسين قديماً إلى القول: إنّ تجزئة الخليل لبحور الشعر العربي تكاد تكون مسموعة من العرب أنفسهم، والمنبّهة ذلك ما أورده أبو الحسن الأخفش نقلاً عن الحسن بن يزيد، الذي سأل الخليل عن مصدر تحصيله علم العروض قائلاً له: «هل عرفت له أصلاً؟» فأجابته: «نعم»، ثمّ أفصح عن ذلك بقوله: مررت بالمدينة حاجاً، فبينما أنا في بعض طرقاتها، إذ أبصرت بشيخٍ على باب يعلم غلاماً، وهو يقول له: قل:

نعم لا - نعم لا لا - نعم لا - نعم نعم

نعم لا - نعم لا لا - نعم لا - نعم لا لا

فدنوت منه فسألته عليه، وقلت له: أيها الشيخ ما الذي تقوله لهذا الصّبي؟ فذكر أنّ هذا العلم شيء يتوارثه هؤلاء الصّبية عن سلفهم، وهو علم عندهم يسمى التّنعيم، لقولهم فيه نعم،^(٣) ثمّ أهدى الخليل وصفه لهذه الحادثة بقوله: فحججت، ثمّ رجعت إلى المدينة فأحكمتها.

(١) ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين العرب، رسالة تقدّم بها الباحث المهدي بوروبة إلى

قسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب بجامعة تلمسان لنيل درجة دكتوراه عام ٢٠٠٢.

(٢) هندسة المقاطع الصوتية، د/ عبد القادر عبد الجليل، ط١، ١٩٩٨، دار صفاء للنشر

والتوزيع، عمان. ص: ٢٣.

(٣) هندسة المقاطع الصوتية، ص: ٢٣.

ومن النصوص التي تدعو إلى التسليم كذلك بأصالة تقطيع الكلام إلى أجزاء إيقاعية في العربية ما أورده الباقلائي، نقلاً عن أبي العباس ثعلب الذي علّق على طريقة العرب في تلقين ناشئتها الشعر، فقال: «إنّ العرب تعلّم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول، يوضع على بعض أوزان الشعر، كأنّه على وزن:

فِفا نَبَكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ.

ويسمّون ذلك الوضع (المتير)، واشتقاقه من المتر وهو الجذب أو القطع، يُقال: مترت الحبل، أي قطعتّه أو جذبتّه».^(٤)

وتردّدت في تعابير بعض النحاة واللغويين عبارتا حروف المقطع والحروف المقطّعة قاصدين بهما الحروف المفردة في مقابل المتصلة أو المجموعة. ويبدو هذا فيما ذكره الفراء حين عرض لعامل الرفع في لفظة (كتاب) من قوله تعالى: «المص كتاب أنزل إليك»^(٥) وقوله: «الر كتاب أحكمت آياته»^(٦) فرأى أنّ عامل الرفع في هذا اللفظ «حروف الهجاء التي قبله كأنك قلت: الألف واللام والميم والصاد من حروف المقطع كتاب أنزل إليك مجموعاً».^(٧)

وعلّق الفراء في موطن آخر من كتابه على الرأي القائل: «كيف جاءت حروف المص» و«كهيعص» مختلفة، ثمّ أنزلا منزل با تا ثا، وهي متواليات؟»، بقول يوضّح فيه المقصود من إيراد هذه الحروف مختلفة متفرقة أو الإتيان بها متتابعة

(4) إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق السيد أحمد سقر، دار المعارف، ط: ٥، د.ت، ص: ٦٣.

(5) الآية ٢ من الأعراف.

(6) الآية ١ من هود.

(7) معاني القرآن، الفراء يحيى بن زياد، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، ط ٢ عالم

الكتب بيروت لبنان ١٩٥٥ ص: ٣١٨/١.

متوالية، فنصّ على أنّه «إذا ذُكرن متواليات دللن على أنّ: أ ب ت ث بعينها مقطّعة، وإذا لم يأتن متواليات دللن على الكلام المتّصل لا المقطّعة».^(٨)

فقد استعمل التّقطيع ههنا مقابلاً للتّأليف أو الكلام المتّصل على حدّ تعبيره، وإن كان عرضه لهذه الحروف يتقاسمه نوعان من هذه المقاطع، أحدهما متوسط مفتوح، لأنّه تشكّل من صامت ومصوت طويل. وذلك كما في قوله: «... ثمّ أنزلا منزل با تا ثا». أمّا الآخر، فمن النّوع القصير المفتوح، لأنّه انبنى من صامت يعقبه مصوّت قصير، وذلك كما يظهر في قوله إنّ: «أ ب ت ث بعينها مقطّعة».

وعلى نحو ما رأينا عند الفراء نصادفه كذلك عند ابن قتيبة متحدّداً السّياق نفسه للإفصاح عن مراده. فقد علّل تصدير الله عزّ وجلّ بعض السّور بتلك الحروف المقطّعة بقوله: «يجوز أن يكون الله عزّ وجلّ أقسم بالحروف المقطّعة كلّها، واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها فقال: ﴿الم﴾ وهو يريد جميع الحروف المقطّعة».^(٩)

وتطالعنا بعض معاجم المؤلّفات بكتب تحمل عنوان المقاطع، نذكر منها ههنا ما أورده ابن النّسبم الذي نصّ على أنّ أبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ألّف كتاباً عنوانه المقاطع. غير أنّنا لا نستطيع أن نقطع بطبيعة المادة التي يحملها، لأنّه من الكتب المفقودة التي لم تصل إلينا، ولكننا لا نستبعد أن يكون جانب منه يتحدّث عن المقاطع العربيّة وما يناط بها، وخصوصاً إذا علمنا أنّ صاحبه من اللّغويين البارزين الذين تناولوا معظم مستويات الدّرس اللّغوي بالبحث بدءاً بالأصوات وانتهاءً بالدّلالة. فقد عدّ له

(٨) نفسه، ص: ٣١٩/١.

(٩) تأويل مشكل القرآن، مسلم بن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، ط ٣، دار الكتب

العلمية، بيروت لبنان ١٩٨١ ص: ٣٠٠.

صاحب الفهرست في هذا المجال ستة وثلاثين مؤلفاً.^(١٠)

ويوظف الجاحظ، وهو من معاصري أبي حاتم السجستاني، لفظة **التقطيع** قريبة من دلالتها الفنية المعهودة اليوم، فهي تعني عنده تجزئة الكلام. وذلك على ما يبدو في حديثه الذي بيّن فيه وظائف الصّوت فقال: «الصّوت هو آلة اللّفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التّأليف». وقال في موضع آخر مقررًا المعنى ذاته «ولا تكون الحروف كلاًّماً إلّا بالتّقطيع والتّأليف».^(١١) وإلى هذا الفهم مال محمد الصّغير بنّاني في تعليقه على قول الجاحظ السّابق، فقد خلص إلى أنّه استطاع معتمداً على حسّه التّمييز بين تقطيع الحروف وتأليف الكلمات، والصّوت بوصفه ناتجاً عن حركات عضويّة يقوم بها جهاز التّصويت.^(١٢)

وإذا عزّجنا على الدّراسات العروضيّة القديمة دون أن نضع في الحسبان المصطلح، أي المقطع، فإنّنا سنقف على تشابه لافت للاتباه بين نظام العروض العربي من جهة ونظام المقاطع الصّوتية، كما هو في تناول الدّرس اللّساني الحديث من جهة أخرى.^(١٣) فقد اهتدى أصحاب النّظام الأوّل إلى التقطيع، ونصّوا على أنّه يقتصر

(10) يُنظر: الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق، مكتبة الخياط، بيروت لبنان، د.ت ص:

٢٦٤ ووفيات الأعيان، ابن خلّكان أبي العبّاس شمس الدين أحمد، تحقيق محمد محيي

الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة ١٩٤٨ ص: ١٥١/٢.

(11) البيان والتّبيين، الجاحظ عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٣ مكتبة

الخارجي، القاهرة، ومكتبة الهلال بيروت ١٩٦٨ ص: ٧٩/١.

(12) التّظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتّبيين، محمد صغير

بنّاني، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ١٩٨٣، ص: ١١ - ١١٢.

(13) مبادئ اللّسانيات أحمد قدور، د/ أحمد قدور، ط ١، دار الفكر دمشق سورية و دار الفكر

المعاصر بيروت لبنان ١٩٩٦ ص: ١١٥.

على ما يشمل التحقيق الصوتي، أو ما تؤديه آلة التصويت على حدّ تعبير الزمخشري، الذي بين حقيقة التقطيع أو كلفيته فقال وكيفية التقطيع: «أن تتبع اللفظ وما يؤديه اللسان من أصداء الحروف، وتنكّب عن اصطلاحات الخطّ جانباً، فلا يلغى التّونين، ولا الحرف المدغم، ولا واو الإطلاق، ولا ألفه، ولا ياؤه، لأنّها أشياء ثابتة في اللفظ. وتلغى ألفات الوصل الواقعة في الدّرج، وألف التّثنية التي لاقاها ساكن بعدها وغير ذلك ممّا لا يلفظ به، وأن تنظر إلى نفوس الحركات مطلقة دون أحوالها». (١٤)

ويتّضح من هذا النصّ اتفاق الدّرسين العروضي القديم واللّساني الحديث في كيفية تجزئة المنطوق، شعراً كان أو نثرًا، إلى وحداته الأساسية. وكلّ ما يمكن تسجيله بين التّناولين يكمن في اختلاف تسمية الأنساق الناتجة عن التقطيع، فهي في القديم أسباب وأوتاد وفواصل، وفي الحديث مقاطع تتباين طولاً وقصرًا وفتحًا وإقفالاً. (١٥)

ونشير ههنا إلى أنّ تراثنا الصوتي، كما هو في تناول النّحاة واللّغويين، قد عرف أيضًا مصطلح **مقطع**، ولكن بمعنى المخرج لا بمعنى syllabe. (١٦)

وإذا تركنا دراسة النّحاة واللّغويين، ثمّ وجّنا تراث الفلاسفة وعلماء الكلام في قسمه المتعلّق بالدراسة الصوتية، وقفنا على معالجة جادّة للمقاطع العربيّة تدنو كثيرًا من تلك

(14) القسطاس في علم العروض، الزمخشري، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، سورية، ط ١٩٧٧، ص: ٥٣.

(15) كتاب القواني، ص: ٧-٨، والقسطاس في علم العروض، ص: ٢٦-٢٧ وميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتاب العربي، دمشق سورية، د.ت، ط.٥: ص: ٦.

(16) يُنظر سرّ صناعة الإعراب، ص: ٩/١ وظاهرة الحرف عند اللّغويين العرب القدامى، مجلة المعجمية، العدد الثاني، تونس، ١٩٨٦، ص: ٥٥-٥٦.

التي نلمسها اليوم في البحث الصوتي الحديث. فقد عرض كلٌّ من الفارابي* (ت ٣٣٩هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨هـ) والقاضي عبد الجبار الأسد آبادي (ت ٤١٥هـ) وابن رشد (ت ٥٩٥هـ) إلى المقطع بمعناه العلمي المعهود في الدرس الحديث، كما أدركوا المقاطع الرئيسية في العربية، وعملوا على مقابلتها بما يناظرها في الدرس العروضي عند قدامى النحاة واللغويين.

وسنركز في هذه المعالجة على ما جاء به الفارابي بصفته واحداً من مخزومي المتين الثالثة والرابعة، مع الاستعانة بأراء غيره من الفلاسفة في توضيح أقواله، أو تفسير ما استعصى عليّ فهمه من كلامه، أو استكمال فكرة بدأها ثم جلاها الذين جاؤوا بعده.

لقد تناول الفارابي المقطع بالدراسة في نوعين من مؤلفاته، أولاً تلك التي كانت من إبداعه الخاص، ونعني ههنا كتابه الضخم الموسوم **بالموسيقا الكبير** الذي بلغت صفحاته ألفاً ومئتين تقريباً، وثانيتها تمثل فيما نقله من اليونانية إلى العربية، ونخصّ منها ههنا شرحه لكتاب **العبارة لأرسطو طاليس**.

فقد تطرّق الفارابي إلى المقطع مقيداً إيّاه على أنّه حصيلة اقتران حرف غير مصوت (صامت) بحرف مصوّت (صائت)، فقال: «المقطع مجموع حرف مصوّت وحرف غير

* هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، وُلد في فاراب سنة ٢٦٠هـ وبها نشأ، وهي بلدة من بلاد الأتراك تقع على نهر جيحون أو سيحون، كان عارفاً باللغات ولوعاً بها، فبإضافة إلى درايته بالتركية والعربية أتقن الفارسية واليونانية والسريانية وغيرها. كما كان كثير التنقل بين بغداد ومصر ودمشق إلى أن وافته المنية في الأخيرة عام ٣٣٩ هـ في عهد الدولة الحمدانية بقيادة سيف الدولة الذي صلى عليه رفقة نفر من أصحابه. وقد خلّف الفارابي ما يربو عن سبعة وثلاثين كتاباً معظمها مفقود، أو أنّها لا تزال في بعض الخزائن والمكتبات لم يُكشف عنها بعد، وذلك على ما أورده مُصدّر كتابه الموسيقا الكبير.

مصوت»،^(١٦) ثم انطلق في بيان أركان هذا التعريف مقررًا أن «الحروف منها مصوّت، ومنها غير مصوّت، والمصوّتات منها قصيرة ومنها طويلة»،^(١٧) وخلص بعد عرض هذه العناصر إلى تعريف المقطع بوصفه نسقًا صوتيًا داخل تيار الكلام، مع تحديد أنواعه التي تنسج منها كلمات العربية، فقال: «كلّ حرفٍ غير مصوّت أُتبع بمصوّت قصير قرن به، فإنّه يسمى المقطع القصير ... وكلّ حرفٍ غير مصوّت قرن به مصوّت طويل، فإنّا نسمّيه المقطع الطويل»، ثم حاول الفارابي ربط كلامه بما كان سائدًا في الدّراسات العربيّة القديمة، فرأى أن ما وسمه بالمقطع القصير دعاه المتقدمون من التّحاة واللّغويين بالحرف المتحرّك «من قبيل أنّهم يسمّون المصوّتات القصيرة حركات»^(١٨).

كما عرّج أيضًا على الدّراسة العروضية عند العرب موازنًا بينها وبين الدّراسة المقطعية، وغرضه من ذلك الكشف عن الوشائج التي تجمع بين المعالجتين، فنصّ على أن «كلّ حرف متحرّك أُتبع بحرف ساكن، فإنّ العرب يسمونه السّبب الخفيف، وكلّ حرف متحرّك أُتبع بحرف متحرّك، فإنّهم يسمونه السّبب الثّقيل. والسّبب الثّقيل متى أُتبع بحرف ساكن، سموه الوند المجموع لاجتماع المتحرّكين فيه. والسّبب الخفيف متى أُتبع بحرف متحرّك سموه الوند المفروق لافتراق المتحرّكين فيه بالسّاكن المتوسط. والسّبب الخفيف متى أُتبع بحرف ساكن سمي الوند المفرد لانفراد المتحرّك فيه. والسّبب

(16) شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة، للفارابي تحقيق كوتش ومارو، ط ٢، بيروت، ١٩٧١،

ص: ٤٩.

(17) الموسيقا الكبير، ص: ١٠٧٢.

(18) نفسه، ص: ١٠٧٥.

الثَّقِيل متى أتبع بمتحرك فلنسمّه نحن السَّبب المتوالي لتوالي المتحرّكات الثلاثة فيه»^(١٩). ثمّ خلص الفارابي من مقابلته الأسباب بالمقاطع إلى نتيجة، وهي أنّ المقطع الطّويل يتساوى والسَّبب الخفيف فيما يعتريهما من تعييرات في تيار الكلام، كما يتعادلان قوّة ونعمًا. ويبدو هذا في قوله: «كلّ مقطع طويل، فإنّ قوّته قوّة السَّبب الخفيف، فلذلك يعدّ في الأسباب الخفيفة، وكلّ ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع. وكلّ سبب خفيف، فإنّه يقوم مقام نقرة تامّة تتبعها وقفه، وكذلك كلّ مقطع طويل»^(٢٠).

وانطلاقًا مما فات، يمكن التسليم بأنّ الفارابي هو أوّل علماء العربيّة من استعمل المقطع بمعناه العلميّ المعهود في الدراسات الصّوتية الحديثة^(٢١). وقد ذكر من المقاطع الأنواع الرّئيسية التي يتكوّن منها التّسيج المقطعيّ في اللّغة العربيّة، وهي المقطع القصير الذي يتشكّل من صامت ومصوّت قصير، ويمكن أن نرّمز إليه (ص م)^(٢٢) والمقطع الطّويل الذي تألّف من اقتران صامت بمصوّت طويل، ونؤثر اختزاله بهذه الصورة: (ص م)^(٢٣). كما أورد الفارابي نوعًا ثالثًا غير أنّه لم يسمّه مقطّعًا بل دعاه السَّبب المفرد،

(19) نفسه، ص: ١٠٧٥ - ١٠٧٨.

(20) الموسيقى الكبير، ص: ١٠٧٨ - ١٠٧٩.

(21) يبقى هذا الحكم في حدود ما توقّر لهذا العمل من مصادر، وقد تكشف الأيام مستقبلًا عن ذخائر من هذا التراث تغيير هذا الحكم.

(22) فضّلت ههنا مصطلح (مصوّت) عن (صائت) من باب اختلاف الحرف الأوّل منه عن الصامت، وذلك إبعادًا لكلّ التباس بينهما في حالة الاختزال أو الرمز إليهما.

(23) الفتحة فوق الميم دليل على الإطالة أو الزيادة في الكميّة، لأنّ المصوت الطّويل في العربيّة قد يساوي ضعف المصوت القصير أو أضعافه. يُنظر: سرّ صناعة الإعراب، ص: ١٧/١ - ١٨ ونتائج الفكر في النحو للتّهيلي، ص: ٨٣ - ٨٤ ورسالة أسباب حدوث الحروف، ص: ٨٥.

وهو عبارة عن تتابع صامتتين يتوسطهما مصوّت قصير، ويمكن الرمز إليه: (ص م ص). وإذا عدنا إلى الإحصاءات التي أعدّها بعض الدارسين في حقل الصّوتيات العربية عن نسبة دوران كلّ مقطع من المقاطع المعروفة في الكلمات العربية كشفت لنا نتائج هذه الأبحاث أنّ المقاطع الثلاثة التي جاء بها الفارابي هي أكثر المقاطع تردّدًا في التّسيج العربي، إذ بلغت نسبة جريانها تسعة وتسعين بالمئة (99%).^(٢٤)

ويتطرّق الفارابي إلى دلالة المقطع، وهو يشرح كلام أرسطو في كتاب العبارة، لينقل له في هذا السّياق ما نصّه: «فأما المقطع الواحد من مقاطع الاسم فليس بدالّ لكنّه حينئذٍ صوت فقط»، ثمّ يتصدى إلى بيان ما يهدف إليه أرسطو من هذا القول مقرّرًا أنّه «يريد بالمقطع مجموعة حرف مصوّت وحرف غير مصوّت، فإنّه متى أخذ شيء منه جزءًا لاسم مفرد لم يكن دالًّا على جزء المعنى الذي دلّ الاسم على جملة، لكنّه يكون حينئذٍ كحرف واحدٍ فلذلك جعله صوتًا فقط. وينبغي أن يؤخذ هذا على أنّه جزء بالإضافة إلى اسم ما يشار إليه».

لقد أماط الفارابي، ههنا، عن رأي أرسطو الذي ذهب فيه إلى عدم دلالة المقطع، بوصفه وحدة مستقلة عن بقية المقاطع، على جزء من المعنى العامّ الذي تؤدّيه المقاطع مجتمعة في بناءٍ ما. غير أنّ الفارابي صادف في بعض الأبنية العربية ما شدّد عن رأي أرسطو، فلاحظ «أنّ كثيرًا من أجزاء الاسم ربّما كان اسمًا مفردًا لم يقصد به، حيث أخذ جزءًا للاسم المفرد أن يكون جزءًا له، على أنّه قد كان اسمًا دالًّا، مثل قولنا: أبكم، في العربية فإنّ قولنا: أب، وقولنا: كم، كلّ واحد منهما دالّ على انفراده، لا من حيث هو

(24) يُنظر: علم الأصوات لبرتيل مالميرج، تعريب ودراسة عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب،

مصر، د.ت.ص: ١٦٥ والعربية الفصحى، ص: ٤٣ - ٤٤ وهندسة المقاطع الصّوتية،

ص: ٣٠ - ٣١ والأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص: ١٦٥.

جزءاً للاسم، ولكن يُقال في أمثال هذه إن أجزاءها دالة بالعرض»^(٢٥).

ويدلّ اختيار الفارابي لكلمة **أبكم** دلالة قاطعة على إدراكه المقطع الصوتي بمعناه الاصطلاحي الثابت في الدرس الصوتي الحديث، فهو بعد أن عرض رأي أرسطو تنبّه إلى ظاهرة مهمة في اللّغة، وهي أنّ كثيراً من الأسماء يمكن أن يكون جزء منها دالاً، ولكن دلالتة ليست جزءاً من دلالة الاسم كلّه، وإتّما هي دلالة عارضة بالتقسيم المقطعي. وقد مثل لذلك بكلمة عربيّة من مقطعين كلاهما دالّ بمفرده ولكنّهما بمجموعهما يدلّان على غير ما يدلّ عليه كلّ منهما منفرداً، وهذا يعني أنّ الكلمة لم تتركّب منهما بالنظر إلى دلالة كلّ منهما، وإتّما جاءت دلالتها عارضة في تلك التّجزئة، فالمقطع الأوّل: **أب** مقطع متوسط معلق بصامت، وهو كلمة دالة عند الوقف، حين تقول: هذا **أب** يا فتى، فإذا وقفت قلت: **هذا أب**، والمقطع الثاني **كم**، مقطع من التّوع السّابق، وهو اسم استفهام. والملاحظ، ههنا، أنّ الفارابي قدّم الكلمة مجزّأة إلى مقطعين متوسطين، وإن لم يصرّح بذلك.^(٢٦)

ومتّما يمكن إدراجه عند الفارابي في هذا المنحى، أي دلالة المقطع بالعرض، حديثه عن موقف قوم قالوا بالعلاقة الطّبيعية بين الدّال والمدلول، فرأى أنّهم «يقولون إنّ كلّ لفظة دالة ينبغي أن تكون محاكية للمعنى المدلول عليه، ومعرّفة بطبعها لذات ذلك الشّيء، أو لعرض يكون علامة للمدلول عليه خاصّة، وتكون اللفظة بطبعها محاكية، مثل قولنا: **هذهُ للطائر** الذي يحاكي هذه اللفظة صوته الخاص به. ومثل **العقّق**، ومثل **خرير الماء**، وربّما لم تكن اللفظة بأسرها محاكية، ولكنّ بعض أجزائها مثل: **زُبور** و**طنبور**،

(25) شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة، ص: ٤٩.

(26) يُنظر: أبحاث في أصوات العربية، حسام سعيد النعيمي، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية

العامّة (آفاق عربيّة)، ط ١، ١٩٩٨، بغداد العراق ص: ٨٧.

فإنَّ المقطع الأوَّل من زنبور يحاكي زميمه إذا طار، وزنبور يحاكي الجزء الأوَّل من هذه اللفظة صوت الآلة، وربما كان حرف واحد من حروفه محاكياً له أو لعرض من أعراضه»^(٢٧).

فالمناسبة بين الدال والمدلول، أو حكاية اللفظ للمعنى على حدِّ تعبير الخليل بن أحمد، أو إمساس الألفاظ أشباه المعاني كما هو في استعمال ابن جنيّ، من القضايا اللغوية التي خاض فيها المتقدِّمون من النحاة واللغويين منذ القرن الثاني الهجريّ. فهذا الخليل يعرض للحكاية الصّوتية بين اللفظ ومدلوله، فيقول: «ألا ترى أنّ الحاكي يحاكي صلصلة اللّجام، فيقول: صلصل اللّجام، فيقال: صلّ يخفّف، فإن شاء اكتفى بها مرّة، وإن شاء أعادها مرّتين أو أكثر من ذلك فقال: صلّ صلّ صلّ»^(٢٨) ثمّ ينهي حديثه بقوله: «وهما جميعاً صوت اللّجام»^(٢٩) ومّا ساقه الخليل في هذا الباب أيضاً قوله: «صرّ الجندب صريراً، وصرصر الأخطب صرصره، فكأنهم توهّموا في صوت الجندب مدّاً، وتوهّموا في صوت الأخطب ترجيعاً، ونحو ذلك كثير»^(٣٠).

وإذا كان الخليل قد تنبّه إلى اكتفاء العربيّة بجزء من اللفظ، ممثلاً في المقطع الأوَّل: صلّ من الصلصلة وصرّ من الصرير، إلاّ أنّه لم يشر إلى أنّ هذا الجزء يكون مقطّعاً، وهذا بخلاف الفارابي الذي صرّح بأنّ المقطع الأوَّل من زنبور زن - وهو من النّوع

(27) شرح كتاب أرسطو طاليس في العبارة، ص: ٥٠.

(28) مقدمة التّهذيب، الأزهري أبو منصور، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، ط ١، دار البصائر دمشق، سورية، ١٩٨٥ ص: ٦١.

(29) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق إبراهيم السامرائي، ومهدي المخزومي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٠ ص: ٥٦/١.

(30) العين، ص: ٥٦/١-٥٧.

المتوسّط المغلق بصامت واحدٍ - يحاكي صوت الزّنبور عند طيرانه، والمقطع الأوّل من طنبور **طنّ** - وهو من صنف المقطع السّابق - يحاكي صوت تلك الآلة عند الضّرب عليها. (٣١)

وإذا تجاوزنا معالجة الفارابي للمقاطع، ثمّ طرقتنا تناول غيره من الفلاسفة - الذين جاؤوا بعده - وجدناهم قد حازوا تركته مع إضافات جديدة عرفها تطوّر الدّرس التشكيلي على يد هؤلاء الفلاسفة. فهذا ابن سينا يُفصح عن معرفته المقطع بمعناه العلميّ المعهود في الدّرس الحديث عند تفصيله مستويات الحدث الكلاميّ التي يعدّها سبعة مبتدئاً إيّاها بالمقطع الذي قال فيه: «**المقطع الممدود والمقصور** كما علمت، يُؤلّف من الحروف الصّامتة - وهي التي لا تقبل المدّ البتّة مثل الطّاء والباء، والتي لها نصف صوت، وهي التي تقبل المدّ مثل السّين والرّاء - والمصوّتات الممدودة التي يسمّيها مدّات، والمقصورة وهي الحركات». (٣٢)

والظّاهر من هذا التّص، أنّ ابن سينا كان على دراية بركني المقطع، أي الصّوت الصامت والمصوت بفرعيه، كما ألمّ بالتّوعين الرّئيسيين من المقاطع العربية وهما الممدود، أي الطّويل، والمقصور، أي القصير.

أمّا ابن رشد فقد توسّع في معالجة المقطع مستهلاً حديثه بأنّ الدّاعي إلى التّقسيم المقطعي مرده إلى كون المتكلّم لا يستطيع الأداء المستمرّ، فيتحيّل على ذلك بأن يتوقّف

(31) يُنظر أبحاث في أصوات العربية، ص: ٨٧.

(32) التّفكير اللّساني في الحضارة العربية، د/ عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، ١٩٨١ ص: ٢٦١ - ٢٦٢ ، نقلاً عن كتاب الشفاء، الفنّ التاسع (الشعر) لابن سينا، ص: ٦٥.

عن هذا الأداء بين برهنة وأخرى توقّفًا لا يكاد يحسّ به.^(٣٣) ويضيف ابن رشد أنّ الفصول الزمنية بين أجزاء اللفظ - أي المقاطع - لها أهمية بالغة في إدراك المعاني، لأنّ هذه الألفاظ «إذا وردت مشافعةً في الذهن، لم يتمكّن الذهن من فهم واحدٍ منها حتى يرد عليه آخر». وهذا في نظره شبيه بما «يعرض لمن يجب أن يتناول شيئًا من أشياء سريعة الحركة، فإنّه لا يتمكّن منها»^(٣٤).

ويستعمل ابن رشد المقطع بدلالته العلمية كما يعرفها الدرس الصوّتي الحديث، فهو عنده حصيلة اثتلاف يحدث بين «الحرف المصوّت وغير المصوّت»^(٣٥) ويجزّئه بناءً على الزمن المستغرق في نطقه إلى مقطع ممدود، وهو ما اقترن فيه صوت صامت بمصوّت طويل، وآخر مقصور، ويتكون من اجتماع صامت يتبعه مصوّت قصير. ويبدو هذا التقسيم لديه في حديثه عن مواطن التّبر في العربية وكيفية حدوثه، فيقول: «العرب يستعملون التّبرات بالتّغم عند المقاطع الممدودة، كانت في أوساط الأقاويل أو في أواخرها. أمّا المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها التّبرات والتّغم إذا كانت في أوساط الأقاويل. وأمّا إذا كانت في أواخر الأقاويل، فإنّهم يجعلون المقطع المقصور ممدودًا، فإذا كانت فتحة أردفوها بألفٍ، وإن كانت ضمّة أردفوها بواو، وإذا كانت كسرة أردفوها بياءٍ... وقد يمدّون المقاطع المقصورة في أوساط الأقاويل، إذا كان بعض الفصول الكبار ينتهي إلى مقاطع مقصورة في أقاويل جعلت فصولها

(33) يُنظر: تلخيص الخطابة، ابن رشد، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت،

ودار القلم، بيروت لبنان، ص: ٢٨٤ - ٢٨٥ وفي الأصوات اللغوية دراسة في أصوات

المدّ العربية، ص: ٤٧.

(34) تلخيص الخطابة، ص: ٢٨٤.

(35) التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص: ٢٦٢ نقلاً عن تفسير ما بعد الطّبيعة، ص:

الكبار تنتهي إلى مقاطع ممدودة، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَطُنُونَ بِاللَّهِ الطُّنُونَ﴾.^(٣٦) وبالجملة إنما يمدون المقطع المقصور عند الوقف». ^(٣٧)

والظاهر من هذا النص أنّ ابن رشد مدرك للمقطع بقسميه إدراكاً علمياً واعياً كما تقرّه معطيات الدرس الحديث. ولم يكتف - هذا الدارس البارع - بالمقطع مصطلحاً وحيداً لضبط المفهوم المعروف، بل استعمل إلى جانب ذلك مصطلح السُّلابي syllabe* الذي نقله من اليونانية إلى العربية منتهجاً سبيل التعريب ليزاوج بينهما من حيث الاستعمال عند تناوله للظاهرة. فقد نصّ، وهو يتحدث عن مسألة هوية المقطع وعلاقته بأجزائه، على أنّه كلّ لا يتجزأ من حيث هو وحدة كميّة متناسقة. ويستند ابن رشد في توضيح هذه الصّفة الخاصّة للمقطع أو السُّلابي إلى المقابلة الحسيّة بين الشّبيه ونظيره ليأخذ من اللحم الذي هو متكوّن من الأرض والماء والنّار مثلاً لذلك، فيقارن بينه وبين المقطع أو السُّلابي من حيث «أنّ هذه إذا انحلت وفسدت ليس ينحلّ المقطع إلى مقاطع، واللّحم إلى لحوم، كما تنحلّ الأشياء المجموعة إلى تلك التي اجتمعت منها، أعني لا يحدث فيها عن الاجتماع شيء زائد ... فالحروف هي التي نسبتها إلى السُّلابي نسبة النّار والأرض إلى اللحم ... فالسُّلابي شيء آخر، وليس هو الحروف، أي الحرف المصوّت والذي لا صوت له، بل شيء آخر أيضاً». ^(٣٨)

(36) الآية ١٠ من الأحزاب.

(37) تلخيص الخطابة، ص: ٢٨٦ - ٢٨٧.

* المنقول من الأصل اللاتيني syllaba الذي يعود إلى اللفظ اليوناني sullabé، وهي الصيغة التي قام ابن رشد بتعريفها. يُنظر: التّفكير اللّساني في الحضارة العربية، ص: ٢٦٢ ومبادئ اللّسانيات، أحمد قدور، ص: ١١٦.

(38) التّفكير اللّساني في الحضارة العربية، ص: ٢٦٣ نقلاً عن تفسير ما بعد الطّبيعة، ص: ١٠١٧/٢.

وَيُضَيِّف ابن رشد أَنَّ المَقْطَع يتميِّز بهويَّة متفرِّدة تتعدى ائتلاف الأجزاء المشكَّلة له فهو من هذه النَّاحية شبيه بالكائن الحيِّ الذي «ليست هويَّته مجرد حصيلة أجزائه، وإنَّما هو في حقيقة أمره حاصل مجموع العناصر المركَّبة له مع شيءٍ آخر. فالمقطع لا ينتج عن مجرد ضمِّ عناصر متجانسة كالكَؤُوسِ* من الحبوب، وإنَّما اجتماع عناصر تنصهر لتكوِّن منها شيئاً جديداً يخالفها جوهرياً». (٣٩) ويتجلى هذا المفهوم عنده في قوله: «إذا تقرر أنَّ ههنا أموراً مركَّبة لم يجتمع منها شيءٌ واحدٌ بالفعل، كالمركَّبة من الأشياء التي لا يكون منها واحدٌ إلا بالتَّماس، مثل الكدس المجموع من حبوب كثيرة، بل يكون المجتمع فيها بحيث يحدث عنه شيء زائدٌ غير المجتمعات من غير أن يكون المجتمعات أنفسها، مثل المقطع الذي يحدث عن اجتماع الحرف المصوَّت وغير المصوَّت، فإنَّ المقطع ليس هو اجتماع الحروف التي تولِّد منها، بل هو شيء زائدٌ على الحروف». (٤٠)

ومن المواطن التي أبدى فيها ابن رشد اهتماماً بالغاً بحقيقة المقطع وحدوده نورد حديثه الذي خصَّ به تعريف الحدِّ من الوجهة المنطقية. فقد رأى أنَّ هناك أشياء أجزاء حدِّها ليست حدوداً لأجزائها، وهناك أشياء بعض حدودها حدود لأجزائها، كالدائرة ونصف الدائرة، وهناك أشياء أجزاء حدِّها حدود لأجزائها كالمقطع. قال ابن رشد: «إنَّا نجد بعض الأشياء حدُّ أجزاءها غير داخل في حدودها مثل حدود أجزاء الدائرة، فإنَّها ليست منحصرة في حدِّ الدائرة، وذلك أنَّ ثلث الدائرة ورابع الدائرة ليس

* الكؤُوسُ: أنواع الحبِّ المحصود، يُنظر: القاموس المحيط، ص: ٧٨٠/٢.

(39) التَّفكير اللِّساني في الحضارة العربية، ص: ٢٦٣.

(40) التَّفكير اللِّساني في الحضارة العربية، ص: ٢٦٣، نقلاً عن تفسير ما بعد الطَّبِيعَة، لابن

رشد، ص: ١٠١٦/٢.

هو داخلاً في حدّ الدائرة، ولا حدّ الدائرة منحللاً إلى حدودها، بل الدائرة مأخوذة في حدّ الجزء. وأمّا حدود المقاطع ففيها كلمة* الحروف التي تركّب منها المقاطع، وذلك أنّ الحروف منها مصوّتٌ وغير مصوّت، والمصوّت منه ممدود ومنه مقصوّر، والمقطع الذي يأتلف من حرفين: مصوّت وغير مصوّت، فإن كان المقطع مقصووراً قيل في حدّه إنّه الذي يأتلف من حرفين مصوّت وغير مصوّت، فكان منحصراً في حدّه حدّ الحرف المصوّت وغير المصوّت، وكذلك المقطع الممدود ينحصر في حدّه حدّ الحرف غير المصوّت والمصوّت الممدود، وليس ينحصر في حدّ الدائرة حدّ نصفها ولا حدّ ربعها، وذلك معروف بنفسه». (٤١)

لقد اتّضح ممّا فات أنّ الدرس الصوّتي عند العرب قد عرف المقطع بمعناه الاصطلاحي المعهود في الدرس اللساني الحديث ابتداءً من القرن الثالث، كما اهتدى رواده إلى حلّ المقاطع الأساسيّة التي يقوم عليها النسيج المقطعي في اللغة العربيّة. وبهذا يردّ زعم أولئك الدارسين المحدثين من - عرب ومستشرقين - الذين ذهبوا إلى إنكار أيّ دراسة من هذا النوع في التراث العربي على اختلاف حقوله المعرفيّة. فإذا عدنا إلى أعمالهم وجدنا بعضهم يصرّح في مستهل دراسته للمقطع بخلو الدرس الصوّتي القديم من أيّ إشارة إلى المقطع بمعناه الاصطلاحي. أمّا بعضه الآخر، فقد تناول الظاهرة مفصّلاً جزئياً كما هي في الدرس الصوّتي الحديث دون

* لفظة الكلمة في استعمال المنطقة تعني حدّ الشّيء، فيكون المقصود أنّ في حدّ المقطع حدّ جزئه وهو الحرف. يُنظر التفكير اللساني في الحضارة العربيّة، ص: ٢٦٤.

(41) التفكير اللساني في الحضارة العربيّة، ص: ٢٦٣ - ٢٦٤، نقلاً عن تفسير ما بعد الطّبيعة،

أن يخصّص في هذه المعالجة حيّزاً لجهود علماء العربيّة.^(٤٢) وقد عبّر الدكتور عبد السلام المسديّ عن موقف الطائفتين فقال: «من الغريب أنّه اطّرد لدى الدارسين عموماً أنّ العرب لم يعرفوا المقطع بمفهوم SYLLABE، وهو حكم كاد يصبح مقرّراً لدى كلّ الناظرين في علم الأصوات كما عرفه العرب وبلوروه».^(٤٣) وإذا عدنا إلى دراساتهم في قسمها المتعلّق ببحث المقطع لم نكد نعثر على إجماع أو شبه اتّفاق بينهم في تعريف المقطع، فهو عند البعض «في أبسط صورة تتابع فونيمي في لغة ما»،^(٤٤) ويراه البعض الآخر على أنّه «تأليف أصواتي بسيط تتكوّن منه - واحداً أو أكثر - كلمات اللّغة، متفق مع إيقاع التنفس الطّبيعي، ومع نظام اللّغة في صوغ مفرداتها»،^(٤٥) وهو عند غير هؤلاء وأولئك «أصغر وحدة صوتية يمكن أن تنفصل

(42) يُنظر التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيّب البكوش، نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط٢، ١٩٨٧ ص: ٧٧ والأصوات اللّغوية، د/ عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٨ ص: ٢١٢ وهندسة المقاطع الصّوتية، ص: ٤٩-٥٠ وفقه اللغات السّامية، كارل بروكلمان، ترجمة د/ رمضان عبد التواب، الرياض، ١٩٧٧، ص: ٤٣-٤٥ والعربيّة الفصحى، ص: ٤٢-٤٩ ودراسات في فقه اللّغة، محمد الأنطاكي، ص: ١٩٨-٢٠٤ واللّغة العربيّة معناها ومبناها، د/ تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، د.ت ص: ٦٦-٧٠ ومناهج البحث في اللّغة، ص: ١٧٠-١٧٨ وعلم الأصوات لبرثيل مالمبرج، ص: ١٦٥-١٦٧ ودروس في علم أصوات العربيّة، ص: ١٩١-١٩٤.

(43) التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، ص: ٢٦١.

(44) الأصوات اللّغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص: ٢١٥.

(45) علم الأصوات، برثيل مالمبرج، ص: ١٦٤.

في تركيب الكلمة». (٤٦)

فإذا نظرنا إلى هذه التعريفات وغيرها أمكننا حصرها في اتجاهين اثنين هما الاتجاه الصوتي والاتجاه الوظيفي. فالأول استقر لدى أتباعه أنّ الأصوات تميل في تجمعها تبعاً لما تتميز به من جهر أو وضوح سمعي، وأنّ هذا الجانب يؤدي دوراً حاسماً في تكوين البنى المقطعية. ويرى أحد رواد هذا الاتجاه أنّ الوحدات الصوتية ترتبط في تجمعها بالوحدة الأندى في السمع وأصفاها*. (٤٧) وعلى هذه المعطيات، فالمقطع في منظور هؤلاء «تتابع من الأصوات في تيار الكلام، له حدّ أعلى أو قمة إسماعٍ تقع بين حدّين

(46) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص: ١٠٣ وعلم اللغة بين القلم والحديث، ص: ١١٢. * أعني ههنا أوتو جيسبرسن OTTO JESPERSEN (ت ١٩٤٣) الذي رتبّ الأصوات - من حيث قوة الرنين وضعفه - في ثماني درجات استهلّها بالأصوات ذات الرنين الضعيف، ثمّ بالتي تليها وضوحاً ليختمها بأقواها رنيناً وأوضحها سماعاً، فهو يقدمها في نسق تصاعدي يتوالى كالآتي:

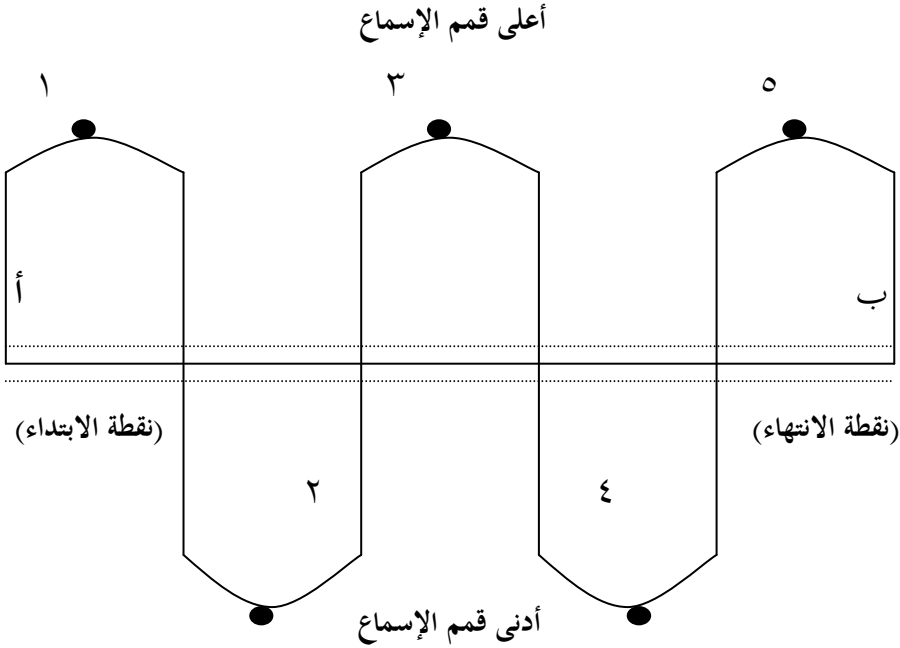
- ١- الأصوات المهموسة:
- أ- الشديدة نحو (k, p, t)
- ب- الرخوة نحو (S, F)
- ٢- الأصوات المجهورة:
- أ- الشديدة نحو (G, D, B).
- ب- الرخوة نحو (Z, V).
- ج- المائعة (الأنفية والجانبية) نحو (L, N, M).
- د- التكرارية نحو (R).
- هـ- الصوائت المغلقة نحو (Y, U, I).
- و- الصوائت نصف المغلقة نحو (ə, ε, o, e).
- ي- الصوائت المفتوحة نحو (a).

يُنظر علم الأصوات للملبرج، ص: ١٥٧ والمدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، ص: ٤٤-٤٥ ودراسة الصوت اللغوي، ص: ٢٤٤.

(47) علم الأصوات، للملبرج، ص: ١٥٧.

أدنيين من الإسماع». (٤٨)

ونُشير ههنا إلى أنّ دوسوسير قد سبق أوتو جيسرسن في صياغة تعريف للمقطع يقوم على درجة الانفتاح في الأصوات. فقد كان يرى «أنّ الصّوامت تتجمّع حول الحركات تبعًا لدرجة الانفتاح، فالحدّ المقطعيّ يوجد حيث يكون الانتقال من صوت أكثر انغلاقًا إلى صوتٍ أكثر انفتاحًا». (٤٩) ويمثّل أتباع هذا الاتجاه للمقطع، كما هو في تصوّره، بالشّكل الآتي:



(48) هندسة المقاطع الصّوتية، ص: ٤٧.

(49) محاضرات في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، ترجمة يوسف غازي، ومجيد النّصر، دار النعمان للثقافة، جونه، لبنان، د. ت. د. ط: ص: ٧٧-٧٨ وعلم الأصوات للملبرج، ص:

فالخطّ (أ- ب) يمثّل الوسط الذي ينتقل بوساطته الكلام، وترمز الأرقام (١،٣،٥) إلى أعلى قسم الإسماع، و(٤، ٢) إلى أدناها.^(٥١) ونضيف ههنا إلى أنّ تعريف المقطع عند كلّ من الفارابي وابن سينا وابن رشد يمكن إدراجه ضمن هذا الاتجاه، لأنّه يقوم على الأساس الصوتي.

أمّا الاتجاه الثاني، أي الوظيفي، فيرى مريدوه أنّ المقطع أصغر كتلة في تركيب المفردة،^(٥١) كما أنّه «وحدة ذات صفات وخصائص متميّزة في كلّ لغة». ^(٥٢) ويضيف أصحاب هذا الاتجاه أنّ المقطع هو المجال الرّحب الذي تظهر فيه حركة الفونيم (الوحدة الصوتيّة)، إذ لا حياة لها إلّا في داخل المقطع، لأنّ هذه الوحدات (الفونيمات) لا تنطق منفصلة، وإنّما على شكل تجمّعات أو عناقيد صوتيّة، فصفاتها وخصائصها وكيفيّة انتظامها في مقاطع تعتمد طبيعة المقطع وتشكيلاته.^(٥٣)

ويسجّل الصوتيون أنّ أفضل تعريف أحاط بالمقطع كما هو في تصوّر هذا الاتجاه، هو ذلك الذي قال به دوسوسير، حين نصّ على أنّ المقطع هو تلك «الوحدة الأساسيّة التي يظهر بداخلها نشاط الفونيم الوظيفي». ^(٥٤)

وهناك اتجاه ثالث يمكن نعتّه بالاتجاه الفسيولوجي، لأنّه يربط المقطع بما يجري في آلة التصويت عند إنتاجه. فقد لاحظ أصحابه أنّه عند إحداث المقطع يقع شدّد متزايد في عضلات جهاز التصويت، ثمّ يأخذ في التناقص تدريجيّاً.^(٥٥) وقد أيدّ هذه النتائج

(50) يُنظر: هندسة المقاطع الصوتيّة، ص: ٥٤ والمدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، صلاح الدين صلاح حسنين، ط ١، ١٩٨١ دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر ص: ٤٥ ودراسة الصوت اللغوي، ص: ٢٤١.

(51) البنية اللغوية لبردة البوصيري، راجح بوحوش، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ١٩٩٣ ص: ٤٠.

(52) هندسة المقاطع الصوتيّة، ص: ٤٨.

(53) يُنظر الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل، ص: ٢١٤ ودراسة الصوت اللغوي، ص: ٢٣٨.

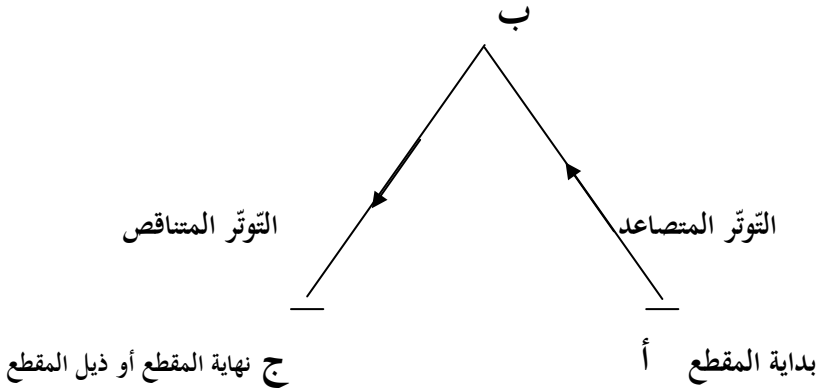
(54) محاضرات في الألسنية العامة، ص: ٥٧ وهندسة المقاطع الصوتيّة، ص: ٤٨.

(55) يُنظر علم الأصوات الملمبرج، ص: ١٦١.

الباحثون في علم الأصوات الفيزيائي، الذين اهتموا عند قياسهم نشاط عضلات التنفس إلى وجود علاقة بين المقاطع، وتشنّج العضلات التنفسية.

كما لاحظ هؤلاء الدارسون عند مقابلة منحنيات التنوعات العضلية بمنحني التوتّر المسموع ارتباط الثاني بالأول تزايداً وتناقصاً، بمعنى أنّه إذا كان شدّ عضلات الحنجرة والفم قوياً، فإنّ هذه القوّة تتحلّى فيزيائياً في تزايد تواتر الأصوات المنتجة. وعليه فالتوتّر المسموع يتصاعد مع إحكام شدّ عضلات آلة التصويت.^(٥٦)

وخلص عالم الأصوات الأمريكي ستيتسون Stetson، حين قاس ضغط الشفتين واللّسان وضغط الهواء في الفم، إلى أنّ هذا الضّغط يتصاعد في بداية إنتاج المقطع، ثمّ يميل إلى الفتور والتناقص عند نهاية العملية.^(٥٧) ويمثّل أصحاب هذا الاتجاه المقطع بالشكل الآتي:



يمثّل الخطّ (أ-ب) التوتّر المتزايد للمقطع، ويمثّل الخطّ (ب-ج) التوتّر المتناقص أو ذيل المقطع، وتمثّل نقطة (ب) الذروة أو أعلى قمة الإسماع.

(56) يُنظر علم الأصوات، للملبرج، ص: ١٦٢.

(57) علم الأصوات، للملبرج، ص: ١٦٢ والأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل، ص: ٢١٦-٢١٧.

وتباين اللغات في استعمال الأصوات المقطعية، أعني تلك التي تقع قمة المقطع وأدناه. فمن اللغات ما يقتصر على المصوتات بفرعها القصير والطويل دون سواها، ومنها ما يشرك في هذه العملية أشباه المصوتات أي الأصوات المائعة (ر ل م ن).^(٥٨)

والعربية من الصنف الأول الذي يكتفي بالمصوتات، طويلة كانت أو قصيرة، قمماً لبنائها المقطعية. أما الأطراف أو الهوامش، فهي موضع تناوب بين جميع الصوامت. ولعل من أبرز الخصائص البنوية للمقطع العربي دخول المصوت في تشكيله.^(٥٩)

أما أشكال المقاطع، فتباين تبعاً لتباين اللغات في أنظمتها الصوتية وطرق تشكيلها لوحداتها اللغوية. وقد عدّ الصوتيون منها عشرة أشكالٍ ترجع إليها مختلف اللغات في أنسجتها المقطعية.^(٦٠)

وقد عرفت العربية منها خمسة أنواع يمكن تصنيفها، بالنظر إلى المصوت أو الصامت من حيث هما نهاية، إلى مقطع مفتوح وآخر مغلق. فالأول ما كانت نهايته مصوتاً طويلاً أو قصيراً نحو (ما، ذو، لا، و، م، م، م). أما الثاني فهو المنتهي بصامت واحدٍ ويسمى أحادي الإغلاق مثل (من، قل، باب، عود). وقد يجتم هذا النوع بصامتين، فينعت بشائبي أو مضاعف الإغلاق نحو (عبد، قرد، بحر، نكل).^(٦١) كما يمكن تجزئة المقطع بالنظر إلى المدى الزمني الذي يستغرقه النطق به إلى ثلاثة أشكال مقطعية هي:

(58) يُنظر علم الأصوات للملبرج، ص: ١٥٦.

(59) يُنظر دراسات في فقه اللغة لمحمد الأنطاكي، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت

لبنان، ط٤، د.ت.ص: ١٩٨.

(60) يُنظر دراسة الصوت اللغوي، ص: ٢٥٥ ومبادئ اللسانيات، أحمد قدور، ص: ١١٠-١١١.

(61) يُنظر علم الأصوات، للملبرج، ص: ١٦٦ ودراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص: ٢٠٠

وهندسة المقاطع الصوتية، ص: ٥٧-٥٨ ومبادئ اللسانيات، أحمد قدور، ص: ١١١ وأسس علم

اللغة، ماريو باي، ترجمة د/ أحمد مختار عمر، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧، ص: ٩٦.

- ١/ قصير: وهو ما تألف من صامت ومصوّت قصير نحو (و، ب).
- ٢/ متوسّط: وهو ما تشكّل من صامت ومصوّت طويل نحو (يا، فو، ذي) أو من صامت ومصوّت قصير يعقبه صامت مثل (عَن، مَن، قُم).
- ٣/ طويل: وهو ما اقتزن فيه صامتان بمصوّت طويل في مثل (باب، كيس، عود)، أو ما امتزج فيه ثلاثة صوامت بمصوّت قصير نحو (بَدْر، قُرْب، عَبْد).^(٦٢)
- وعليه، فالأشكال المقطعية الخمسة في العربيّة بأصنافها وأوصافها ورموزها هي كالاتي:
- أ/ المقطع القصير المفتوح: ويتشكّل نسقه من صامت ومصوّت قصير، ورمزه (ص م)*.
- ب/ المقطع المتوسّط المفتوح: وهو ما توالى فيه صامت ومصوّت طويل، ورمزه (ص م).
- ج/ المقطع المتوسّط المغلق: وهو ما تتابع فيه صامتان يتوسّطهما مصوّت قصير، ورمزه (ص م ص).

- د/ المقطع الطويل المغلق بصامت (أحادي الإغلاق): ويتكوّن من صامت فمصوّت طويل فصامت، ورمزه (ص م ص).
- هـ/ المقطع الطويل المغلق بصامتين، أي (ثنائي الإغلاق): ويتكوّن من صوت صامت ومصوّت قصير يعقبه صوتان صامتان، ورمزه: (ص م ص ص).^(٦٣)

والملاحظ في الصياغة العربيّة شيوع الأنواع الثلاثة الأولى، إذ الكثرة الكثيرة من الكلام العربيّ يتألف منها، في حين يقلّ تردّد الشكّل الرابع في حشو الكلمة، ومن صور مجيئه

(62) يُنظر: العربيّة الفصحى، ص: ٤٤ والأصوات اللغويّة عبد القادر عبد الجليل، ص: ٢٢٠-

٢٢١ ودراسات في فقه اللغة، ص: ٢٠٠ وعلم الأصوات للملّرج، ص: ١٦٦.

* على أساس أنّ الصاد (ص) اختصار لصامت و الميم (م) اختزال لمصوّت.

(63) يُنظر: المنهج الصوّتي للبنية العربيّة، ص: ٤٠ والبنية اللغوية لبردة البوصيري، ص: ٤١ ودراسات في

فقه اللغة، ص: ٢٠١ والأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل، ص: ٢١٩-٢٢١.

كذلك وروده في بعض الكلمات ذات الاستعمال النادر نسبياً نحو: ﴿الصَّالِينَ﴾^(٦٤)، ﴿وَالصَّافَاتِ﴾^(٦٥)، ﴿وَالْحَاقَّةِ﴾^(٦٦)، ﴿وَمَذْهَامَتَانِ﴾^(٦٧) وبذلك تكون أنسب المواقع به هي نهايات الكلمات. أمّا الوجه الخامس، فلا يظهر إلا في نهاية الكلمات وفي حالة الوقف عليها بالسكون.^(٦٨) ويشير بعض الدارسين إلى شكل سادس من الأشكال المقطعية في العربية، وهو نادر الحدوث، ويتألف من صامت ومصوّت طويل يتبعه صامتان، ورمزه (ص م ص ص) نحو (شاق، ضال، يشاد). ولقلة تردده في الكلمة العربية أغفله الكثير من الباحثين، فلم يذكره في نظام المقاطع العربية.^(٦٩)

هذا وقد أسفرت الدراسات التي تناولت المقطع العربي عن طائفة من القواعد البنيوية التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

١/ المقطع العربي لا يبدأ إلا بصامت، وأن ما زعمه الدكتور تمام حسان مردود، فهو يعتقد بوجود مقطع يتكوّن من مصوّت قصير يتبعه صامت على هذا النسق (م ص). وهو في نظره مقطع تشكيلي أملاه التّقييد وهو غير أصواتي، «لأنّ الأصوات لا تعترف بأن تبدأ المجموعة الكلامية بحركة، ولذلك تعمد إلى همزة تنشئها قبل هذه الحركة، وتتخذها سلماً للتّلق بها، ثمّ تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع، فإذا كان هذا المقطع التشكيلي في وسط الكلام فإنّ دراسة الأصوات لا تعترف به، لأنّها تتخذ من الصّحيح قبله ممراً له، كما أنّتخذت همزة الوصل في بداية الكلام ... وهذا المقطع إن صحّ أن يقع في أوّل

(64) الآية ٧ من الفاتحة.

(65) الآية ١ من الصّافات.

(66) الآية ١ من الحاقّة.

(67) الآية ٦٤ من الرّحمن.

(68) علم الأصوات للملبرج، ص: ١٦٦، والعربية الفصحى، ص: ٤٤، ودراسات في فقه اللّغة، ص: ٢٠١.

(69) يُنظر علم الأصوات للملبرج، ص: ٢٠١ وعلم اللغة بين القلم والحديث، ص: ١١٤.

الكلام، فإنه لا يصح أن يقع في وسط الكلمة، أي إنه يلزم موقعه في بداية الكلمة التي هو فيها»^(٧٠).

وكما تأبى العربية البدء بمصوّت، فهي كذلك ترفض أن يتوالى في بداية المقطع صامتان على هذا الشكل (ص ص م) على نحو ما يجري في بعض اللغات الأخرى كالفرنسية والإنجليزية^(٧١). أمّا وسط الكلمة، فيحتمل تتابع صامتين، وهو أقصى ما يقبله التسيح المقطعي في العربية، نحو الكاف والتاء في يكتب والزاء والجيم في يرجع^(٧٢).

٢/ لا يقبل النظام المقطعي في العربية عند بناء الكلمة المجردة، اسمًا كانت أو فعلًا، أكثر من أربعة مقاطع إلا فيما ندر، وأن أكثر ما تحتمله مع كلّ الزوائد واللواحق هو سبعة مقاطع نحو فسيفكيكهمو. كما أنّ أقصى ما تنزل إليه الكلمة العربية في بنائها مقطع واحد، على نحو ما يشيع في بناء بعض الأدوات من مثل: واو العطف، وفي، وعن، وما، وذو، وغيرها، إلا أنّ الثابت والسائد في المباني العربية أن تتكون من مقطعين فصاعدًا^(٧٣).

٣/ من الأنسجة التي لا يتسع لها التركيب المقطعي في العربية كلمة تجاوزت في بنائها سبعة مقاطع^(٧٤).

(70) مناهج البحث في اللغة، ص: ١٧٧.

(71) علم الأصوات للمبرج، ص: ١٦٧ وأسس علم اللغة، ص: ٩٧.

(72) علم اللغة بين القديم والحديث، ص: ١٤٤ والمنهج الصوتي للبنية العربية، ص: ٤١ والعربية الفصحى، ص: ٤٣.

(73) يُنظر علم اللغة بين القديم والحديث، د/ عاطف مذكور، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٨٧ ص: ١١٥ والمنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ص: ٤١-٤٢ ودراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص: ٢٠٢-٢٠٣ والعربية الفصحى، ص: ٤٣-٤٥.

(74) دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص: ٢٠٣ وعلم اللغة العام، الدكتور توفيق محمد شاهين، ص: ١١٠ ومبادئ اللسانيات، أحمد قُدور، ص: ١١٤.

٤/ من الأنساق المقطعية المفروضة في العربية كلمة تضمّنت في صدرها أو حشوها مقطّعا من النوع الخامس (ص م ص ص).

٥/ يأبى النظام المقطعيّ في العربية كلّ كلمة مجردة تتابع فيها أربعة مقاطع من النوع الأوّل. أمّا إذا لحق بها شيء من الضّمائر، فإنّ العربية قد تستسيغ ذلك إلاّ أنّه قليلٌ غير محبّب مثل: بقورتك، شجرتك.^(٧٥)

٦/ من الأنسجة غير المقبولة في الصياغة العربية بناءٌ خلا من الزوائد واللواحق، وقد توالّت فيه ثلاثة مقاطع من النوع الثّاني (ص م). فإذا تحقّق هذا التّسق في كلمة ما، فاحكم أنّها مبتدعة وليست عربيّة. وقد مثّل لذلك الأستاذ محمد الأنطاكي - رحمه الله - بكلمتي قاديشا وعامودا. أمّا إذا وُصلت الكلمة بشيء من الزوائد واللواحق، فإنّ العربية تستسيغ تكرار هذا التّسق ثلاث مرّات نحو: قالوها وباعوها، وما كان على منوالهما.^(٧٦)

٧/ كلّ بناء تصادف فيه مقطعان، أوّلها من الشّكل الثّاني (ص م) وثانيهما من الخامس (ص م ص ص)، فاحكم بعجمته، لأنّ العربية لا تعرف في نظامها المقطعيّ نسقا بهذا التّتابع. وقد مثّل أحد الدارسين لذلك بكلمة «جومرت» التي تشيع في اللّهجة الحليّة، ومعناها الإنسان الكيس الذي يحسن التّدبير.^(٧٧)

٨/ ومن الأنسجة غير المقبولة اجتماع ثلاثة مقاطع، الأوّل منها من النوع الثّالث (ص م ص) والثّاني والثّالث من النوع الثّاني (ص م)، لأنّ العربية لم تعرف في نظامها

(75) علم الأصوات للمبرج، ص: ١٦٧ ودراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص: ٢٠٣ والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ١٦٧.

(76) دراسات في فقه اللغة، ص: ٢٠٣ وعلم اللّغة العام، د/ توفيق محمد شاهين، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة مصر، ط١، ١٩٨٠، ص: ١١٠.

(77) دراسات في فقه اللغة، ص: ٢٠٣ والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرّفها، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، ط٣، د.ت، ص: ٥١.

المقطعي نسيجًا من هذا النمط نحو لفظة سرغايا وهي عَلمٌ على قرية في سورية. غير أنه يلتزم هذا النسيج في بعض الأبنية العربية، ويكون مقبولاً مستساغاً في حالة الوقف على المنون المفتوح نحو (قنطارًا وقمصانًا ومئزرًا).^(٧٨) وينعدم في متن العربية بناء تلاحقت فيه ثلاثة مقاطع، الأول منها من النوع الثاني (ص م) والثاني والثالث من النوع الثالث (ص م ص)، على نحو ما يجتمع في الكلمة الفارسية شابندر التي تعني نقيب التجار.^(٧٩)

والواقع، أنّ ما سقناه من الأنساق المقطعية التي لا تتلاءم والنظام المقطعي في العربية ليس هو كلّ ما يمكن الإتيان به في هذا المجال، بل هناك أنسجة أخرى كثيرة يمتنع إيرادها في العربية، إذ لا يحيط بكلّ ما تقبله العربية وما لا تقبله من الأنسجة إلاّ بحث متخصص يتناول المسألة وحدها دون سواها.

نخلص من كل ما تقدم، إلى أن الدراسة المقطعية في تراثنا الصوتي بدأت مع النحاة واللغويين إشارات متناثرة في مصادر اللغة و النحو، ثمّ عرفت معالجة علمية جادة تقترب إلى حدّ بعيد مما وقر في الدرس الصوتي الحديث مادة ومصطلحًا على يد الفلاسفة.

(78) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ص: ٥١ وعلم اللغة العام، دكتور توفيق محمد

شاهين، ص: ١١٠.

(79) دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت لبنان، ط٤، د.ت.ص:

٢٠٣ وعلم اللغة العام، دكتور توفيق محمد شاهين، ص: ١١٠ والمنهج الصوتي للبنية

العربية، ص: ٤٢.

التصحيف والتحريف في معجم الصحاح

د. محمّد صالح شريف العسكري^(*)

بذل العلماء عناية بالغة، منذ القدم، في سبيل صيانة مصنفاتهم من آفة التصحيف والتحريف، التي مُنيتْ بها كتب التراث على أيدي الورّاقين والنُّسّاخ، عن قصد أو دون قصد.^(١) وكان لعلماء اللغة عنايتهم الفائقة في هذا المضمار، بعد أن وجدوا أنّ تغيير الحركات والسكّنات في بنية الكلم أو إعرابها يثقل المعاني، ويُحدث خلطاً وخبطاً في المداليل؛ ولذلك لم يجدوا بُدّاً من وضعِ ما من شأنه الحدّ والحيلولة دون هذه المشكلة، كالضبط بالقلم، والمثال والحروف، والميزان الصربي، وغير ذلك.^(٢) والتصحيف، لغةً منقولٌ من الخطأ في قراءة الصُّحفِ.

قال الخليل (العين، ٣/١٢٠): والصَّحْفِيُّ: المصحَّف، وهو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصُّحف بأشباه الحُرُوف.

وقال المجد الفيروزآبادي (القاموس، ٣/٢٣٤): الصَّحْفِيُّ، محرَّكَةٌ: من يُخطئ في قراءة الصَّحِيفَةِ، وبضمَّتَيْن، لحنٌ، والمُصَحَّفُ، مثلثة الميم من أَصْحَفَ، بالضم، أي جُعِلَتْ فيه الصُّحفُ.

(*) باحث في علوم اللغة العربية من إيران.

(١) يُنظر المزهري/٢/٣٥٣، البحث الأدبي ٢٠٠.

(٢) نجا/١٤٢، ١٢٦، ١٠٢.

وقال العسكري (أخبار المصحّفين، المقدمة/٨): أصل هذا أنّ قومًا كانوا قد أخذوا العلم عن الصحف من غير أنّ يلقوا فيه العلماء فكان يقع فيما يروونه التغيير، فيقال عنده: قد صحّفوا، أي ردّدوه عن الصّحف، وهم مُصحّفون، والمصدر التّصحيفُ.

والتّصحيفُ والتّحريفُ في الاصطلاح:

إنّ بعض القدامى لم يفرّق بين التّصحيف والتّحريف (هارون، ٦٥)، ولكن ما استقر عليه المحقّقون فيما بعد أنّ:

التّصحيف: خاص بالالتباس في نقط الحروف المتشابهة في الشكل كالباء والتاء

والتاء..إه.

والتّحريف: خاص بتغيير شكل الحروف، ورسمها كالبدال والراء، والبدال واللام.^(٣)

وقد ابتليت المعاجم جميعها قديمها وحديثها بهذه الآفة؛ فقديمتها، كالعين والتّهذيب، والصحاح والقاموس المحيط واللسان،^(٤) وحديثها، كأقرب الموارد، والمنجد، والبستان، وغيرها لم تسلم منها. وقد تناول النقاد واللغويون هذه المعاجم بالدرس والتّحقيق، وبيان ما وقع فيها من تصحيف وتّحريف.^(٥)

كما صنّف اللغويون القدامى العديد من الكتب لعلاج هذه المشكلة، وبيان أسبابها، أمثال:

كتاب شرح ما يقع فيه التّصحيف والتّحريف، وهو في تصحيقات أهل اللغة، لأبي أحمد العسكري، وله ثلاثة كتب أخرى، في هذا المجال،^(٦) ودُرّة العوّاص للحريري، وتثقيف اللسان، لابن مكّي الصقلي.^(٧) وأغاليط الصحاح للزنجاني،^(٨) والذي نحن

(٣) السابق، ٦٦.

(٤) المزهر/٢، ٣٩٠، ٣٨١، والخصائص ٢٨٨/٣.

(٥) يُنظر تطور المعجم العربي، كشلي (٢١٠، ٢٥٦)، والمعجم اللغوية، نجا/١٩٧، والمعجم العربي، نصّار (٧٤٧/٢).

(٦) يُنظر أخبار المصحّفين، مقدمة المحقق ١١، ١٢.

(٧) يُنظر أيضًا: تحقيق النصوص، هارون ٦٨، ٦٩.

(٨) أشار إليه المؤلّف في كتابه ترويح الأرواح الورقة/١٨٦. ولم أجد في مراجع ترجمته.

بصدده في هذه السطور بيان ما أصاب الصحاح من تصحيف وتحريف، في الطبقات الأربع المتناولة بين أيدينا في الوقت الحاضر، وهي طبقات وقعت بين السنوات ١٩٥٦-١٩٩٠م،^(٩) ولم تجد العناية اللازمة.

أمَّا الباعث الذي حداني إلى الوقوف على هذه التصحيفات، ثم تسطيرها في هذه المقالة، فيعود إلى أيام عملي في تحقيق مخطوطة كتاب (ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح) وهو أكبر مهذبٍ عمِلَ لمعجمٍ لغويٍّ في تاريخ اللغة العربية، إذ جمع فيه مؤلفه، العلامة الزنجاني (ت ٦٥٦ هـ)؛ جميع موادَّ الصحاح، كما ادَّعى وقال في المقدمة (الورقة/١): «فصرفتُ عنائي إلى تهذيبه بتجريدِ لُغتهِ وحذفِ ما لا حاجةَ إليه مِنْ شواهده، وإسقاطِ ما تَكَرَّرَ مِنْ ألفاظه، والنحوِ والتصريفِ الخارجين عن فنِّه. وتكفَّلتُ ألا أُحِلَّ بشيءٍ مِنْ لغتهِ»،^(١٠) فكان علي والحالة هذه، أن أقابل موادَّ الترويح، بما جاء في الصحاح، وأدقق في الموادَّ التي اشتملت عليه مجلداته الست، وهي أربعون ألف مادةٍ لغوية، بابًا بابًا، وكلمةً كلمةً، بل حرفًا حرفًا؛ للتثبت من صحة المقول والمنقول. وعندها هالي ما وجدته من التحريف والسَّقَط والتصحيف الذي أصاب الطبقات الأربع، والذي تجاوز عدده المئة والخمسين حالة.^(١١)

(٩) الطبقات الأربع، هي: الأولى، طبعة دار الكتاب العربي- القاهرة ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م. والثانية، طبعة بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، و الثالثة، طبعة دار العلم للملايين- بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، والرابعة، طبعة دار العلم للملايين ١٩٩٠م.

(١٠) مخطوطة كتاب (ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح) للعلامة اللغوي أبو المناقب، شهاب الدين، محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني المتوفى ٦٥٦هـ، وهي مخطوطة نادرة كان يُظنُّ أنها مفقودة أو أنَّ المؤلف أضرب عن إشاعتها (نصَّار ٥٠٤/٢). وقد تيسرت لكتاب هذه السطور، وهي الآن في قيد الطبع- بعون الله تعالى- بعد التحقيق، والعرض على ست نسخ أقدمها كتبت سنة ٧٧١هـ).

(١١) تركت بعضها؛ لسهولة الوقوف عليها. نظير كتابة (قي- في) مادة، سلك، ١٥٩١/٤، و(ببَدَل - ببَدَل) ١٦٣٢/٤.

هذه هي قصتي مع تصحيفات وتحريفات الصحاح. وكان قد أثقل كاهلي، عِلْمِي بهذا الكم الكثير من الأخطاء؛ في معجم لغويّ كان ولا يزال مرجع ثقةٍ لكلِّ محقّق، وأديب، وطالب علم؛ وعِلْمِي أيضاً بأنها ليست من الأمانة العلمية، إن أنا لم أعلنها وأصرّح بها. وإن كانت بعض التصحيفات لا تخفى على المحقّق اللبيب.

وحسيّ أني بذلك أسدي خدمة لطلّاب العلم، وشُدّة الصّحيح في معجم التزم صاحبه بالصّحيح. (١٢)

ورجائي أن يكون في ذلك رضا الله تعالى، وعنده حسن الثواب.

١- مادة: جبأ (٣٩/١)

الجَبْءُ: واحد الجبّأة، مثاله: فُقِع، وفِقَعَة. (الجبّأة) بتسكين الباء، تحريفٌ، وصوابه: (الجبّأة) بكسر الجيم وفتح الباء، كما قال الجوهري في مثال الضبط، وكما في اللسان (٤٣/١)، والقاموس (جبأ، ١/١١١).

٢- مادة: ندأ (٧٥/١)

نَدَأْتُ الفُرْصَ في النار نَدَاءً، إِذَا دَفَنْتَهُ فِي المَلَّةِ لِيَنْضَجَ، وكذلك اللَّحْمُ. (اللَّحْمُ) بضم الميم خطأ، وصوابه: (اللَّحْمُ) بالنصب.

٣- مادة: ترب (٩١/١)

ومسكِينٌ ذو مترية. (مسكِينٌ) صوابها (مِسْكِينٌ) بتسكين السين. كما في الآية المباركة (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرِيَةٍ) (البلد/١٦).

٤- مادة: حيب (١٠٦/١)

منه قولهم: حَبَّأ، فَحَبَّ فعل ماض لا يتصرّف، وأصله حَبَّبَ على ما قال الفراء، وذا فاعله، وهو اسمٌ مبهم من أسماء الإشارة جُعَلًا شيئًا واحدًا. (جُعَلًا) صوابها (جُعَلًا) بكسر العين، على البناء للمجهول، كما في القاموس المحيط (الحبُّ، ١/١٧٦)، واللسان (٩/٣).

(١٢) يُنظر: السيوطي ٩٩/١، الصحاح، مقدمة المؤلف ٣٣، المعجم العربي، نصّار ٤٩٧/٢.

٥- مادة: دبب (١٢٢/١)

والدَّبَبَةُ التي للدَّهْنِ. (للدَّهْنِ) صوابها (للدَّهْنِ) بضم الدال. جاء في العين (٢٧/٤)، الدَّهْنُ: الاسم. وفي اللسان (٤/٢٧٨، ٤٣٣) الدَّبَبَةُ: التي يجعل فيها الزيت والبُرُز والدَّهْنِ. وبالضم أيضًا في القاموس المحيط (٤/٣١٩).

٦- مادة: سرب (١٤٦/١)

وفلان آمِنٌ في سِرِّه. (آمِنٌ) تحريف؛ وصوابه: آمِنٌ، بكسر الميم. جاء في العين (٧/٢٤٨): وفلان آمِنٌ السَّرْبِ، ويرادُ بآمنِ السَّرْبِ آمِنِ القلبِ. وفي اللسان (٦/٢٢٥): وقيل: هو آمِنٌ في سِرِّه، أي في قومه.

٧- مادة: قنب (٢٠٦/١)

كُتِبَ المدخلُ قنب بالتاء، وهو تصحييفٌ، وصوابه: قنب، بالنون. أمَّا (قنب) فقد مرَّ في (١/١٩٨) من الصحاح.

٨- مادة: نبب (٢٢٢/١)

نَبَّ النَّبَسُ يَنْبُ نبييا، إذا صاحَ وهاج. (نبييا) بيائين، تصحييفٌ، وصوابه: نبييا، بياء واحدة بفاء. كما في العين (٨/٣٧٢)، واللسان (١٤/١٠).

٩- مادة: أنث (٢٧٢/١)

وَأَنْثَتِ المرأةُ، إذا وُلِدَتْ أُنْثَى، فهي مُؤْنِثٌ. وإذا كان ذلك عادتُها فهي مُنْثَاتٌ أيضًا، لأنَّهما يستويان في مِفْعَالٍ.

بعد عبارة (فهي مِّنْثَاتٌ) سَقَطَ، نَهْتَدِي إليه بكلمة (أيضًا) والعبارة التي بعدها. وصوابه كما في مخطوطة الترويح (ورقة/ ٧٤)؛ وكما جاء في اللسان (٢/١١٢): وَأَنْثَتِ المرأةُ، وهي مُؤْنِثٌ: وَلَدَتِ الإناثَ، فَإِنْ كان ذلك لها عادةً، فهي مِّنْثَاتٌ، والرَّجُلُ مِّنْثَاتٌ أيضًا، لأنَّهما يستويان في مِفْعَالٍ.

١٠- مادة: طرث (٢٨٦/١)

الطُرْتُوثُ: نَبَتْ يُوْكَلُّ. (الطُرْتُوثُ) بالتاء تصحيفٌ، وصوابه: الطُرْتُوثُ، بالتاء المثلثة؛ كما في الترويح (ورقة/٧٨)؛ وكما قال الخليل في العين (٤١١/٧)، وكما نصَّ عليه ابن منظور (لسان، ١٣٧/٨). وجاء في القاموس المحيط (٣٦٢/١) «الطُرْتُوثُ: بالضم الكَمَرَةُ ونَبَتْ يُوْكَلُّ».

١١- مادة: لوث (٢٩١/١)

ولاثَ الرجلِ يَلُوثُ، أي دَارَ. (الرجل) بكسر اللام تحريفٌ، وصوابه الرَّجُلُ، بالضم على الفاعلية.

١٢- مادة: شرح (٣٢٦/١)

شَرَحَ العَيْبَةَ: غَرَاهَا. (شَرَحَ) بفتح الجيم تحريفٌ، وصوابه: شَرَّحَ، بضم الجيم على الابتداء.

١٣- مادة: عوج (٣٣١/١)

وَعُجْتُ البعيرَ أَعُوْجُهُ عَوْجًا وَمَعَاجًا، إِذَا عَطَفْتُ رَأْسَهُ بِالزَّمَامِ. و(عَطَفْتُ) بتسكين التاء تحريفٌ، وصوابه: عَطَفْتُ، بفتح التاء، كما في الجمل (٤٨٩)؛ واللسان (٤٥٦/٩).

١٤- مادة: نتج (٣٤٣/١)

وَأَنْتَجَتِ الفرسُ، إِذَا حَانَ نَتَاجُهَا..، وكذلك النَّاقَةُ، فهي تَنْوُجُ. وفي (تَنْوُجُ) تصحيفٌ وتحريفٌ، وصوابه: تَنْوُجُ، كما في الترويح (ورقة/٩٦)، والعين (٩٢/٦)، واللسان (٣٢/١٤)، والقاموس (٤٢٩/١).

١٥- مادة: نهج (٣٤٦/١)

وَالنَّهْجُ، بالتحريك: البُهُرُ وَتَتَابَعُ النَّفْسُ. و(تَتَابَعُ) بفتح الباء، تحريفٌ؛ وصوابه: تَتَابَعُ، بضم الباء، كما في مختار الصحاح (٦٨١)، والقاموس المحيط (٤٣٢/١)، واللسان (٣٠٠/١٤).

١٦- مادة: سمح (٣٧٦/١)

وسَمَّحَ به: أي جاء به. و(جاء به) تحريفٌ، وصوابه: جَادَ به، كما في العين (١٥٥/٣)، والقاموس المحيط (١/٤٦٤)، والمصباح المنير (١٥٦).

١٧- مادة: فوح (٣٩٣/١)

وفاحَتِ القِدْرُ تَفِيحًا: عَلَتْ. وَأَفْحَتْهَا أَنَا. وفي (أَفْحَتْهَا) بتسكين الفاء، تحريفٌ، وصوابه: أَفْحَتْهَا، بفتح الفاء.

١٨- مادة كحج (٣٩٨/١)

كُتِبَ المدخل (كحج) بالجيم، وهو تصحيفٌ، والصواب كحج، بالحاء المهملة؛ وكحج لم ترد في الصحاح، ولا في تنقيح (تهذيب) الصحاح.^(١٣)

١٩- مادة كلح (٣٩٩/١)

الكلُوحُ: تَكْشُرُ في عبوس. و(تَكْشُرُ) بضمه واحدة تحريفٌ، وصوابه: تَكْشُرُ، بالتنوين.

٢٠- مادة: أضخ (٤١٨/١)

أَضَاحٌ، بالضم: موضع، يذكَر ويؤنَّث. (أضاخ) بفتح الهمزة، تحريفٌ؛ وصوابه كما صرَّح به الجوهري، في عبارة الضبط: أَضَاحٌ،^(١٤) وكما في اللسان (١٥٦/١)، والقاموس (٥٠٨/١)، ومعجم البلدان (٣١٢/١).

٢١- مادة: سرد (٤٨٤/١)

والمَسْرَدُ: ما يُحْرَزُ به. (يُحْرَزُ) بفتح الزاي، تحريفٌ، وصوابه: يُحْرَزُ، بضم الزاي.

(١٣) كتبنا الاسم الصحيح للكتاب في الأول، ووضعنا الاسم المستعار (بين قوسين) أملاً بتصحيح الاسم في الطبقات الآتية.

(١٤) إذا قال الجوهري بعد الفعل بالضم، فهو يعني حركة عين الفعل، وإذا قال بعد الاسم بالضم أو بالكسر، فهو يريد حركة الفاء من الاسم، وإذا قال بالتحريك فالضبط للحرفين الأولين. يُنظر: مقدمة الصحاح، ١٢٥، وإبراهيم نجح (١٠٢).

٢٢- مادة: عمد (٥٠٩/١)

عَمَدَ البعيرُ، إذا انفضح داخلُ سَنَامِهِ من الركوب. (انفضح) بالخاء المهملة تصحيفٌ، وصوابه: انفضخ، بالخاء المعجمة. كما في الصحاح (٤٢٩/١)، وإصلاح المنطق (٤٨، ١٨٨)، واللسان (٣٨٩/٩).

٢٣- مادة: فرند (٥١٦/١)

فَرِنْدُ السيفِ وِإِفْرِنْدُهُ: رُبْدُهُ وِوَشْيِيُهُ. و(فِرْنَدٌ، إِفْرِنْدَةٌ)، فيهما تصحيفٌ وتحريفٌ، والصواب كما نقل ابن منظور عن الجوهري (لسان، ٢٥٢/١٠): «فِرْنَدُ السيفِ وإِفْرِنْدُهُ..رُبْدُهُ..إِه». وكما ضَبَطَهُ الفيروزآبادي في القاموس (٦١٤/١): «الفِرْنَدُ: بكسر الفاء والراء: السَّيْفُ وَجَوْهَرُهُ وِوَشْيِيُهُ كَالِإِفْرِنْدِ».

٢٤ - مادة: فهد (٥١٧/١)

الفَهْدُ: واحدُ الفُهوْدُ. (الفُهوْدُ) فيه تحريفٌ، والصواب: واحدُ الفُهوْدِ، بكسر الدال، على التركيب الإضافي.

٢٥- مادة: وعد (٥٤٨/١) (١٧)

الوَعْدُ يستعمل في الخير والشر.. فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوَعْدُ والعدَّةُ. (الوَعْدُ)، بضم العين تحريفٌ، وصوابه: الوَعْدُ، بسكون العين. كما في العين (٢٢٢/٢)، والجمهرة (١٢٦٥/٣)، واللسان (٣٤٠/١٥).

٢٦- فصل الشين (٥٦٥/٢)

كُتِبَ عنوان الفصل: فصل السين، وصوابه: فصل الشين. وهو من تحريف المطابع.

٢٧- مادة: بهر (٥٩٩/٢)

وَابَهَّارٌ علينا الليلُ: طال. (ابَهَّارٌ) بفتح الباء، فيه تحريفٌ، وصوابه: وِابَهَّارٌ، بسكون الباء على وزن (أفعال).

٢٨- مادة: حضر (٦٣٢/٢)

الحَضْرُ: بلدٌ بإزاء مَسْكَن. (مَسْكَن) بفتح الكاف تحريفٌ، والصوابُ: مَسْكِن، بكسر الكاف. كما في الجمهرة (سكن، ٨٥٦/٢)، ومعجم البلدان (١٢٧/٥).

٢٩- مادة: ذفر (٦٦٣/٢)

الذَفْرُ، بالتحريك: كلُّ رِيحٍ ذَكِيَّةٍ من طيبٍ أو نَثْنٍ.. وقد ذَفُرَ بالكسر يَذْفُرُ. (يَذْفُرُ) بفتح الذال وضم الفاء، فيه تحريفٌ، وصوابه: يَذْفُرُ، بتسكين الذال المعجمة وفتح الفاء.

٣٠- مادة: سجر (٦٧٧/٢)

وَسُجِرْتُ النَّهْرُ: مَلَأْتُهُ. (سُجِرْتُ) بضم السين وكسر الجيم، على البناء للمجهول، تحريفٌ. وصوابه: سَجِرْتُ، بفتحتين على البناء للمعلوم.

٣١- مادة: سنر (٦٨٩/٢)

كُتِبَ المدخل (ستر) بالتاء، وهو تحريفٌ؛ وصوابه: سنر، بالنون؛ أمَّا (ستر) من هذا الباب، فقد مرَّ في محله من الصحاح (٦٧٦/٢).

٣٢- مادة: غور (٧٧٤/٢)

وَعَارَ يَعُورُ عَوْرًا، أَي أَتَى العَوْرَ. (العَوْرُ) بضم الراء، تحريفٌ؛ لأنَّ اللفظ منصوبٌ على المفعولية، وصوابه: العَوْرُ.

٣٣- مادة: فقر (٧٨٣/٢)

وَفَقَّرْتُ الحُرْزَ: نَقَّبْتُهُ. (الحُرْزُ)، في الزاي الأولى تصحيفٌ وتحريفٌ، وصوابه: الحُرْزُ، براء وزاي مفتوحتين .

٣٤- مادة: قمر (٧٩٩/٢)

وَأَقَمَرَ التَّمْرُ: ضربه البردُ فذهبتْ حلاوته قبل أن ينضج. (البردُ) فيه تحريفٌ، وصوابه: البَرْدُ، بضم الدال على الفاعلية.

٣٥- مادة: كرر (٨٠٥/٢)

والكَرَّةُ، بالضم: البَعْرُ العَفِينُ يُجْلَى به الدروعُ. (الكَرَّةُ) بفتح الكاف تحريفٌ، وصوابه: الكُرَّةُ بالضم، كما نصَّ عليه الجوهري في عبارة الضبط. وهو بهذا الضبط في اللسان، عن الجوهري. (٦٥/١٢).

٣٦- مادة: مصر (٨١٧/٢)

والمَصُورُ: الناقَةُ التي يَتَمَصَّرُ لبنها، أي يُجَلَبُ قليلاً قليلاً؛ لأنَّ لبنها بطيءُ الخروج. (ويَتَمَصَّرُ) بفتح الياء، على البناء للمعلوم تحريفٌ؛ وصوابه: بضم الياء على البناء للمجهول، كما رواه الأزهري عن الأصمعي (تهذيب اللغة، ٤/ ٣٤٠٥).

٣٧- مادة: نشر (٨٢٢/٢)

والنَشْرَةُ: كوكبان بيتهما مقدارُ شبر. و(بيتهما) بالتاء، تصحيفٌ. والصواب: بينهما، بالنون، كما في اللسان (٣٩/١٤)، والقاموس المحيط (١٩٥/٢).

٣٨- مادة: نظر (٨٣٠/٢)

كُتِبَ المدخل نظر، بالطاء، وهو تصحيفٌ، وأظنُّه من أغلاط الطباعة. أمَّا مدخل نظر فقد جاء تالياً، في نفس الصفحة من الصحاح.

٣٩- مادة: وبر (٨٤١/٢)

الوَبْرَةُ، بالتسكين: دويبةٌ أصغر من السِّنور،...، وجمعاً وَبْرٌ وَوَبَارٌ. و(جمعاً) فيه سَقَطٌ، وأظنُّه من أغلاط الطباعة، وصوابه: وجمعها وَبْرٌ..

٤٠- مادة: وذر (٨٤٥/٢)

وتقول: ذَرَهُ، أي دعه. وهو يَذَرُهُ، أي يدعه. (يدعه) بالذال المعجمة، تصحيفٌ. وصوابه: يدعه، بالذال المهملة. كما في مختار الصحاح (٧١٥).

٤١- مادة: هير (٢/٨٥٠)

الهِيرُ: ما اطمأن من الأرض، وكذلك الهَيْرُ، والجمع هُبُورٌ. يقال: هي الصُّحون بين الرُّوابي. (الصحون) بالنون، فيه تصحيفٌ وتحريفٌ. وصوابه: الصُّخُورُ، بالخاء المعجمة والراء. كما في المقائيس (٦/٢٨، ٢٩)، والمجمل (٧٢٥)، واللسان (١٥/١٦).

٤٢- مادة: هتر (٢/٨٥١)، وفيها تحريفان:

الأوّل في قوله: أَهْتَرُ الرجل، فهو مَهْتُورٌ، أي صارخِرَفًا من الكِبَرِ. و(أَهْتَرُ) بضم الراء تحريفٌ. وصوابه: أَهْتَرٌ، بفتح الراء، لأنه فعل ماضٍ. وثاني التحريفين في قوله: تَهَاتَرَ الرجلان، إذا ادَّعى كلُّ واحدٍ منها على صاحبه باطلاً. و(منها) في هذه العبارة تحريفٌ وصوابه: منهما.

٤٣- مادة: بلز (٢/٨٦٢)

امرأةٌ بِلِزٍّ، على فِعِلٍ، بكسر الفاء والعين، أي ضحمةٌ. (امرأةٌ) بالضم من غير تنوين، تحريفٌ؛ وصوابه: امرأةٌ، بالتنوين.، كما في تَيْمَّة قول الجوهري: قال ثعلب: لم يأت من الصفات على فِعِلٍ إلَّا حرفان: امرأةٌ بِلِزٍّ، وأَتَانٌ إبْدٌ. وفي تاج العروس بالتنوين أيضًا (بلز، ١٥/٣٦).

٤٤- مادة: بوز (٢/٨٦٣)

البَازُ لغة في البازي. وجمعه أَبَوَازٌ وبيزانٍ. و(بيزانٍ) بتنوين الكسر، تحريفٌ؛ وصوابه: بيزانٌ، بتنوين الضم.

٤٥- مادة: ركز (٢/٨٧٧)

ومرْكُزٌ الدائرة: وسطها. و(مرْكُزٌ) بالزاي الساكنة، تحريفٌ. وصوابه: مرْكُزٌ، بضم الزاي؛ كما في اللسان (٥/٣٠٠)، وتاج العروس (ركز، ١٥/١٥٨).

٤٦- مادة: فوز (٨٨٧/٢)

والمفازةً أيضاً: واحدة المفاوز. (والمفازةً) بالتاء المنونة، تحريفٌ، وهو من أغلاط الطباعة. وصوابه: المفازة، بضمه واحدة.

٤٧- مادة: نقز (٨٩٧/٢)

النَّقْزُ، بالتحريك: زُدَّالُ المال... والنَّقْزُ، بكسر النون مثله. قوله (النَّقْزُ،... مثله)، بالنون المفتوحة، تحريفٌ. وصوابه: بالنون المكسورة كما ضبطها الجوهري بالحروف؛ وكما في اللسان (٢٦٠/١٤).

٤٨- طفس (٩٤١/٢)

والتَّفْسُ، بالتحريك: الوَسَخُ والدَّرْنُ. (الْوَسَخُ) بالخاء المفتوحة، تحريفٌ. والصواب: الوَسَخُ.

٤٩- مادة: كرس (٩٦٧/٢)

الكِرْسُ، بالكسر: الأَبْوَالُ والأَبْعَارُ يتلبَّد بعضها على بعض. يقال: أَكْرَسْتُ الدار. (أَكْرَسْتُ)، فيه تحريفٌ. وصوابه: أَكْرَسَتِ الدَّارُ، بسين مفتوحة وتاء تأنيث مكسورة للمناسبة. كما في اللسان (٦٦/١٢).

٥٠- مادة: نفس (٩٨٢/٢)

والتَّفَاسُ: ولأدُّ المرأة إذا وضعت، فهي تُفَسِّئُ ونسوةً نِفَاسٌ. (نِفَاسٌ) بالقاف تصحيفٌ. وصوابه: نِفَاسٌ، بالفاء، كما في اللسان (٢٣٧/١٤)، والمجمل، (٧٠٨).

٥١- مادة: وتش (١٠٢٤/٣)

الْوَتَشُ: القليلُ من كلِّ شيء، مثل الوَتَجِ. وإنَّه لمن وَتَشِهِمْ، أي من رُدْهِمْ. (وَتَشِهِمْ) بالنون، في هذه المادة، تصحيفٌ؛ وصوابه: وَتَشِهِمْ، بالتاء، كما في اللسان (٢٠٨/١٥)، والمجمل (٧٤٢).

٥٢- مادة: بصص (١٠٣٠/٣)

ويقال بَصَّصَ الْجُرُؤُ: فتح عينيه. (الْجُرُؤُ) بفتح الجيم، تحريفٌ. وصوابه: الجرؤُ، بكسر الجيم. كما في العين (١٧٥/٦)، واللسان (بصص، ٤٢١/١).

٥٣- مادة: خرخص (١٠٣٦/٣)

وَالْخُرْصُ وَالْخِرْصُ، بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: الْحَلَقَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؛ وَالْجَمْعُ الْخُرُصَانُ. (الْخُرُصَانُ)، فِيهِ تَحْرِيفٌ؛ وَصَوَابُهُ: الْخُرُصَانُ، بِتَسْكِينِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الصَّادِ. كما في الجوهرة (٥٨٥/١)، والمقاييس (١٦٩/٢)، والقاموس (٤٤٠/٢).

٥٤- مادة: دعمصص (١٠٤٠/٣)

الدُّعْمُوصُ: دُوْبِيَّةٌ تَعْوِصُ فِي الْمَاءِ، وَالْجَمْعُ الدَّعَامِصُ أَيْضًا. بعد كلمة (الجمع) سَقَطَ، بِدَلَالَةِ (أَيْضًا)؛ وَصَوَابُهُ: وَالْجَمْعُ الدَّعَامِصُ وَالدَّعَامِصُ أَيْضًا، كما في مخطوطة الترويح (الورقة/١٢٧)، وكما في اللسان (٣٥٨/٤).

٥٥- مادة: صيصص (١٠٤٤/٣)

وَالصَّيْصِيَّةُ: شَوْكَةُ الْحَائِكِ الَّتِي يُسَوِّي بِهَا السَّدَاةَ وَاللُّحْمَةَ...، وَمِنْهُ صَيَّصِيَّةُ الدِّيَكِ الَّتِي فِي رَجْلَيْهِ. وَ(صَيَّصِيَّةٌ) بِفَتْحِ الصَّادِ الْأُولَى، تَحْرِيفٌ. والصواب: كما قال الخليل (العين، ١٧٦/٧): «وَالصَّيْصِيَّةُ: مَا كَانَ حَصْنًا لِكُلِّ شَيْءٍ مِثْلَ صَيَّصِيَّةِ الثَّوْرِ وَهُوَ قَرْنُهُ، وَصَيَّصِيَّةُ الدِّيَكِ كَأَنَّهَا مِخْلَبٌ فِي سَاقِهِ».

٥٦- مادة: نشصص (١٠٥٨/٣)

نَشَّصَ يَنْشُصُ وَيَنْشِصُ نَشُوصًا: ارْتَفَعَ. (يَنْشُصُ)، بِالتَّاءِ تَصْحِيفٌ. وصوابه: يَنْشُصُ، بِالنُّونِ؛ كما في الجوهرة (٨٦٥/٢). واللسان (١٤٦/١٤).

٥٧- مادة: نكصص (١٠٦٠/٣)

النُّكُوصُ: الْإِحْجَامُ عَنِ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ: نَكَّصَ عَلَى عَقْبِيهِ يَنْكُصُ وَيَنْكِصُ، أَي رَجَعَ. (يَنْكُصُ) بِفَتْحِ الصَّادِ، تَحْرِيفٌ. وصوابه: يَنْكُصُ، بِضَمِّ الصَّادِ.

٥٨- مادة: غَضُض (١٠٩٥/٣)

ويقال: ما عليك في هذا الأمر غَضَاضَةً، أي ذِلَّةٌ ومنقصةٌ. (منقصةٌ) بتنوين النصب، تحريفٌ؛ وصوابه: منقصةٌ بتنوين الضم، كما يقتضي العطف.

٥٩- مادة: باب الطاء، فصل التاء (١١١٧/٣)

كُتِبَ مدخل الفصل (فصل التاء)، وصوابه: فصل التاء. وليس في الصحاح فصل التاء؛ إذ لم يَصِحَّ عند الجوهري لفظ يبدأ بالتاء وينتهي بالطاء.

٦٠- مادة: خَبَط (١١٢١/٣)

خَبَطَ البعيرُ الأرضَ بيده خَبْطًا: ضربها. ومنه قيل: خَبَطَ عَشْوَاءَ، وهي الناقة التي في بَصْرَها ضعفٌ. (بَصْرَها) بفتح الراء، تحريفٌ. وصوابه: بَصْرَها.

٦١- مادة: ورط (١١٦٦/٣)

الوَرْطَةُ: الهلاكُ...، والوَارِطُ: الخديعة والغشُّ. (الوَارِطُ) بواوٍ فألف، تحريفٌ. وصوابه: الوِرَاطُ: بواوٍ وراءِ فألف، زنة فِعَالٌ؛ كما في العين (٤٤٦/٧).

٦٢- مادة: رقع (١٢٢٢/٣)

ويقال: ما ارتَقَعْتُ له وما ارتَقَعْتُ به، أي ما اكَتَرْتُ له وما باليتُ به. (اكَتَرْتُ)، بثنائين، تصحيفٌ؛ وصوابه: اكَتَرْتُ، بثناء فتاء.

٦٣- مادة: شيع (١٢٤٠/٣)

وشَاعَهُ شِيَاعًا، أي تَبِعَهُ. (تَبِعَهُ)، بالتاء الساكنة، تحريفٌ؛ وصوابه: تَبِعَهُ، بالتاء المفتوحة. كما في اللسان (٢٦٠/٢)، والقاموس (٦٨/٣).

٦٤- مادة: صنع (١٢٤٦/٣)

ورجلٌ صَنِيعٌ اليدينِ وصَنِيعٌ اليدينِ أيضًا بكسر الصاد، أي صَانِعٌ حاذقٌ. (وصَنِيعٌ) بفتح الصاد، تحريفٌ صريحٌ لِمَا نصَّ عليه الجوهري، وصوابه: ورجلٌ صِنِيعٌ اليدينِ بالكسر وبالتحريك، وصَنِيعٌ اليدينِ.

٦٥- مادة: قمع (١٢٧٢/٣)

وَالْقَمْعَةُ أَيضًا: ذَبَابٌ يَرْكَبُ الْإِبِلَ وَالظَّبَاءَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ. (الحرّ) بفتح الراء المشدّدة، تحريف؛ وصوابه: الحرّ، بالضم على الفاعلية.

٦٦- مادة: هوع (١٣٠٩)

التَّهْوُوعُ: التَّهْيُؤُ. (التَّهْوُوعُ) بفتح العين، تحريف. وصوابه: التَّهْوُوعُ بالضم.

٦٧- مادة: لدغ (١٣٢٥/٤)

لَدَغَتْهُ الْعَقْرَبُ تَلَدَّعُهُ لَدَعًا وَتَلَدَاغًا، فَهُوَ مَلْدُوعٌ وَلَدِيغٌ. (مَلْدُوعٌ) بالعين المهملة، تصحيف. وصوابه: مَلْدُوعٌ، بالغين المعجمة. كما في العين (٣٩٣/٤).

٦٨- مادة: وزغ (١٣٢٨/٤)

ويقال: وَرَّغَ الْجَنْبِيُّ تَوَزَّيغًا، إِذَا صُوِّرَ فِي الْبَطْنِ. (وَرَّغَ) على البناء للفاعل، تحريف. وصوابه: وَرَّغَ، على البناء للمجهول. كما في اللسان (٢٨٨/١٥).

٦٩- مادة: أئف (١٣٣٠/٤)

كُتِبَ الْمَدْخَلُ: أَنْفٌ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَصَوَابُهُ: أَنْفٌ.

٧٠- مادة: رفف (١٣٦٦/٤)

وَالرَّفْرَفُ: ثِيَابٌ خُضِرَتْ تُتَّخَذُ مِنْهَا الْمَحَابِسُ. (تُتَّخَذُ) بالذال المفتوحة، تحريف؛ وصوابه: تُتَّخَذُ، بالذال المضمومة.

٧١- مادة: زحف (١٣٦٨/٤)

وَمَزَّاحِفُ الْحَيَّاتِ: مَوَاضِعٌ مَدَّجَهَا. (مَدَّجَهَا) بفتح الباء المشدّدة، تحريف. وصوابه: مَدَّجَهَا، بكسر الباء المشدّدة على الإضافة.

٧٣- مادة: سرف (١٣٧٣/٤)

وَالسَّرْفَةُ: دَوِيْبَةٌ تُتَّخَذُ لِنَفْسِهَا بَيْتًا مَرِيْعًا مِنْ دِقَاقِ الْعِيدَانِ. (دَوِيْبَةٌ) بالواو الساكنة، تحريف. وصوابه: دَوِيْبَةٌ، بالواو المفتوحة، على التصغير؛ كما في اللسان (دب، ٢٧٦/٤، وسرف، ٢٤٤/٦)، والقاموس (٢٢١/٣).

٧٤- مادة: سَقْف (١٣٧٥/٤)

السَّقْفُ: السماء. ويقال أيضاً: حَتَّى سَقْفٌ، أي طويلٌ مسترخٍ. (حَتَّى) بالألف المقصورة، تحريفٌ، وصوابه: حَتَّى، بالياء، كما في اللسان (٢٩٨/٦).

٧٥- مادة: صرف (١٣٨٥/٤)

وصَرِفٌ البَكْرَةُ: صَوْتُهَا. وكذلك صَرِفٌ نابٌ البعير. (نابٌ) بالضم، تحريفٌ، وصوابه: نابِ البعير، بالكسر، على الإضافة.

٧٦- مادة: عيف (١٤٠٨/٤)

والعَيْوْفُ من الإبل: الذي يشمُّ الماء فيدعُّه وهو عَطْشَان. (يشمُّ) بفتح الميم المشددة، تحريفٌ؛ وصوابه: يَشْمُ، بضم الميم المشددة؛ كما في العين (٢٦٠/٦).

٧٧- مادة: قحف (١٤١٣/٤)

القِحْفُ: العظمُ الذي فوق الدماغ. (الدماغُ) بفتح الغين المعجمة، تحريفٌ؛ وصوابه: فوق الدماغ، بكسر الغين، على الإضافة.

٧٨- مادة: قشف (١٤١٦/٤)

رجلٌ قَشِفٌ. وقد قَشِفَ، بالكسر قَشْفًا، إذا لَوَّحْتَهُ الشَّمْسُ أو الفجر فَتَعَيَّرَ. (بالكسر)، تصحيفٌ، وصوابه: بالكسر. وهو من تصحيفات الطباعة.

٧٩- مادة: قطف (١٤١٧/٤)

القُطْفِيَّةُ: دثارٌ مُحْمَلٌ،... ومنه القُطَائِفُ التي تُوَكَّلُ. (القُطَائِفُ) بفتح الفاء، تحريفٌ، وصوابه: القُطَائِفُ، بضم الفاء؛ كما في اللسان (٢٢٩/١١).

٨٠- مادة: كئف (١٤٢٠/٤)

الكُئْفَةُ: العِلْطُ. وقد كُئِفَ الشيءُ فهو كئيفٌ. (الشيءُ) بفتح الهمزة، تحريفٌ، وصوابه: الشيءُ، بضم الهمزة، على الفاعلية.

٨١- مادة: نَسَف (١٤٣١/٤)

وَنَسَفُ الطَّعَامِ: نَقَضُهُ. (نَقَضُهُ) بالقاف، تصحييفٌ. وصوابه: نَقَضُهُ، بالفاء؛ كما في مخطوطة الترويح (الورقة / ٣٦٢)، وكما في مختار الصحاح (٦٥٦): نَسَفَ الطَّعَامِ: نَقَضَهُ؛ واللسان (١٢٦/١٤)، وتاج العروس (نسف ٤٠١/٢٤).

٨٢- مادة: نَغَف (١٤٣٥/٤)

النَّغْفُ، بالتحريك والغين المعجمة: الدود الذي يكون فيه في أنوف الإبل والغنم. (فيه) زائدة، وصوابه: يكون في أنوف..؛ كما في مخطوطة الترويح (الورقة/٣٦٤)؛ وكما في اللسان عن الجوهري (١٤/٢٢٠).

٨٣- مادة: حَرَق (١٤٥٧/٤)

وسحَابٌ حَرِقٌ، أي شديد. (حَرِقٌ) بتنوين كسرٍ في الراء، تحريفٌ. وصوابه: حَرِقٌ، بكسرة واحدة.

٨٤- مادة: حَقَق (١٤٦٠/٤)

قولهم: حَقَّقْ لا آتِيكَ، هو يمينٌ للعرب يرفعونها بغير تنوين إذا جاءت بعد اللام، وإذا أزالوا عنها اللام قالوا: حَقًّا لا آتِيكَ. (حَقَّقٌ)، بتنوين القاف، تحريفٌ، ومخالفٌ لصريح قول الجوهري. وصوابه: حَقَّقٌ، بغير تنوين. كما في اللسان عن سيبويه (٢٥٥/٣).

٨٥- مادة: خَرَنَق (١٤٦٨/٤)

الخِرْنَقُ: الأرنب. وأَرْضٌ مُخْرَنْقَةٌ: ذات خِرَانِقٍ. (خِرَانِقٍ) بتنوين القاف، تحريفٌ. وصوابه: خِرَانِقٍ، بفتح القاف، كما في تاج العروس (٢٣٦/٢٥).

٨٦- مادة: خَلَق (١٤٧١/٤)

وفلانٌ خَلِيقٌ بكذا، أي جدير به. وقد خُلِقَ لذلك، بالضم؛ كأنه ممن يُقَدَّرُ فيه ذلك. (خُلِقَ) بكسر اللام، تحريفٌ، وصوابه: خَلِقَ، بالضم، كما صرَّح به الجوهري في ضبطه؛ وكما في اللسان (١٩٧/٤).

٨٧- مادة رمق (١٤٨٤/٤)

وَأَرْمَقُ الْأَمْرُ إِزْمَقًا، أَي ضَعْفَ. وَعَيْشٌ مُرْمَقٌ، أَي دُونَ. (مَرْمَقٌ)، بفتح الراء، تحريفٌ، وصوابه: مُرْمَقٌ، بالراء الساكنة، لأنه (مُفْعِل) من أَرْمَقَ.

٨٨- مادة: روق (١٤٨٥/٤)

ويقال: فعله في رُوقٍ شبايه ورُوقٍ شبايه ورُوقٍ شبايه، أي في أوله. ورُوقٌ كلُّ شيءٍ؛ أفضله. (رُوقٍ) بضم الراء، تحريفٌ؛ وصوابه: رُوقٍ، بفتح الراء وسكون الواو، كما في القاموس (٣٤٨/٣)، واللسان (٣٧٥/٥).

٨٩- مادة: رهق (١٤٨٦/٤)

ويقال: أَرْهَقَهُ طغيانًا، أي أغشاه إيَّاه. (أَرْهَقَهُ) بفتح هاء الضمير، تحريفٌ. وإخاله من أغلاط الطباعة، وصوابه: أَرْهَقَهُ، بالضم.

٩٠- مادة: سحق (١٤٩٤/٤)

سَحَقْتُ الشيءَ فانسَحَقَ، إذا سَكِهْتَهُ. (سَكِهْتَهُ) بكاف فهاء، فيه تقلص وتأخير؛ وصوابه: سَهَكْتَهُ، بقاء فكاف. كما في مخطوطة الترويح (ورقة/ ٣٨٠)، وكما في اللسان (١٦٤/٦).

٩١- مادة: سرق (١٤٩٦/٤)

والسَرَقُ: شَقَفُ الحرير. (شَقَفُ) بقاء ففاء، تصحيفٌ. وصوابه: شَقَقُ، بقاءين؛ كما في اللسان (٢٤٦/٦)، والقاموس (٣٥٦/٣)، والتاج (سرق، ٤٤٣/٢٥).

٩٢- مادة: سردق (١٤٩٦/٤)

السُرَادِقَاتِ التي تُمدُّ فوق صَحْنِ الدار. يقال: بيتٌ مُسَرْدَقٌ. (مُسَرْدَقٌ) بتسكين السين، تحريفٌ؛ وصوابه: مُسَرْدَقٌ، بفتح السين وتسكين الراء، لأنه اسم مفعول.

٩٣- مادة: لزق (١٥٤٩/٤)

لَزِقَ به لُزُوقًا وَالتَّرَقُّ به، أَي لَصِقَ به. (التَّرَقُّ) بتسكين الزاي، تحريفٌ، وصوابه: التَّرَقُّ، بفتح الزاي؛ كما في العين (٨٩/٥).

٩٤- مادة: لفق (١٥٥٠/٤)

واللَّفَقُ، بكسر اللام: أحدُ لِفَقِي المُلَاءَةِ. (المُلَاءَةُ) بكسر الهمزة، تحريفٌ، وصوابه: المُلَاءَةُ، بفتح الهمزة. جاء في اللسان (١٦٦/١٣).

٩٥- مادة: مطق (١٥٥٥/٤)

التَمَطَّقُ: التَدَوُّقُ. التَدَوُّقُ، بالذال تحريفٌ؛ وصوابه: التَدَوُّقُ، بالذال؛ كما في الجمهرة (٩٢٤/٢). وفي أساس البلاغة (٥٩٨).

٩٦- مادة: نشق (١٥٥٨/٤)

كُتِبَ المدخل نسق، بالسین المهملة، وإخاله من أغلاط الطباعة.

٩٧- مادة: ولق (١٥٦٨/٤)

كُتِبَ المدخل: ولعق، وصوابه: ولق، وإخاله من أغلاط الطباعة.

٩٨- مادة: حكك (١٥٨٠/٤)

والجِذْلُ المِحْكَكُ: الذي يُنْصَبُ فِي العَطَنَ لِتحتكَّ به الإِبِلُ الحَرْبِيُّ. (الحَرْبِيُّ) بالحاء، تصحيفٌ، وصوابه: الجَرْبِيُّ، بالجيم. كما في القاموس (٤٣٥/٣).

٩٩- مادة: زمك (١٥٨٩/٤)

الزِمَكِيُّ، مثل الزِمَجِيِّ، منبت ذنب الطائر. في الترجمة، تحريفان: الأول، عدم تشديد الكاف، خلافاً لما جاء في اللسان (٨١/٦) ونصُّه: والزِمَكِيُّ والزِمَجِيُّ: أصل ذنب الطائر. وثاني التحريفين، في قوله: منبت ذنب، بفتح الباء، خلافاً لما يقتضيه الإعراب. وصوابه بالجر على الإضافة.

١٠٠- مادة: علك (١٦٠٢/٤)

واعلنكك الشعر، أي اعلنكد واجتمع. (الشعر) بفتح الراء، تحريفٌ، وصوابه: الشعر، بالضم، على الفاعلية.

١٠١- مادة: عنك (١٦٠٢/٤)

عَنكَ اللَّبَنُ، أي خَثَرَ. (اللَّيِّنَ) بفتح النون، تحريفٌ، وصوابه: اللَّبَنُ، بضم النون، على الفاعلية، كما في المحمل (٤٨٨) واللسان (٤٣٦/٩)، والقاموس (٤٥٨/٣).

١٠٢- مادة: فكك (١٦٠٤/٤)

وفلانٌ يَتَفَكِّكُ، إذا لم يكن به تماسكٌ في حمقٍ. (في حمقٍ)، تحريفٌ على الظاهر، وصوابه: (من مُحَمِّقٍ) كما في اللسان (٣٠٧/١٠) والقاموس (٤٦١/٣).

١٠٣- مادة: ورك (١٦١٥/٤)

والوَارِكُ: التُّمْرِقَةُ التي تُلبَسُ مُقَدِّمَ الرَّحْلِ ثم تُشَى تحتَه يُزَيَّنُ بها. (الوَارِكُ) بواو فالف، تحريفٌ، وصوابه: الوِرَاكُ، كما في العين (٤٠٣/٥)، والمقاييس (١٠٣/٦).

١٠٤- جحفل (١٦٥٣/٤)

والجَحْفَلُ: الغليظُ الشفة، بزيادة النون. (الجَحْفَلُ) فيه تحريفٌ، وصوابه: الجحنفل، بالنون، كما في عبارة الضبط، وهو: زيادة النون.

١٠٥- مادة: جلل (١٦٦٠/٤)

جلَّ البعْرُ يَجْلُجُلُ جَلًّا، أي التقطه. (البعْرُ) بضم الراء، فيه تحريفٌ. وصوابه: البَعْرُ، بالفتحة، على المفعولية. كما في اللسان (٣٣٦/٢).

١٠٦- مادة: حزبل (١٦٦٨/٤)

الحَزْبَلُ: القصيرُ المُوْتَقُ الحَلْقِ. (المُوْتَقُ) بفتح القاف، تحريفٌ، وصوابه: المُوْتَقُ، بالضم؛ كما في اللسان (١٤٩/٣)، والقاموس (٥٢٣/٣).

١٠٧- مادة: حلل (١٦٧٤/٤)

وَحَلَّ لَكَ الشَّيْءُ يَحِلُّ جِلًّا وَحَلَالًا، وَهُوَ جِلٌّ بِلِّ أَي طَلَّقُ. (طَلَّقُ)، بضمه واحدة، تحريفٌ، وصوابه: طَلَّقُ، بتنوين الضم.

١٠٨- مادة: دخل (١٦٩٧/٤)

وَالدُّخَلُ: طَائِرٌ صَغِيرٌ، وَالْجَمْعُ الدَّخَالِيلُ. (الدخاليل)، تحريفٌ، وصوابه: الدخاخيل، كما في مخطوطة الترويح (ورقة/٤٣٢)، وكما في العين (٢٣١/٤).

١٠٩- مادة: رجل (١٧٠٥/٤)

تحت هذه المادة تحريفان، الأول: الأَرْجُلُ من الخيل: الذي في رِجْلَيْهِ بياضٌ. (الأَرْجُلُ) بفتح الراء، تحريفٌ، وصوابه: الأَرْجُلُ، بتسكين الراء؛ كما نقله ابن منظور عن الجوهري (لسان، ١٥٧/٥).

والثاني: والرِجْلُ: خلاف المرأة، والجمع رِجَالٌ ورِجَالَاتُ، وأَرَاجِلُ. (رِجَالَاتُ) بضمه واحدة، تحريفٌ، وصوابه: رِجَالَاتُ، بالتنوين.

١١٠- مادة: رعل (١٧١٠/٤)، وفيها تحريفان:

الأوَّلُ، في قوله: واسْتَرْعَلَتِ الغنمُ، أي تَتَابَعَتْ في السير. (تَتَابَعَتْ) بضم التاء، تحريفٌ، وصوابه: تَتَابَعَتْ، بتسكين التاء؛ لأنها تاء التأنيث.

١١١- مادة: رعبل (١٧١٠/٤)

يقال: جاء القوم في رعايبِلُ، أي في أطمار وأقلاق. (رعايبِلُ) بضم اللام، تحريفٌ؛ وصوابه: رعايبِلُ، باللام المفتوحة؛ كما يقتضيه السياق، وكما في اللسان (٢٤١/٥).

١١٢- مادة: زجل (١٧١٥/٤)، في هذه المادة تحريفان:

الأوَّلُ في قوله: والزَّاجِلُ: عودٌ يكون في طرف الحبل يُشَدُّ به الوطْبُ؛ وجهها زَوَاجِلُ. (يُشَدُّ) بفتح الدال المشددة، تحريفٌ، وصوابه: يُشَدُّ، بضم الدال المشددة. والثاني في كلمة: (جهما) والصواب: جمعها. كما في اللسان (٢٢/٦)، والقاموس (٥٦٩/٣).

١١٣- مادة: شلل (١٧٣٧/٥)

والشَّلَكُ: فسادٌ في اليد. شَلَّتْ يمينه تَشَلُّ بالفتح، وأشَلَّها الله. (شَلَّتْ) بكسر اللام المشدَّدة، تحريفٌ؛ وصوابه: شَلَّتْ، بفتح وتشديد، كما في اللسان (١٨٢/٧).

١١٤ - مادة: طلل (١٧٥٢/٥)

أَطْلُ دَمُهُ، وَطَلَّ اللهُ وَأَطَّلَهُ: أهدره. (أَطْلُ) بضم اللام المشدَّدة، تحريفٌ؛ وصوابه: أَطْلُ، بفتح اللام المشدَّدة، كما في اللسان (١٩٢/٨).

١١٥ - مادة: عبل (١٧٥٧/٥)

وَعَبَلْتُ الشجرةَ أَعْبَلُها عِبْلاً، إِذَا حَتَّتْ وَرَقَهَا. (حَتَّتْ) بتسكين التاء، تحريفٌ؛ والصواب: حَتَّتْ، بفتح التاء، كما يقتضيه السياق، وكما في الترويح (الورقة/٢١٥).

١١٦ - مادة: عفل (١٧٦٩/٥)

... وحياءِ الناقةِ شبيبةً بالأدرة. (شبيبةً) صوابه: شبيبةٌ كما في العين (١٤٥/٢)، واللسان (٢٩٢/٩)، والقاموس (٢٦/٤).

١١٧ - مادة: قبل (١٧٩٦/٥)، وفيها تحريفان:

الأوَّل: والقَبَلُ...: فَحَجَّ، وهو أن يتداني صدر القدمين ويتباعد عَقِبَاهُما. (القَبَلُ) بفتح اللام، تحريفٌ وصوابه: القَبَلُ، بضم اللام؛ كما في اللسان (٢٣/١١).
الثاني: واقْتَبَلَ أمرُهُ، أي اسْتَأْنَفَهُ. (أمرُهُ) بضم الراء، تحريفٌ، وصوابه: أمرُهُ، بالفتح، على المفعولية. كما في اللسان (٢٥/١١)، والقاموس (٤٧/٤).

١١٨ - مادة: قحل (١٨٠٠/٥)

والقُحَالُ: داءٌ يصيبُ الغنمَ فتجفُّ جلودُها. (الغنم) بكسر الميم، تحريفٌ، وصوابه: الغنم. وإخاله من أغلاط الطباعة، لم ينتبه إليه المصحِّحون.

١١٩ - مادة: ققل (١٨٠٣/٥)

كُتِبَ المدخل ققل، وصوابه: ققل، بقافين، وإخاله من أغلاط الطباعة.

١٢٠ - مادة: مقل (١٨٢٠/٥)

والمُعْلَةُ، بالفتح: حصاة القسَم التي تُلقَى في الماء لِيُعْرَفَ قَدْرُ ما يُسْقَى كُلُّ واحد منهم.
(لِيُعْرَفَ)، بضم الفاء تحريفٌ، وصوابه: لِيُعْرَفَ، بالفتح، كما في التاج (١٦/٤١٥).

١٢١- مادة: هزبل (١٨٥٠/٥)

كُتِبَ المدخل هذبل، وصوابه: هزبل، وإخاله من أغلاط الطباعة؛ إذ ليس مثل هذا اللفظ (هذبل) في مصادر الصحاح، كالعين، والتهديب، والجمهرة، ولا في الكتب التي أخذت من الصحاح، كاللسان، ومختار الصحاح.

١٢٢- مادة: أمم (١٨٦٤/٥)

والأُمَّة: القيامة. (القيامة) تحريفٌ، وصوابه: القامة؛ كما في اللسان (١/٢١٦)، والقاموس (٤/١٠٣)، والمجمل (٤٠).

١٢٣- مادة: ثمم (١٨٨١/٥)، وفيها تحريفٌ وتصحيفٌ:

التحريفُ في عبارة: وَثَمَّتِ الشَّاةُ النَّبْتُ بفيها، أي قلعته؛ فهي شاةٌ ثَموم. (النبتُ) بضم التاء، تحريفٌ، وصوابه: النَّبْتُ، بالنصب، على المفعولية.
والتصحيفُ في عبارة: وَثَمَّمْتُ الشيء: جمعته. (ثَمَّمْتُ) بالثاء المثناة في الآخر، تصحيفٌ؛ وصوابه: ثَمَّمْتُ، بالتاء. كما في الجمهرة (١/٨٤).

١٢٤- مادة: جدم (١٨٨٤/٥)، وفيها تحريفان:

الأوَّلُ في عبارة: وَأَجْدَمُ البعير في سيره، أي أسرع. (أَجْدَمُ) بضم الميم، تحريفٌ، وصوابه: أَجْدَمُ، بفتح الميم، كما يقتضيه الفعل الماضي.

١٢٥- مادة: جرم (١٨٨٥/٥)

وَجَرَمَتِ السنونُ، أي انقضت. (السنونُ) بفتح النون، تحريفٌ، وصوابه: السنونُ، بالضم على الفاعلية.^(١٥)

١٢٦- مادة: جزم (١٨٨٧/٥)

(١٥) هذا سهو من الكاتب، إذ «السنونُ» يُرفع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. (المجلة).

والجُرْمُ: شيءٌ يَدْخُلُ في حياءِ الناقَةِ لِتَحْسِبَهُ وَلَدَهَا فَتَرَأَمَهُ. (يَدْخُلُ) على البناء للفاعل، تحريفٌ، وصوابه: يُدْخَلُ، على البناء للمفعول، كما في اللسان (٢٧٧/٢).

١٢٧- مادة: حرم (١٨٩٧/٥)

وَحَرْمُ الشَّيْءِ، بِالضَّمِّ حُرْمَةً. (حَرْمٌ) بفتح الراء وضم الميم، تحريفٌ، وصوابه: حَرْمٌ، بضم الراء وفتح الميم، على وَزْنِ فَعْلٍ؛ كما في اللسان (١٣٦/٣).

١٢٨- مادة: زمم (١٩٤٤/٥)

الرَّمَامُ: الخَيْطُ الَّذِي يُشَدُّ فِي البُرَّةِ.. (الخَيْطُ) بفتح الطاء، تحريفٌ، وصوابه: الخَيْطُ. كما يقتضيه تركيب الجملة، وكما في المصباح المنير (١٤٠).

١٢٩- مادة: شمم (١٩٦٢/٥)

وَقَتَّبَ شَيْئًا، أَي مَرْتَفَعًا. (قَتَّبَ) بالفاء، تصحيفٌ، وصوابه: قَتَّبَ، بالقاف، كما في اللسان (٢٠٦/٧)، الجمهرة (قتب، ٢٥٥/١).

١٣٠- مادة: غذم (١٩٩٥/٥)

كُتِبَ المدخل: غدم، بالبدال المهملة، وصوابه: غذم، بالذال المعجمة؛ إذ ليس في الصحاح مدخل بهذا اللفظ.

١٣١- مادة: قدم (٢٠٠٨/٥)

وَقِيدُوهُمُ الجبل: أَنفٌ يَتَقَدَّمُ مِنْهُ. (قِيدُوهُمُ) بفتح الياء، تحريفٌ، وصوابه: قِيدُوهُمُ، بتسكين الياء؛ كما في المقاييس (٦٦/٥)، وفي اللسان (٦٥/١١).

١٣٢- مادة: كمم (٢٠٢٤/٥)

وَكُمُّ الفَسِيلُ أَيضًا، إِذَا أَشْفَقَ عَلَيْهِ فَسِتَرَ حَتَّى يَقْوَى. (كُمُّ) بضم الميم المشددة، تحريفٌ، وصوابه: كُمُّ، بفتح الميم؛ كما في القاموس (٢٤٤/٤)، والمجمل (٦٠٦).

١٣٣- مادة: كم (٢٠٢٥/٥)

وتقول إذا أخبرت: كمّ درهمٍ أنفقت! تريدُ الكثير، وخفضت ما بعده كما تخفض برُبِّ؛ لأنّه نقيض رُبِّ في التقليل. (رُبِّ) بكسر الباء المشدّدة، تحريفٌ، وصوابه: رُبٌّ. كما في اللسان (١٦٠/١٢) والقاموس (٢٤٤/٤).^(١٦)

١٣٤- مادة: ندم (٢٠٤٠/٥)

كُتِبَ المدخل تدم، بالتاء، وصوابه: ندم، بالنون، وليس في الصحاح مدخل بهذا اللفظ، وإخاله من أغلاط الطباعة.

١٣٥- مادة: نعم (٢٠٤٤/٥)

ويقال نُعِمَ عَيْنٌ، ونِعَامَ عَيْنٌ، ونِعَامَةٌ عَيْنٌ، ونُعْمَةٌ عَيْنٌ، ونُعْمَى عَيْنٌ، كُلُّهُ بِمَعْنَى. أَي أَفْعَلُ ذَلِكَ كِرَامَةً لَكَ، وَإِنْعَامًا لِعَيْنِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ. (أَفْعَلُ) بِتَسْكِينِ اللَّامِ، تَحْرِيفٌ، وَصَوَابُهُ: (أَفْعَلُ) بِضَمِّ اللَّامِ. وَنَصَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ اللِّسَانِ (٢٠٩/١٤)، وَالْقَامُوسُ (٢٥٧/٤).

١٣٦- مادة: يوم (٢٠٦٥/٥)

وربّما عَيَّرُوا عَنِ الشَّدَّةِ بِالْيَوْمِ. (عَيَّرُوا) بِالْيَاءِ، تَصْحِيفٌ؛ وَصَوَابُهُ: عَيَّرُوا، بِالْبَاءِ؛ كَمَا فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ (٧٤٥) وَاللِّسَانِ (٤٦٧/١٥).

١٣٧- مادة: فصل الذال (٢١١٩/٥)

سقط عنوان (فصل الذال) من الطبعات الأربع، ومحله قبل مادة: (ذأن).

١٣٨- مادة: سخن (٢١٣٤/٥)، وفيها تحريفٌ وتصحيفٌ، وإخالهما من

أغلاط الطباعة:

الأوّل في عبارة: وسُخِنَتِ العَيْنُ: نَقِيضُ قُرْبَاهَا. (سُخِنَتِ) بِفَتْحِ تَاءِ التَّأْنِيثِ، تَحْرِيفٌ؛ إِذْ لَا مُوجِبَ لَهُ، وَلَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْجُمْلَةِ، وَالصَّوَابُ: سُخِنَتِ، بِالضَّمِّ. أَمَّا

(١٦) (رُبِّ)، مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْفَتْحِ. يُنْظَرُ: الْأَرْهِيَةُ لِلْهَرَوِيِّ (٢٥٩)، وَرِصْفُ الْمَبَانِي لِلْمَالِقِيِّ، (بَابِ

التصحييف، ففي عبارة: والسَخِينَةُ: طعام يتَّخذ من دقيق دون العصيدة في الرقة وقوق الحساء. (قوق) بقافين، تصحييفٌ، وصوابه: فوق؛ كما نصَّ عليه صاحب اللسان (٢٠٧/٦) والقاموس (٣٣٢/٤).

١٣٩- مادة: لغن (٢١٩٦/٦)

وبعض بني تميم يقول: لَعَنَّكَ، بمعنى لَعَلَّكَ. (لَعَنَّكَ)، بالعين المهملة، تحريفٌ. وصوابه: لَعَنَّكَ، بالغين المعجمة؛ كما في ترويح الأرواح (الورقة/٥٢٥)، وكما في اللسان (٢٩٩/١٢). ونصَّ عليه القاموس (٣٧٩/٤).

١٤٠- مادة: هتن (٢٢١٦/٦)

كُتِبَ المدخل هتن، بنونين، وصوابه: هتن، بنون واحدة في الأخير، وهتن تأتي في فصل الهاء من باب النون.

١٤١- مادة: عضه (٢٢٤١/٦)

والعَضِيهَةُ: البَهِتَةُ، وهي الإفْكُ والبُهْتَانُ. (والعَضِيهَةُ) بفتح تاء التأنيث، تحريفٌ، وصوابه: العَضِيهَةُ، بضم التاء، كما في اللسان (٢٦٢/٩).

١٤٢- مادة: فصل الهاء (٢٢٥٨/٦)

كُتِبَ فصل الواو، وصوابه: فصل الهاء. أمَّا فصل الواو فقد مرَّ قبل هذا المحل (٢٢٥٤/٦). وإخاله من أغلاط الطباعة.

١٤٣- مادة: حسي (٢٣١٣/٦)

والحِسِيُّ بالكسر ما تَنَشَّفُهُ الأرضُ من الرمل. (تَنَشَّفُهُ) بفتح التاء، والشين المشددة، تحريفٌ. وصوابه: تُنَشَّفُهُ، بضم التاء، وكسر الشين المشددة؛ كما نصَّ عليه ابن منظور نقلاً عن الجوهرى (لسان، ١٨٣/٣).

١٤٤- مادة: حمي (٢٣١٩/٦)، وفيها تحريفان:

الأوّل في عبارة: وأصل حَمٍ حَمَّوْ، بالتحريك؛ لأنّ جمعه أحماءٌ، مثل آباء. (حَمَّوْ) بتسكين الميم، تحريفٌ، وصوابه: حَمَّوْ، بفتح الميم، كما ضَبَطَهُ الجوهري. وأمّا الثاني ففي عبارة: قال الفراء: إذا لَفَحَ وَلَدٌ وَلَدَهُ فقد حَمَى ظهره. (وَلَدَهُ) بفتح الدال، تحريفٌ، لموقعه من الإضافة؛ وصوابه: وَلَدِهِ.

١٤٥ - مادة: حيا (٢٣٢٣/٦)

وأحياءُ الله فَحِييَ وَحِييَ أيضاً، والإدغام أكثر؛ لأنّ الحركة لازمة. (أكثر) بفتح الراء، تحريفٌ، وصوابه: أكثرٌ، بضم الراء، كما في مختار الصحاح (١٦٦).

١٤٦ - مادة: دبي (٣٣٣٤/٦)

والدُبَّاءُ، على وزن المُكَّاءِ: القَرْعُ، والواحدة دُبَّاءَةٌ. (دُبَّاءَةٌ) بضم الهمزة، تحريفٌ؛ وصوابه: دُبَّاءَةٌ، بفتح الهمزة؛ كما في مختار الصحاح (١٩٨).

١٤٧ - مادة: شكا (٣٣٩٤/٦)

شَكَّوْتُ فلاناً أَشَكَّوهُ شَكَّوِي ... (شَكَّوِي)، بفتح الكاف في هذا المصدر، تحريفٌ؛ وصوابه: شَكَّوِي، بتسكين الكاف؛ كما في اللسان (١٨٠/٧).

١٤٨ - مادة: عسا (٢٤٢٥/٦)

وقال أبو عبيد: العاسي: شِمْرَاخ النخل، والعَسَاءُ مقصورٌ: البلُحُ. (العساء) بالمد، تحريفٌ، وهو خلاف ما نصَّ عليه الجوهري في عبارة الضبط. وصوابه: العساء، بالقصر، كما قال الجوهري، ونقله ابن منظور (لسان/٩/٢١٣).

١٤٩ - مادة: علا (٢٤٣٦/٦)

والعَلَاءُ والعَلَاءُ: الرِّفْعَةُ والشرف، وكذلك المِغْلَاءُ، والجمع المعالي. (العَلَاءُ والعَلَاءُ)، فيه تحريفٌ؛ والصواب: العَلَاءُ والعَلَاءُ. كما في مختار الصحاح (٤٥٢).

١٥٠- مادة: قلا (٦/٢٤٦٧)

والقَلْوِي: الطائر الذي يرتفع في طيرانه. وقد اقلَوَى، أي ارتفع. (القَلْوِي) بكسر اللام الأخيرة، تحريفٌ، وصوابه: القَلْوَى، بفتح اللامين، كما في اللسان (١١/٢٩٥)، والقاموس (٤/٥٥٠).

المصادر والمراجع

- ١- أخبار المصحِّفين، تأليف الحافظ أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق صبحي البديري السامرائي، عالم الكتب، ط١، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٢- إصلاح المنطق، ابن السكِّيت، تحقيق: أحمد شاکر وعبد السلام هارون، طبع دار المعارف بمصر، د.ت.
- ٣- الإفصاح في فقه اللغة، تأليف عبد الفتاح الصعيدي، وحسين يوسف موسى، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٤- البارع في اللغة، لأبي علي القالي البغدادي، المتوفى سنة ٣٥٦هـ، تحقيق هاشم الطعان، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
- ٥- البحث الأدبي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢، د.ت.
- ٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) تحقيق: عبدالستار فراج وآخرين، دار الهداية، الكويت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ٧- تاريخ علماء المستنصرية، الدكتور ناجي معروف، طبعة دار الشعب، ط٣، د.ت.
- ٨- تنقيف اللسان وتنقيح الجنان، ابن مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ - ١١٠٧م) تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٩- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، دار النهضة العربية، ط١، بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٠- تطور المعجم العربي، الدكتورة حكمت كشلي، دار المنهل اللبناني، ط١، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١١- تهذيب الصحاح، تأليف أبي المناقب، شهاب الدين محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني، تحقيق: عبد الغفور عطار، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، د. ت. «وهو تنقيح الصحاح المطبوع باسم تهذيب الصحاح.»

- ١٢- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، القاهرة ١٣٦٧هـ-١٩٦٤م.
- ١٣- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت ١٩٨٧م.
- ١٤- الخصائص، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، حققه محمد علي النجّار، دار الهداية، ط٢، بيروت، د.ت.
- ١٥- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه الأستاذ علي خريس، منشورات الأعلمي، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ١٦- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي ت ٧٠٢هـ، تحقيق أحمد محمد الحزّاط، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
- ١٧- الروضة المختارة: القصائد الهاشميات، والقصائد العلويات، للكلميت بن زيد الأسدي، وابن أبي الحديد المعتزلي، منشورات الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- ١٨- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
- ١٩- العين، للخليل الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مصورة دار المحجرة، إيران، قم ١٤٠٥هـ.
- ٢٠- قاموس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢١- القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ٧٢٩-٨١٧هـ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩١م-١٤١٢هـ.
- ٢٢- كتاب الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد النحوي الهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٢٣- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق علي شيري دار إحياء التراث، ط١، بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٢٤- مجمع الأمثال للميداني: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ٢٥- مجمع البحرين ومطلع النيرين، فخر الدين الطريحي، (١٠٨٥هـ)، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، قم، إيران، ١٤٠٨هـ.
- ٢٦- مجمل اللغة، تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت ٣٩٥هـ) تحقيق الشيخ شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٧- المحيط في اللغة، لابن عبّاد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط/١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٨- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦هـ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٢٩- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ت.
- ٣٠- المعجم اللغوية، الدكتور إبراهيم محمد نجا، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٤، ١٣٣٩هـ - ١٩٧٤م.
- ٣١- المعجم العربي نشأته وتطوره، الدكتور حسين نصّار، القاهرة، مكتبة مصر، ط٢، ١٩٦٨م.
- ٣٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبع البايي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٦م.
- ٣٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - القاهرة، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وزملاؤه، بإشراف عبد السلام هارون، مصورة المكتبة العلمية، طهران، د.ت.
- ٣٤- مقدمة الصحاح، بقلم عبد الغفور عطّار، دار الكتاب العربي، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٣٥- المنقوص والممدود، للفراء، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف، مصر - القاهرة، ط ٣، د.ت.

مراحل ظهور المعجم العربي المختص

أ. محمد الفجر(*)

مع ظهور الإسلام واتساع رقعة البلاد والانفتاح العلمي على حضارات الأمم السابقة لأمة الإسلام، نشأت علومٌ متنوعةٌ في مجالات عديدة، وكان لهذه العلوم أثرٌ في اللغة العربية، أدى إلى حمل ألفاظها مفاهيم جديدة. ونتيجة لتعدد العلوم بدأت طريقة جديدة في التأليف تتناسب هي و النقلة الحضارية للأمم، تمثّلت في تناول ألفاظ العلوم الجديدة مع شرح لها، وكانت هذه الألفاظ هي المصطلحات التي صارت مندرجة في حقلٍ علميٍّ محدد، وصار كل من يريد أن يدخل في مضمار هذه الحقول العلمية بحاجة إلى فهم مصطلحاتها، التي تمثل مفاتيح العلم المراد تحصيله .

وسط هذه النهضة العلمية والانفتاح الحضاري، اتسعت الترجمة وزاد الاتصال بعلوم الأمم السابقة، فترجم الكثير من علومها إلى اللغة العربية، وكان من بين الترجمات ترجمة مصطلحات العلوم وشرح المدلول الذي كانت تحمله؛ حتى يتمكن العرب من ولوج هذه العلوم. ويشير العلماء إلى أن خالد بن يزيد الأموي كان من أوائل الذين بدؤوا بإدخال كتب جديدة إلى العربية، وأنه قد بدأ بعلم الكيمياء^(١)، ولكنَّ أهمَّ الترجمات التي

(*) عضو الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية.

(١) انظر: د. عائشة عبد الرحمن، لغتنا والحياة، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، د.ت، ص ٧٤.

دخلت إلى اللغة العربية في مجال المصطلحية كانت ترجمة مصطلحات معجمين مختصين في حقل الطب هما: (المقالات الخمس، ويسمى كتاب الحشائش) لدياسقريدس^(٢) ترجمه اصطفن بن بسيل^(٣)، وكتاب (الأدوية المفردة) لجالينوس^(٤)، وقام بترجمته حنين بن إسحاق (١٩٤ هـ / ٨١٠ م)^(٥)، وقد عُدَّ هذان المعجمان أولَ مُعْجَمَيْنِ مَحْتَصَيْنِ عرفتهما اللغة العربية، لكنهما ليسا من إنتاج البيئة العربية وإنما من

(٢) دياسقريدس من أهل عين زَرْبَى شامي يوناني، حشائشي كان بعد بقرات، وترجم من كتب بقرات الكثير، وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب وهو العلم في العقاقير المفردة، انظر: ابن جُلْجُل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥ م، ص ٢١.

(٣) اصطفن القديم: نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها، انظر: ابن النديم، الفهرست، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٦ م، ج ١/٢٤٤، والفنوجي، أجد العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨ م، ج ٢/٢٥٤. ولم أفد على معلومات موسعة عن هذا العالم في كتب التراجم.

(٤) جالينوس: من أهل مدينة بُرْعُمُش وهي في بلاد آسيا إلى الشرق من قسطنطينية ولد نحو ١٣٠ م، وتوفي قُرابة ٢٠٠ م له في الطب ستة عشر ديوانًا، انظر: ابن جُلْجُل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥، ص ٤١-٤٢، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، بيروت، دار الفكر، ١٣٧٦/١٩٥٦ م، ج ١/١٠٩.

(٥) حُنين بن إسحاق أبو يزيد العبادي طبيب مؤرخ و مترجم، من أهل الحيرة في العراق، ولد ١٩٤ هـ / ٨١٠ م، أقام مدة في البصرة وكان شيخه في العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي، أخذ الطب في بغداد عن يوحنا بن ماسويه تمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية. جعله المأمون رئيسًا لديوان الترجمة لخص كثيرًا من كتب أبقراط وجالينوس. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الفكر، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م، ص ١٣٩. والزركلي، الأعلام ج ٢/٣٢٥.

إنتاج اليونان^(٦). وكان ظهور هذين المعجمين في القرن الثالث الهجري. هذا الظهور المتأخر للمعجم المختص يشير إلى أن المعجم المختص كان تالياً لظهور المعجم العام؛ إذ إنَّ أوَّلَ معجم عام كان قبل القرن الرابع الهجري - الذي يُعدُّ الحقبة الزمنية التي ظهر فيها المعجم المختص العربي - وهو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ/٧٩١م). ويُعلَّل هذا التأخر في ظهور المعجم المختص بأن المجالات العلمية، لم تكن متسعة الاتساع الذي وصلت إليه في القرن الرابع الهجري؛ ولهذا يرى الدكتور حسين نصار أن آخر الظواهر اللغوية التي بدأ العلماء بتسجيلها، هي ظاهرة التدوين العلمي - كانت في أواخر العصر الأموي و أوائل العصر العباسي - وقد توافقت مع وضع أسس معظم العلوم العربية، نقليةً: كعلوم القرآن، والحديث، والفقه، والأصول، والنحو، وعقليةً: كالرياضة، والمنطق، والفلسفة^(٧).

والذي يُلاحظ أن المؤلفات العلمية التي ظهرت في بداية الاحتكاك بمحضرات الأمم السابقة لظهور الأمة العربية الإسلامية، اقتصرت على حقل علمي واحد، كما رأينا في المعجمين اللذين ترجما إلى العربية (الحشائش، والأدوية المفردة)، أما المعجم العلمي المختص بمصطلحات حقول علمية متعددة، فيُعدُّ إحصاء العلوم للفارابي الذي ظهر في القرن الرابع الهجري، ووزعه وفق الحقول العلمية المتعددة، المعجم الرائد الذي تحققت فيه أغلب الشروط التي ينبغي توفرها في المعجم المختص بحقول علمية متعددة.

(٦) د. إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١،

١٩٩٣م، ص 32 .

(٧) د. حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،

ج ١/ ٣٣، وانظر د. علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، بيروت، مكتبة لبنان،

ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٢٤.

ولكن العمل المعجمي لم يصل إلى هذا الشكل الذي وصل إليه في القرن الرابع الهجري، إلا بعد مراحل ممهدة كانت قاعدةً استند إليها مصنفو المعاجم المختصة. وإذا صحّت نسبة كتاب غريب القرآن لابن عباس - رضي الله عنهما - (٣ق. هـ - ٦٨٠هـ/٦١١-٦٨٧م)^(٨) فيُعد أولى الحركات العلمية اللغوية التي عرفها العرب^(٩). كان الغرض من كتاب ابن عباس تفسير ما جدّ من مفاهيم حملتها كلمات وردت في القرآن الكريم، وتلاه بعد ذلك الرسائل اللغوية، ثم معاجم موضوعاتية جمعت أغلب المواضيع التي كان يفرد لها رسالة مستقلة. إن هذه الأعمال اللغوية تعد الإرهاص الأول لتصنيف المعاجم المتخصصة.

ويدعم هذا القول التوافق إلى حدّ ما بين طريقة الترتيب السابق للأعمال، وطريقة ترتيب وتصنيف عددٍ من المعاجم المتخصصة المتعددة الحقول مثل: «إحصاء العلوم» للفارابي، و«مفاتيح العلوم» للخوارزمي اللذين اتبعا طريقة ترتيب المصطلحات وفق الحقول، أي بشكل يتشابه إلى حدّ ما، هو وطريقة توزيع ألفاظ الرسائل اللغوية. فلو نظرنا إلى طريقة توزيع بعض الرسائل لوجدنا أنها تقوم على أساس موضوع مفرد يجمع ما يتعلق به من كلمات. ومعجم الفارابي والخوارزمي يقومان على جمع موضوعات علمية (حقول علمية) وما يتعلق بها من مصطلحات، فأساس تصنيفهما هو الموضوع، ولكن الذي اختلف هو دقة التصنيف، والمادة التي احتواها كلٌّ من المعجمين السابقين. فإذا كانت الرسائل اللغوية، وما تلاها من معاجم موضوعات، قد جمعت مواضيع عامة، فإن المعاجم المختصة قد حصرت مادتها بحقول علمية محددة.

(٨) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد بمكة ٣ ق.هـ/٦١١م. وكُفّ بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي فيها ٦٨٠هـ/٦٨٧م. له في الصحيحين ١٦٦٠ حديثاً، وينسب إليه كتاب (غريب القرآن). انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٤/٢٢٨-٢٢٩.

(٩) انظر: د. حسين نصار، المعجم العربي، ج ١/٣٢.

إنَّ تأثر المتأخر بالسابق ظاهرة عامة كما قال: الدكتور أبو الفرج : «هناك ظاهرةً عامةً واضحةً في المعاجم العربية ... هي أن المتأخرين اعتمدوا على السابقين لهم عامةً إلى حدٍ بعيد، و مع ذلك كان هناك تميّزٌ في المعاجم»^(١٠).

وقد أقر بهذا التأثير العلماء الذين مثلوا طرقاً متعددة في التأليف المعجمي، وخير مثال على ذلك ابن دريد صاحب الجمهرة؛ فقد أقر بأسبقية الخليل وتبعية من جاء بعده له بقوله: «وكل من بعده له تَبَعٌ، أقرّ بذلك أم جحد»^(١١).

ونحن لا نستطيع تَعَرُّف أفكارٍ أيّ مفكر من المفكرين، إلا من الاطلاع على مدى التأثير بالسابقين، والتأثير في اللاحقين؛ إذ إننا نقول: إنَّ من لم يقرأ إلا أفلاطون، لا يفهم أفلاطون^(١٢).

هذا التدرج في استواء هذا الفن من فنون التصنيف يتفق مع النظريات التي ترى التدرج في نشأة اللغة؛ فكما أن اللغة قد تدرجت على مراحل حتى استوت على الصورة التي يتعارفها متكلموها اليوم، فكذلك كلُّ علمٍ يمر بمراحل تكوينية؛ حتى يستوي على سوقه ويصبح حقلاً قائماً بذاته له مصطلحاته وقواعده ومناهجه التي تميزه عن غيره، وهكذا كان التدرج في نشوء المعجم المختص، حيث بدأ بتفسير غريب القرآن، ثم بجمع الألفاظ المحيطة بالبيئة التي كان يعيش فيها اللغويون، ثم بجمع ألفاظٍ ظهرت مع تطور الحياة. وقد جُمِعَت معاجم الموضوعات، ثم المرحلة الأخيرة وهي تصنيف المعاجم الموزَّعة للمصطلحات بحسب العلم الذي يمثلها.

(١٠) د. محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦، ص ٢٧.

(١١) جلال الدين السيوطي، المزهري، شرح محمد جاد المولى وآخرين، بيروت المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج ١/ ٩٢، وانظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، بيروت، دار صادر، د.ت، ج ٣/١.

(١٢) انظر: تصدير د. عاطف لكتاب فلسفة اللغة عند الفارابي، د. زينب عفيفي، القاهرة، دار

المرحلة الأولى (غريب القرآن):

تمثل المرحلة الأولى إرهاصاتٍ لظهور معجم جامع في اللغة العربية بشكليه العام والمختص؛ ولهذا يرى العلماء أن جميع مظاهر المعجم العربي التاريخية من رسائل مفردة، وغريب مصنف، ودلائل إعجاز، ومعاجم مختصة أو عامة قد وضعت في أول أمرها تفسيراً وتأويلاً لآيات القرآن الكريم ومعانيه ومجازاته^(١٣). وينسب أول عمل في حقل التفسير إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وهو (غريب القرآن):

يعد هذا الكتاب بداية لتفسير الكلمات ذات المفهوم الجديد التي جاءت مع نزول القرآن الكريم، ومع بدء الناس بالسؤال عن تفسير بعض الكلمات الغريبة التي كانوا يجدونها في كتاب الله تعالى؛ إذ إن القرآن الكريم كان فيه كلمات غير موجودة في لسان قريش، وإنما في لهجات أخرى، ولم يكن كل الناس يفهمون هذه الكلمات^(١٤). يقوم منهج الكتاب على ذكر اسم السورة، ثم يشرح بعض الكلمات مبيناً أصلها واللهجة التي تستعمل هذه الكلمات. وأول سورة ابتداءً بها الكتاب هي سورة البقرة. ومن الأمثلة على ذلك، ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ...﴾ [البقرة: ١٣]. قال: «والسفيه الجاهل، بلغة كِنَانة»^(١٥). ومن سورة آل عمران قول الله تعالى: ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: ١١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعني كأشباه آل فرعون بلغة جُرْهُم»^(١٦). هذا هو منهج ابن عباس في

(١٣) د. محمد رشاد حمزاوي، المعجم العربي، ص ٧٨.

(١٤) انظر: عبد الله بن عباس، غريب القرآن، تحقيق د. أحمد بولوط، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط ١، ١٣/١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٣٣، والمعجم العربي نشأته وتطوره، ج ١، ص ٣٣.

(١٥) غريب القرآن، ص ٣٨.

(١٦) نفسه ص ٤٠.

هذا الكتاب الذي نسب إليه، فهو يقوم على اختيار بعض الكلمات من بعض السور وتوضيح معناها، ثم ذكر اللسان الذي يستعملها للدلالة على المعنى الذي نزلت به الآية الكريمة.

ثم تتالت المؤلفات التي كتبت في غريب القرآن ومن الذين ذكرت أسماءهم بعد ابن عباس في تأليف كتب غريب القرآن: أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (١٣٨- ٢٠٢هـ/٧٥٥-٨١٨م)^(١٧) - النَّضْر بن شُمَيْل (١٢٢-٢٠٣هـ/٧٤٠-٨١٩م)^(١٨) - أبو عبيدة مَعْمَر بن الْمُثَنَّى (١١٠-٢٠٩هـ/٧٢٨-٨٢٤م)^(١٩) - الأَصْمَعِي (٢١٣هـ)^(٢٠).

- المرحلة الثانية (الرسائل اللغوية):

تُعَدُّ الرسائل اللغوية نواةً للمعجم المختص لاحتوائها على كثير من الكلمات المرتبطة بمجال معين؛ لذا فهي الممهدة لتلك المعاجم التي ستدون المصطلحات المرتبطة بمحقل علمي واحد، والمعاجم المختصة بأكثر من محقلٍ علمي.

(١٧) يحيى بن المبارك بن المغيرة العَدَوِي أبو محمد اليزيدي من أهل البصرة. اتصل بهارون الرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون، وعاش إلى أيام خلافته، وتوفي بمرو ٢٠٢هـ/٨١٨م. من كتبه: النوادر في اللغة، والمقصور والممدود، ومناقب بني العباس. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٩/٢٠٥.

(١٨) النَّضْر بن شُمَيْل بن خَرَشَةَ المازني التميمي، ولد بمرو من بلاد خراسان ١٢٢هـ/٧٤٠م، وانتقل إلى البصرة، ثم عاد إلى مرو فولي قضاءها، وتوفي فيها، ٢٠٣هـ/٨١٩م. من كتبه: الصفات، وكتاب السلاح، وغريب الحديث. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨/٣٥٨.

(١٩) معمر بن المثنى أبو عبيدة البصري النحوي. ولد في البصرة ١١٠هـ/٧٢٨م، وتوفي فيها ٢٠٩هـ/٨٢٤م، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه. له: نقائض جرير والفرزدق، مجاز القرآن، مآثر العرب، ومثالب العرب... انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨/١٩١.

(٢٠) انظر: د. حسين نصار، تاريخ المعجم العربي نشأته وتطوره، ج١/٤٠.

ارتبطت تلك الرسائل اللغوية ببعض مظاهر حياة العرب في شبه الجزيرة العربية، فكانت الألفاظ التي جمعت فيها نابعةً من البيئة نفسها التي كان يعيش فيها العرب. فقد اهتموا بالأنواء لصلتها بحياتهم الاقتصادية، والاجتماعية، وكان للخيل والإبل والنبات أهمية كبيرة؛ لأنَّ حياتهم قائمةٌ على الرحلة في طلب الكلاء والفرار من الجذب^(٢١).

ويرى الدكتور حسين نصار أنَّ جمع اللغة في معاجم صُنِّفت على أساس المعاني والموضوعات من أقدم ما أُلِّف الدارسون في اللغة العربية، إن لم يكن أقدمها^(٢٢). وهكذا فإنَّ المعاجم لم تظهر بالصورة التي نراها عليها اليوم ابتداءً، ولم يُرتب اللغويون كتبهم على الحروف، وإنما بدأ التأليف اللغوي برسائل صغيرة، جمع فيها مؤلفوها الألفاظ المتعلقة بأحد الموضوعات فكان الموضوعُ عندهم أساس الجمع لا الترتيب وفق الحروف^(٢٣).

فقد كان اللغويُّ ينطلق إلى البادية، ويجمع الألفاظ من ساكنيها، فيسجل ما يتعلق بالموضوع ضمن رسالة مخصَّصة له مثل: موضوع الإبل يجمع الألفاظ المرتبطة به، ثم يصدرها في رسالة تحمل اسم المجال الذي جمع الألفاظ المرتبطة به فظهرت رسائل: الإبل، والخيل، والنبات، والحشرات.

ويرى الدكتور محمود ياقوت أنَّ أقدم الرسائل هي تلك التي تناولت موضوع الحشرات، وتُنسب هذه الرسالة إلى أبي خيرة الأعرابي^(٢٤)، وقد نقل عنه ابن سيده

(٢١) انظر: د. حسين نصار، معاجم على الموضوعات، سلسلة دراسات في التراث العربي، الكويت، وزارة الإعلام، ١٤٠٥-١٩٨٥، ص٣٦، ود. محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، مصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤، ص٦٦.

(٢٢) د. حسين نصار، معاجم على الموضوعات، المقدمة ص ٥.

(٢٣) المرجع السابق، ص٤٧.

(٢٤) د. محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات، ص٥٢-٥٣.

تعريف الحشرة بقوله: «قال أبو خيرة: حشرة الأرض: الدوابُّ الصغار، منها اليربوع والضب...»^(٢٥).

وكانت مادة الرسائل مقتصرةً على الغريب، والسبب في هذا الاختصار كما يرى الدكتور عبد الله درويش أنَّ هذا النوع من المفردات هو الذي كان يحتاج فقط - في نظرهم - إلى توضيحٍ وتفسير، أمَّا المفردات الأخرى فقد كان من السهل على القارئ العادي - في رأيهم - أن يعرف معناها ويستنتجها من سياق الكلام^(٢٦).

وذكرت لنا كتب اللغة الكثير من الرسائل ومنها: خَلَقَ الإنسان، والإبل لأبي عبيدة معمر بن المثنى، والإبل، والشاء، للأصمعي... إلخ. وسأمثل لهذه الرسائل برسالةٍ للأصمعي^(٢٧)، وهو عالمٌ لغويٌّ قد عاصر الخليل، وظهر له أثرٌ في المعجم الموضوعي الذي ظهر بعد الرسائل اللغوية، وقد كتب عددًا من الرسائل اللغوية منها:

خلق الإنسان - الإبل - الخيل - الأنواء - النبات.

وكمثال على هذه الرسائل (رسالة النبات)، التي نشرها المستشرق (أوغست هنفر) في كتابه: (البلغة في شذور اللغة).

منهج الأصمعي في رسالته:

لم يبدأ الأصمعي بمقدمة تبين غرضه من هذه الرسالة، ولا منهجه في تصنيفها، إلا أن المادة التي دُونت في الرسالة تقوم على أساس البدء من الأرض التي تنبت فيها

(٢٥) ابن سيده، المخصص، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج ٨/ ص ٩١.

(٢٦) انظر: د. عبد الله درويش، المعاجم العربية، ص ٨.

(٢٧) عبد الملك بن قُرَيْب بالتصغير ابن عبد الملك بن علي بن أصمعي الباهلي، ولد سنة ١٢٣ هـ

هـ / ت سنة ٢١٥ هـ له العديد من التصانيف منها: الأجناس في أصول الفقه، أصول الكلام،

الأضداد في اللغة، خلق الإنسان... انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٥/ ٦٢٣.

النباتات، ثم ذكر أسماء النباتات بحسب الأنواع، وذلك بتخصيص فصل مستقل لكل نوع، ثم يذكر الشجر وأماكن نموها. ولم تكن لغته علمية خالصة بل شملت أساليب بلاغية كالكناية، التي ظهرت في بداية حديثه: «يقال رأيت أرض بني فلان غبَّ المطر واعدَّة حسنة، إذا رُجي خيرها، وتما نبتها في أول ما يظهر النبات، ويقال وَشَمَّت الأرض إذا رأيت فيها شيئاً من النبات»^(٢٨).

وكان يشفع ما يذكره من أنواع للأراضي بشواهد شعرية مثل قوله: «ويقال للأرض إذا حسُن نباتها، وامتألت قد أتمت، والنبت وقتئذٍ مكتهل ومُعتم، ويقال نبت عميم وعمم أيضاً. قال الأعشى:

يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بعميمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلٌ»^(٢٩)

ثم يأتي فصلٌ عنوانه (في النبات من الأحرار وغير الأحرار).

يقول: «أحرار البقل ما رِقَّ وَعَثَق، (ومعنى عَثَقَ كَرَمٌ والعِثَقُ الرَّقَّة) وذكر البقل ما عَظَّ منه»^(٣٠).

وقسم النبات إلى ذكور وغير ذكور فيقول: «ومن أسماء الذكور: القِرَاصُ والحُزَامِي والأَقْحُوَان...»^(٣١).

(٢٨) أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٤، كتاب النبات، ص ١٩.

(٢٩) السابق، ص ٢٣.

(٣٠) السابق، ص ٢٨.

(٣١) السابق، ص ٣٣. القِرَاصُ: عشبٌ ربيعيٌّ ذو وبرٍ حادٍ يقرص إذا مُسَّ. انظر: البستاني، قطر المحيط، مادة قَرَص، ص ٤٧٤، والحُزَامِي: كَحُبَارَى نَبَتَ طَيِّبُ الرِّيح. انظر: تاج العروس مادة خزم ج ٣٢/ص ٨٢، والأَقْحُوَان: نباتٌ له زهرٌ أبيض في وسطه كتلةٌ صغيرة صفراء، وأوراق زهره مُفلَّجة صغيرة يشبهون بها الأسنان، الواحدة منه قُحوانة، وأقْحوانة. انظر: البستاني، قطر المحيط مادة قحا، ص ٧٦٧.

أما غير الذكور فمنها: «الهِيشَر والحُمُض، والرَّمْث...»^(٣٢).
 وحدّد لكل مكان نباتًا خاصًا به، كما في قوله: «ومما ينبت في السَّهْل
 العَرَفَج...»^(٣٣).

وكذلك يذكر بعض النباتات التي تنبت في الرمل فيقول: «ومما ينبت في الرَّمْل
 من الشجر الآلاء والواحدة آلاءة، والأطمي وله صمغة يمضغها العرب»^(٣٤). ثم يبدأ
 بذكر أسماء الشجر بعد تناوله للنباتات ويخصص لها فصلاً يسميه (الشجر). فيذكر
 الأشجار التي تنمو في أماكن محددة كما في المثال التالي: «ومن شجر الحجاز الغرقد
 والسُّدْر، ومما ينبت في جبال نجد الثَّغَام والحُمَاض»^(٣٥).

(٣٢) أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة، ص ٣٩. والهِيشَر: نبات رخو فيه طولٌ وله ورقة فيها شوك
 ضخم، وزهرته صفراء. انظر: ابن منظور لسان العرب، مادة هشر ج ٦/٤٦٦٧. والحُمُض: ما ملح
 وأمر من النبات جمعه حُمُوض. انظر: البستاني، فطر المحيط، مادة حَمُض، ص ١٢٦. الرَّمْث: مرعى
 للإبل من الحمض وشجر يشبه الغضا، السابق مادة رمث، ص ٢٢٢.

(٣٣) أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة، ص ٤٠. والعَرَفَج، والعَرَفَج: نبتٌ واحده عَرَفَجَة،
 وقيل: هو من شجر الصيف له ثمرةٌ خشنة كالحسك. انظر: ابن منظور، لسان العرب،
 مادة عَرَفَج، ج ٤/٢٩٠٢.

(٣٤) أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة، ص ٤٥. والآلاء: شجرٌ حسن المنظر مرُّ الطعم ولا
 يزال أخضر شتاءً وصيفًا، وله ثمرة تشبه سنبل الذرة. انظر: ابن منظور، لسان العرب،
 مادة آلاء، ج ١/١٠٥.

(٣٥) أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة، ص ٤٧-٤٨. والسُّدْر: وهو نوعان: الأول بريٌّ لا ينتفع
 بثمره، ولا يسوغ في الحلق والعرب تسميه الضال، والثاني ينبت على الماء، وثمره النَّبَق، والنَّبَق.
 انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سدر ج ٣/١٩٧١. و مادة نَبَق ج ٦/٤٣٢٨. والثَّغَام: هو
 نبتٌ أبيض الثمر والزهر يشبه بياض الشيب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ثغم
 ج ١/٤٨٧. والحُمَاض: نبتٌ جبلي وهو من عشب الربيع، ورقه عظام ضخم، زهره أحمر. انظر:
 ابن منظور، لسان العرب، مادة حَمُض ج ٢/٩٩٧.

من هذا العرض الموجز لما ورد في رسالة النبات للأصمعي، يتبين أن فيها بعض ملامح المعجم المختص، إلا أنها لا تعد متفقة مع اللغة العلمية لكثرة الدمج بينها وبين اللغة العامة، أضف إلى ذلك أن كثيراً من الألفاظ قد ذكرت دون تفسير أو شرح لها، كما أنه لم يخضع المادة لترتيب معين، فقد خلط بين النبات والشجر في حديثه عما ينبت في الرمل، فكان يتحدث عن النبات ثم اقتطع الحديث بقوله: «ومما ينبت في الرَّمْل من الشجر الآلاء والواحدة آلاءة»، والأطمي وله صمغةٌ يمضغها العرب»^(٣٦). فهو أدرج أسماء أشجار مع النبات مع أنه خص الشجر بفصل مستقل، تلا حديثه عن النبات.

ولكن مع ذلك لم تحل هذه الرسالة من بعض سمات اللغة العلمية وخاصة في عناوين الفصول، التي تنوعت بتنوع النبات، ومكان نموه.

كانت هذه الرسالة نموذجاً لطريقة جمع الألفاظ في الرسائل اللغوية، وكان سبب اختيار الأصمعي عائداً إلى كونه من المعاصرين للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي يعد رائد تصنيف المعاجم العربية العامة؛ وكذلك للأثر الذي تركته هذه الرسائل في معاجم الموضوعات التي جمعت تلك المواضيع التي كانت تجمع بكتبٍ مستقلة في الرسائل اللغوية.

- المرحلة الثالثة: مرحلة معاجم الموضوعات:

توصف هذه المعاجم بأنها جملة من المعاجم الفنية التي نهضت على أساس فكرة الرسائل اللغوية القديمة التي يختص كلٌّ منها بألفاظ موضوع فرعي.

فهي: معاجم موسوعية جمعت فيها ألفاظ الحياة العامة ومواصفاتها الفنية بتبويب رسائلي خاص، وبتصنيفٍ خاصٍ لكلِّ موضوع تبعاً لتعريفاته، باعتبار العموم

(٣٦) أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة، ص ٤٥.

فالخصوص فالأخص^(٣٧)، ولا يجمعها سوى قاسم مشترك واحد هو الحقل الدلالي المعين الذي تُنسب إليه والذي يلخصه عنوان الفصل^(٣٨)، أو الباب، ومن أشهرها: الغريب المصنف لأبي عبيد الهروي (١٥٧-٢٢٤هـ / ٧٧٤-٨٣٨ م).

وقد عدَّ أحد الباحثين أنَّ المعجم الموضوعي هو نوع من أنواع المعجم المختص فيقول: «لقد أمدنا التراث اللغوي العربي بملحقين معجميين أساسيين هما: المعجم العام والمعجم المختص، وعن هذا الأخير تنبثق أربعة أنماط معجمية تمكَّننا من رصدها على امتداد حركة التأليف المعجمي العربي، وهي:

أ- معاجم الموضوعات العامة

ب- المعاجم الموسوعية الاصطلاحية

مثال: مفاتيح العلوم للخوارزمي (٣٨٠ هـ)

كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (توفي بعد ١١٥٨ هـ)

ج - المعاجم الفنية المختصة

مثال: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية للرازي (٣٢٢ هـ)

د - المعاجم العلمية المختصة

١- معاجم علمية محضة

مثال: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (٦٦٤ هـ)

٢- مؤلفات ذات طابع معجمي

مثال: المهذب في الكحل الجرب لابن النفيس (٦٨٧ هـ)

(٣٧) د. جواد حسني سماعة، الخصائص العامة لمعاجم الموضوعات وتأثيرها في المعاجم المصطلحية اللاحقة، اللسان العربي، عدد ٥٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٤٥.

(٣٨) د. عبد العلي الودعيري، المعجم العربي بالأندلس، الرباط، مكتبة المعارف، ط ١، ١٩٨٤،

القانون في الطب لابن سينا^(٣٩).

وتختلف معاجم الموضوعات عن المعاجم اللغوية العامة، بعدد من الفوارق أهمها:

١- ترتب معاجم الموضوعات بناءً على الموضوع، أما اللغوية فحروف المعجم هي الأساس في الترتيب.

٢- تهدف معاجم الموضوعات إلى إمداد الكاتب أو الأديب بلفظٍ لمعنىٍ يختمر في ذهنه، أما اللغوية فتهدف إلى شرح ألفاظٍ غامضة المعنى^(٤٠).

كما أنها تختلف عن الرسائل اللغوية فهي لم تنحصر بموضوع واحد، بل تعددت المواضيع فيها، ولم تقتصر على ذكر الألفاظ المنحصرة بالبادية، بل امتدت إلى ذكر ألفاظ تنتمي إلى بيئات أخرى.

إن الارتباط بين هذه المعاجم ومعاجم المصطلحات التي جمعت مصطلحات أكثر من حقلٍ علميٍّ، يظهر في طريقة ترتيب المداخل، فلا تقوم على إخضاع مفردات اللغة لأيّ ترتيبٍ سوى ما يدعو إليه (التسلسل) بين معاني الألفاظ، أو (التشاجر، والتداخل) الذي يعني أن يجزّ ذكر الكلمة الأولى، إلى ذكر الثانية، والثانية إلى الثالثة.... وهكذا تنظم الألفاظ في سلسلة متشابكة، متشجرة يأخذ بعضها بعنق بعض.

ويرى الدكتور علي القاسمي أنّ «هذا المنهج يُتبع عندما ينظر المعجمي إلى الكون والعالم حوله بوصفه نظامًا من المفاهيم، وإلى اللغة بوصفها نظامًا من العلامات أو المصطلحات التي تعبر عن تلك المفاهيم، فإنه يميل إلى تقسيم مداخل معجمه بحسب الموضوعات التي يتألف منها نظام المفاهيم»^(٤١).

(٣٩) د. جواد حسني سماعنة، الخصائص العامة لمعاجم الموضوعات، ص ١٤٤.

(٤٠) د. محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، ص ١٩-٢٠.

(٤١) د. علي القاسمي، ترتيب مداخل المعجم، اللسان العربي، ١٤٠٢-١٩٨٢م، مجلد ١٩، ص ١٤.

وقد ذكر الأستاذ أحمد الشرقاوي الكثير من معاجم الموضوعات في كتابه (معجم المعاجم) ومن أهم تلك المعاجم:

- الغريب المصنف لأبي عبيد الهروي (٥٢٢٤هـ).
- كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ لابن السكيت (٥٢٤٤هـ).
- أدب الكاتب لابن قتيبة (٥٢٧٦هـ).
- الألفاظ الكتابية للهمذاني (٢٣٠هـ).
- جواهر الألفاظ لقدامى بن جعفر (٣٧٣هـ).
- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (٤٢٩هـ).
- المخصص لابن سيده (٤٥٨هـ)^(٤٢).

منهج تصنيف معاجم الموضوعات:

قام أصحاب معاجم الموضوعات بتصنيف مجالات المعرفة المتاحة لهم انطلاقاً من العام إلى الخاص فالأخص فالأكثر خصوصية؛ للإحاطة بمجموع عناصر الحقل الدني للحقل المعرفي الواحد، وإن اللجوء إلى هذا المنهج التصنيفي يمكن من الإلمام بموضوعات المعرفة وسياقاتها، وبالموضوع قيد الدرس، ومن رصد أدق المفاهيم التي تنضوي تحته^(٤٣).

وللتمثيل على طريقة تصنيف المعجم الموضوعي سأعرض عرضاً موجزاً لمعجم يُعدُّ من أوائل المعجمات الموضوعاتية التي وصلتنا مطبوعاً، هذا المعجم هو الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤هـ/٧٧٤-٨٣٨م).

ويعود اختياري لهذا المعجم لسببين رئيسيين:

(٤٢) انظر: أحمد الشرقاوي، معجم المعاجم، ص ١٤١-١٥٣.

(٤٣) د. جواد حسني سماعة، الخصائص العامة لمعاجم الموضوعات، ص ١٤٦.

الأول: لأنه يعد من أوائل معاجم الموضوعات وأشهرها.

الثاني: لارتباطه بالرسائل اللغوية التي صنفت قبله.

فهو يعد جامعاً لكثير مما ورد في الرسائل اللغوية، وتطويراً للكتابة المعجمية، وممهداً للكتابة العلمية.

«الغريب المصنف» للقاسم بن سلام^(*):

قام أبو عبيد بجمع الروايات وتنظيمها، ولكنه لم يُصَرِّح بأسماء الكتب التي نقل منها مادة كتابه. وقد ضمَّ كتابه موضوعات كانت تفرّد برسائل مستقلة، فهو جامعٌ لكثير مما ورد في الرسائل اللغوية التي سبقت ظهور معاجم الموضوعات، وهو يُكثّر من الاستدلال بأقوال مؤلفي الرسائل اللغوية كالأصمعي (ت ٢١٤هـ) وأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٤هـ).

ولم تكن مقدمة معجمه وافية توضح منهجه في المعجم، وعلاقته بما سبقه، والجديد الذي جاء به. وقد قسم معجمه إلى كتب وضمَّنها أبواباً مرتبطةً بعنوان الكتاب. وهذه الكتب هي:

١- خلق الإنسان	٢- النساء	٣- اللباس	٤- الأطعمة
٥- الأمراض	٦- الدور والأرضين	٧- الخيل	٨- السَّلاح
٩- الطيور والهوام	١٠- الأوالي والقذور	١١- الجبال	١٢- الشجر والنبات
١٣- المياه والقنى	١٤- النخل	١٥- السَّحاب والأمطار	١٦- الأزمنة والرياح
١٧- أمثلة الأسماء	١٨- أمثلة الأفعال	١٩- الأضداد	٢٠- الأسماء المختلفة للشيء الواحد
٢١- الإبل	٢٢- الغنم	٢٣- الوحوش	٢٤- السَّبَّاع
٢٥- الأجناس			

(*) علي بن محمد النحوي الهروي (٣٧٠-٤١٥هـ) صاحب «الأزهيّة» في علم الحروف.

وكان منهجه يقوم على ذكر اسم العالم الذي أخذها منه، ثم ذكر الكلمة وتعريفها كما في المثالين التاليين:

في كتاب خلق الإنسان قال: «سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: «الأنوف يُقال لها: المخاطم، واحدها مَخْطَمٌ»^(٤٤).

وفي كتاب خلق الإنسان أيضاً قال: «قال الأصمعي: البلعوم مجرى الطعام في الحلق، وقد تُحذف الواو، فيقال: بُلْغَم، مثل عُسْلُوج، وعُسْلُج»^(٤٥).

فالمعجم السابق، الذي يمثل مرحلة متطورة من مراحل التأليف المعجمي العربي، يعد ممهّداً لظهور المعاجم المختصة، فقد رتب المعجم معتمداً الموضوع أساساً في الترتيب، وجعل الحقول تنقسم إلى موضوعات رأسية، وموضوعات فرعية، وقد ظهر هذا المنهج في المعاجم المختصة المتعددة الحقول، كما في (إحصاء العلوم) للفارابي، وبشكل أوضح في (مفاتيح العلوم) للخوارزمي، فتصنيفهما لمعجميهما قائم على أساس موضوعات العلوم، فكانت العلوم هي الموضوعات الرأسية، ثم فرعها إلى حقول تنتمي إلى هذه الموضوعات، ثم إلى فروع أصغر هي مصطلحات العلوم، فالاختلاف ينحصر في أن الأول تناول اللغة العامة، والثاني تناول اللغة الخاصة.

مما تقدم يتبين لنا أنّ تاريخ ظهور المعجم المختص ذي الحقول العلمية المتعددة، مهّد لظهوره عدة أعمالٍ معجمية، كان أهمها: «كتب تفسير الغريب» التي عُيّنت

(٤٤) ابن سلام، الغريب المصنف، تحقيق د. رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،

ط١، ١٩٨٩، ج١/٢٦٣.

(٤٥) السابق، ج١/٢٦٤-٢٦٥.

بشرح المدلولات الجديدة التي حملتها الكلمات العربية مع ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم، وكانت ثانية هذه المراحل: «الرسائل اللغوية» التي عُني أصحابها بجمع الكلمات التي تدور حول موضوع واحد، وأمّا المرحلة الثالثة فكانت «معاجم الموضوعات» التي تُعد قريبةً جدًّا من المعاجم المختصة المتعددة الحقول، إلا أنّها اختلفت عنها في طبيعة المواد التي احتوتها؛ إذ إنّ معاجم الموضوعات اهتمت بالألفاظ العامة، أمّا المعاجم المختصة فإنّها صُنفت لاحتواء المصطلحات العلمية.

ويمكن القول: إنّ المعجم المختص المتعدد الحقول هو وليد البيئة العربية في تصنيفه، ومع أنّ أوائل معاجم المصطلحات التي ظهرت في البيئة العربية كانت مترجمةً عن اليونانية، فإنّ المعاجم العربية المختصة كانت متأثرةً في تصنيفها بتصنيف المعاجم العربية التي ظهرت قبلها؛ ولهذا كان ترتيبها وطريقة تعريف المصطلحات متفكّقةً مع طرق الترتيب والتعريف التي ظهرت في الأعمال المعجمية التي سبقتها، وخاصةً معاجم الموضوعات.

١- توحيد الضمير بعد العطف

د. مكّي الحسني (*)

• قال الإمام الزمخشري في «كشافه» في تفسير الآية [٢٠/ من سورة الأنفال]: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبَعْتُمْ تَسْمَعُونَ». «الضمير في (عنه) لرسول الله ﷺ، لأن المعنى: وأطيعوا رسول الله، كقوله تعالى: ﴿... وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة/ ٦٢]. وإنما وحّد الضمير في (يرضوه) لأنه لا تفاوت بين رضا الله تعالى ورضا رسوله ﷺ، فكانا في حكم مَرَضِيٍّ واحد، كقولك: إحسان زيدٍ وإجماله^(١) نَعَشَنِي وَجَبَّرَنِي، أو: والله أحقُّ أن يُرْضُوهُ، ورسوله كذلك.

فطاعة الرسول وطاعة الله تعالى شيء واحد. قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء/ ٨٠]؛ فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) جاء في المعجم الوسيط: أَجْمَلَ الصَّنِيعَةَ وفيها: حَسَنَهَا وَكَثَّرَهَا.

يقول الإمام القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن - ٨ / ١٢٧»:

يكتفى بضمير الواحد عن ضمير الآخر إذا فهم المعنى، وهذا كثير في كلام العرب.
 • ومنه الآية: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾
 [البقرة/ ٤٥]. الضمير في (إنها) عاد إلى مفرد، الصلاة، والمراد اثنان.
 وأفرد الصلاة بالذكر تعظيمًا لشأنها (تفسير الجلالين).

• ومنه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَّوْا انْفِصُوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة/ ١١].

والمراد: انفصوا إليهما. وأعاد الضمير إلى التجارة لأنها مطلوبهم الأفضل والأهم.

• ومنه الآية: ﴿... وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة/ ٣٤].

والمقصود إنفاق الذهب والفضة. ردّ الكناية إلى الفضة لأنها الأغلب والأعم.
 ويقول أبو بكر الرازي في كتابه غرائب التنزيل «أعاد الضمير على الفضة، لأنها أقرب المذكورين، أو لأنها أكثر وجودًا في أيدي الناس فيكون كنزها أكثر.»

• ويشبه ما نحن بصدده قول الشاعر قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما عندنا صدك راضٍ، والرأي مختلف

والمراد: نحن وأنت بما عندنا راضون!

ونظيره قول الشاعر حسان:

إنّ شرخ الشباب والشعر الأس ود ما لم يُعاصَ كان جنونا

لم يقل يُعاصيا، ردّه إلى الشباب، لأن الشعر الأسود داخل فيه.

ونظيره قول الشاعر ضابئ بن الحارث:

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ

وفي رواية: وقيارًا. **التقدير:** فإني لغريب وقيارٌ بها غريب أيضًا. (قيار: اسم جمل ضابئ).
ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْثَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون/ ٥٠].
المراد: جعلنا كل واحد منهما آية.

٢- هل عاملتِ العربُ المثنى معاملة الجمع؟

الجواب: نعم، ولدينا الدليل في القرآن الكريم الذي أُنزل بلغة العرب، وفي كلام فصحاءهم. والملاحظ أن التوسع في استعمال الجمع لا يكون إلا عند أمن اللبس، حين يوحي المقام بالمقصود، ويعتمد المتكلم على فهم السامع.

• قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة/ ٣٦]. الواو في (اهبطوا) ضمير **للجمع**، ولكن استعمل في الآية لخطاب الاثنين: (آدم وحواء) وذلك جارٍ على عادة العرب في كلامها.

• ومنه الآية: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء/ ٧٨]. فالضمير (هم) للجمع، والمراد اثنان (سليمان وداود).

• ومثل ذلك الآية: ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعْمُونَ﴾ [الشعراء/ ١٥]. فالضمير في (معكم) للجمع، والمراد اثنان (موسى وأخوه هارون).

• وكذلك الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة/ ٣٨]، ولم يقل **يديهما** مع أن هذا هو المراد، لأن السارق لا تُقطع له في سرقة واحدة إلا يدٌ واحدة.

• ومثل ذلك الآية: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم/ ٤]، أي **مآلت**، ولم يقل (قلباكما)!

• ومن هذا القبيل قول امرئ القيس:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيئهم يقولون لا تهلك أسيّ وتحملي

وإنما له صاحبان، لقوله في مطلع القصيدة: **ففا نَبك...**

• أخيراً نورد ما ذُكر من أن الشعبي^(٢) كان في مجلس عبد الملك بن مروان، وكلاهما تابعي مشهود له بالبلاغة والتمكّن من اللغة والتراث العربي الإسلامي؛ فقال الشعبي: (رَجُلانِ جاؤوني)، فقال عبد الملك: (لَحْنَتِ يا شعبي).

قال: يا أمير المؤمنين، لم ألحن، مع قول الله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَهْمٍ﴾ [الحج/١٩]. فقال عبد الملك: **لله ذُرْك يا فقيه العراقيّن، قد شَفَيْتَ وكَفَيْت!**

٣- تذكير الفعل وتأنيثه للفاعل، وعلاقة النعت السببيّ بذلك

تمهيد: تذكّرة بأهم أحكام تذكير الفعل وتأنيثه للفاعل.

أولاً: يذكر الفعل وجوباً

إذا كان فاعله مذكراً، مفرداً كان أو مثنيّ أو جمع مذكر سالماً، نحو: هَطَلَ المطر (المطر هطل) - تصافح الرجلان (الرجلان تصافحا) - حَضَرَ الموظفون (الموظفون حضروا).

ثانياً: يؤنث الفعل وجوباً:

١- إذا كان فاعله حقيقيّ التأنيث (وهو ما يتناسل) غير مفصول عنه، مفرداً كان أو مثنيّ أو جمعاً سالماً، نحو: جاءت التلميذة - جاءت التلميذتان - جاءت التلميذات.

(٢) الشَّعْبِيّ (عامر بن شراحيل): نسبته إلى (شعب): بطن من هَمْدان تابعي، محدّث وراويّة.

حافظ ثقة. ولد ونشأ في الكوفة. كان نديم عبد الملك وسميره ورسوله إلى ملك الروم. (ت

سنة ١٠٣هـ).

٢- إذا تَقَدَّمَ عليه فاعله المؤنث، مفردًا كان أو مثنى أو جمع سلامة أو جمع

تكسير، نحو:

- سعاد كتبت/ تكتب - السفينة أقلعت/ تُفْلِع [الفعل هنا بصيغة المفرد].
- التلميذتان كتبتا/ تكتبان [الفعل هنا متصل بضمير الاثنين، ولكن يجوز إفراده؛ قال المتنبي:

حشاي على جمرٍ ذكيٍّ من الغضا وعيناي في روضٍ من الحُسنِ ترتعُ

يريد: ترتعان!

- التلميذات حَضَرْنَ/ حَضَرَتْ/ يَحْضُرْنَ/ تَحْضُرُ - السَّمَكاتِ سَمِعَتْ/ سَمِعْنَ [الفعل هنا بصيغة المفرد أو متصل بنون الإناث].
- الدروس شُرِحَتْ/ شُرِحَ - الرسائل كُثِرَتْ/ كُثِرْنَ.

ثالثًا: يجوز تذكير الفعل وتأنينه:

- ١- إذا كان الفاعل حقيقي التأنيث مفصلاً عن فعله، نحو: سافر/ سافرت اليوم فاطمة. نَسَقَ/ نَسَقَتِ الزهر فتاة - ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [الممتحنة/ ١٠].
- ٢- إذا كان الفاعل مجازي التأنيث، نحو: طَلَعَ/ طَلَعَتِ الشمس - يجب تجنب ملاحظة كذا. انتهى/ انتهت الحرب.
- ٣- إذا كان الفاعل جمع تكسير، نحو: جاء/ جاءت الفواطم - حضر/ حضرت الرجال - بقيت أشياء لم تُذكر - هَبَّ/ هَبَّتِ الرياح.
- ٤- إذا كان الفاعل جمعًا بالألف والتاء، نحو: ارتفع/ ارتفعت الشجرات - ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّمَاتٌ مَّا كَسَبُوا﴾ [الزمر: ٥١] أُرْسِلَ/ أُرْسِلَتِ السُّؤَالَاتُ إِلَى المراسلين و وصلت/ وَصَلَ جواباها - سُجِّلَ/ سُجِّلَتِ العُنُونَاتِ المهمة - وَصِفَ/ وَصِفَتِ العِلاجات المناسبة.

في النَّعْتِ السَّبِيِّ

النعت السبي - خلافاً للنعت الحقيقي - ينعث ما بعده، المرفوع دائماً. ومع ذلك فهو يتبع ما قبله في الإعراب والتعريف والتنكير. فإذا قيل مثلاً: «هذه فتاة ممزقة كتبها»، فإن كلمة (ممزقة) نعت الكتاب، لا الفتاة. [كتابها: نائب فاعل لاسم المفعول ممزقة]. والنعت السبي مفرد في كل حال، لأنه محل محل فعله: هذه فتاة ممزقة كتبها.

ويمكن أن يطابق النعت ما بعده تذكيراً وتأنياً: فالكتاب مذكراً، وممزقة نعت مذكراً. ولكن، لأن النعت السبي محل محل فعله، جاز أن يقال مثلاً: هذا حقل ناضراً/ ناضرة زروعه [زروعه: فاعل لاسم الفاعل ناضراً]، إذ يصح أن يقال: هذا حقل نضراً/ نضرت زروعه. [زروعه: جمع تكسير، وكل جمع مؤنث (ما عدا جمع المذكر السالم) ولكنه هنا مؤنث غير حقيقي (مجازي التأنيث) فجاز تذكير الفعل].

وقد ورد النعت السبي كثيراً في الكلام الفصيح: ففي التنزيل العزيز:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا^(٣) أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ^(٣) أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ^(٤) أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر/ ٢٧ - ٢٨].

• قال كعب بن زهير:

قد يُعَوِّرُ الحَاظِمُ الحَمُودُ^(٥) نَيْثُهُ بعدَ الشراءِ، ويُشْرِى العَاجِزُ الحَمِيقُ

• وقال شيخ المعرّة:

ولِبي وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائِلُ

(الأخير) منصوب لأنه خبر كنت. (زمانه) فاعل الصفة المشبهة (الأخير).

(٣) يجوز في غير القرآن تأنيث اسم الفاعل هذا: مختلفة؛ مختلفة، لأنه يجوز في فعله الذي محل محله التذكير والتأنيث: يختلف، تختلف! جدد؛ مبتدأ مؤخر، والخبر محذوف.

(٤) (مختلف) هنا تتبع المبتدأ المحذوف قبلها، وتقديره: خلق.

(٥) يجوز تأنيث اسم المفعول هذا: المحمود، للسبب المذكور آنفاً.

مُلقي السبيل
لأبي العلاء المعري
بروايتين عنه وبشرح للبطلَيُوسِي (*)

د. عبد الإله نبهان (**)

تراث المعري غني متنوع، وهو في كل أحواله صعب المرتقى، وغر الأسلوب، وحشي الألفاظ، تتشع معانيه بالغموض، وتتلفع صورته بالغرابة، لذلك كان لابد للمحقق الثبّت الخبير من أن يسير في تحقيقه لمتن المعري كلمةً وراء كلمة، يراجع المعجمات ويتتبع الإشارات، ووراء كل إشارة مقصد قد اختبأ وراء جبال من وحشي اللفظ وغريبه.

كنت منذ سنوات قرأت رسالة مُلقى السبيل في كتاب وسمه مُعدّاه بـ «إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء» وأثبتنا هذه الرسالة نقلاً عن ثلاثة مصادر: مخطوطة المكتبة التيمورية، ورسائل البلغاء لمحمد كرد علي، ونصوص ودراسات نشرها أحمد

(*) قرأه وشرحه وعلّق عليه الدكتور السعيد السيّد عبادة دار البصائر - القاهرة - ١٤٢٨ هـ -

٢٠٠٧ م.

(**) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

فريد. وقد راعني ما فيها من تصحيف وتحريف وتشويه للعروض وندرة للضبط، وغدت كأنها نسخة رديئة عن الرسالة الأصلية.

ومضى زمن مديد وأنا غير منقطع عن تراث المعري وتتبع ما يصدر منه، فكان أن علمت بصدور «مُلقي السبيل» على أنه كتاب وليس رسالة بتحقيق الدكتور السعيد السيد عبادة، وهو من المعنيين بتراث المعري دراسةً وتحقيقاً^(١) على مدى سنوات، ووصل إليّ، وسررت به جداً وخصوصاً لما قارنته بالطبعة المشار إليها في أول المقال، إنه مبيضة لما سُودَّ وشُوِّهَ هناك، وقد أعطى المحقق التحقيق حقه وقام بلوازمه، فجمع ثماني صورٍ لمخطوطات الكتاب وست نشرات له. ومن هذه المخطوطات مخطوطتان مسندتان إحداهما من إستمبول (تركيا) والثانية من الأسكوريال (إسبانيا) وثلاث نسخ مؤرّخة وثلاث نسخ غير مسندة ولا مؤرّخة. أما نشرات الكتاب فكان أولها نشرة حسن حسني عبد الوهاب التونسي في مطبعة المقتبس، دمشق الشام ١٣٢٩ هـ وثانيها نشرة محمد كرد عليّ في مجلته المقتبس ١٣٣٠ هـ وهي نشرة حسن حسني عبد الوهاب نفسها. وثالثها نشرة محمد كرد علي الثانية في كتابه «رسائل البلغاء» في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م وهي أيضاً

(١) أعمال المحقق في تراث أبي العلاء:

- رسالة الإغريض وتفسيرها للمعري. مط التقدم بالقاهرة ١٩٧٨.
- أوزان المتنبي وقوافيه للمعري. مجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة، العدد الأول ١٤٠٢ - ١٩٨٢.
- سِقْط الزند وضوءه للمعري. معهد المخطوطات العربية - القاهرة ٢٠٠٣.
- الفهارس المفصلة للفصول والغايات. معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٩.
- أبو العلاء الناقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧.
- نصوص من نقد أبي العلاء، مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٧٧.

كالسابقة ورابعها نشرة محمد كرد علي الثالثة ضمن طبعته الثالثة لرسائل البلغاء بـ «مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر» بالقاهرة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، وتمتاز هذه النشرة أنها قوبلت على مخطوطة المكتبة التيمورية. أما النشرة الخامسة فهي نشرة كامل كيلاني ضمن طبعته الثالثة لرسالة الغفران ١٩٣٨ بمطبعة المعارف بمصر، وهي مقتبسة من رسائل البلغاء، وحاول الكيلاني الضبط ورَدَّ الحَرْف. أما النشرة السادسة فهي نشرة محمد عبد الحكيم القاضي ومحمد عبد الرزاق عرفات في دار الحديث بالقاهرة سنة ١٩٨٩ وهي نشرة كامل الكيلاني، وقد وُضع اسم أحمد فريد توهماً من مُعَدِّي النشرة التي علَّق عليها الدكتور السعيد السيد عبادة بقوله:

«على أن بالنشرة أخطاء لا يكاد يخلو منها سطر، بعضها مطبعي، وبعضها مخالف لجميع المخطوطات والمطبوعات، مما يعني افتقاد الطبعة للمراجعة.» وصدَّق فيما قال.

أما كتاب «مُلقي السبيل» فهو عند ياقوت (ت ٦٢٦ هـ): «كتاب مُلقى السبيل»، صغير فيه نظم ونثر. وعند القفطي (ت ٦٤٦ هـ) كتاب لطيف، يُعرف بـ «مُلقي السبيل» مقداره أربع كراريس. وعند ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ): وكتاب «مُلقي السبيل» وهو كتاب وعظ، يشتمل على نثر ونظم على حروف المعجم، على كل قافية فصلٌ نثر وأبيات شعر. مقداره كراستان. أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الكامريّ [الصواب: الكاشعريّ] ت ٦٤٥ هـ قال: أخبرنا قحْف العلم «الحسن بن علي بن عمر الزنجاني ت ٥١٥ هـ»، قال: أخبرنا أبو العلاء...

من هذه الأقوال استنتج المحقق أن «مُلقي السبيل» كتابٌ وليس رسالة، كما ذكر في النشرات السابقة، وهو كتاب صُنّف على منهج كتاب سبقه هو كتاب «الفصول والغايات» وهما كتابان ألفهما أبو العلاء بعد اعتزاله قال:

«لزمت مسكني منذ سنة أربعمئة، واجتهدت أن أتوقّر على تسبيح الله وتمجيده، إلا أن أضطرّ إلى غير ذلك، فأملت أشياء... وهي على ضروب؛ فمنها ما هو في الزهد والعظات، وتمجيد الله سبحانه، من المنظوم والمنثور، فمن ذلك الكتاب المعروف بـ «الفصول والغايات» وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف، لأنّ فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفاً، ومن المحال أن يُجمع بين ألفين، ولكن تجيء الهمزة وقبلها ألف، مثل: الغطاء وكساء، وكذلك الشراب والشباب في الباء ثم على هذا الترتيب» وكان «الفصول والغايات» أول كتاب يؤلّفه في عزلته بعد أن رفض الشعر وسدّد إلى الشعر والشعراء سهام نقده ورفضه، لذلك جعل قوله في النشر، بعد أن ألزم فيه نفسه بأن يجعله في تمجيد الله والعظات، وأن يلتزم في فصوله وغاياته حروف المعجم، ورجّح المحقق أن يكون كتاب «مُلقي السبيل» هو الثاني تأليفاً بعد الفصول، وإذا كان الفصول قد بدأ تأليفه عام ٤٠٠ هـ فإنه من المرجّح لديه أن «مُلقي السبيل» أملي في أواخر سنة ٤٠٣ هـ تقريباً، «وأنه كان بالنشر والشعر ليكون أبلغ في الافتنان من جهة، وليكون ريادةً من أبي العلاء للنظم على جميع حروف المعجم» وبعد هذا الكتاب سيكون اتجاه أبي العلاء إلى نظم ديوان اللزوميات. على أن ظاهرة لزوم ما لا يلزم بارزة في مواضع من مُلّقى السبيل، كما في حرف الضاد على سبيل المثال قال:

دينك عناه المرضُ، ضاعت النافلةُ والمفترضُ، وخدّعتك هذا العرضُ، وجسمك ضعيف حرضُ، لقد بُعد منك الغرضُ، وسوف يُطلب المُفترضُ.

شعر [من المنسرح]

دينك مُضنىّ أصابه سقمٌ والحُسْرُ في أن يميتَه المرضُ
وهل تُرجى لديك نافلةٌ من بعد ما ضاع منك مُفترضُ

عَرَضْتَ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَكَمْ غَرَّكَ فِيمَا تَرُومُهُ غَرَضُ
تَمِيلُ عَنْ جَوْهَرٍ إِلَى عَرَضٍ وَالرَّوْحُ فِي جَوْهَرِيَّهَا عَرَضُ
حَرَضِكَ الشَّيْبُ أَنْ تَتُوبَ فَمَا تُبْتُ، فَأَلَّا تَذَكَّرَ الْحَرَضُ^(١)
أُقْرِضْتَ عُمْرًا فَمَا صَنَعْتَ بِهِ سَوْفَ يُوَدِّي الْأَنَامُ مَا اقْتَرَضُوا

فإننا نلاحظ أنه التزم الراء والضاد كما أنه في حرف السين التزم الراء والسين وفي حرف العين التزم الميم والعين.. وهكذا يكون أبو العلاء قد أتى في مُلقى السبيل بمنهج الفصول والغايات من حيث المضمون ومن حيث السجع ومن حيث الترتيب على حروف المعجم، ومنهج اللزوميات من حيث التزامه في بعض منظومات مُلقى السبيل بحرف قبل الروي أو أكثر على نمط اللزوميات فيما بعد، فقد أخذ هذا النمط الذي تجلّى لديه في بعض نصوص مُلقى السبيل وبنى على مثاله ديوان اللزوميات، وقد لاحظ محقق مُلقى السبيل أن اللزوم لما لا يلزم كان في النثر أولاً، بالوضع على حروف المعجم ما خلا الألف في (الفصول والغايات) ثم كان في الشعر مع النثر، بالوضع على حروف المعجم في «ملقى السبيل»، ثم كان في النثر وحده، بالوضع على ما سبق وعلى غيره في «الأيك والغصون» كما كان في الشعر وحده - بالوضع على ما سبق وعلى غيره - في (لزوم ما لا يلزم) .

ومن الجدير بالذكر أن المحقق الفاضل ذكر أنه لم يكد يصل في التحقيق إلى حرف الشين حتى وجد أن ابن السّيد البَطْلِيُّوسِي (ت ٥٥٢١ هـ) قد شرح ستاً من منظومات «ملقى السبيل» ضمن ما شرح مع (سِقْطُ الرّند) من غيره، وقد أورد المحقق

(٢) ألا: بمعنى هلاً، يُقال: ألاّ فعلت، وهلاً فعلت، ولو ما فعلت بمعنى واحد. والحرض: الذي أضعفه المرض والهزال، حتى لا يقدر على النهوض. قال الله تعالى: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥]. عن شرح البطليوسي. ملقى السبيل: ١٨٦.

شروح ابن السيد لتلك المنظومات في نشرته.

كان عمل المحقق نموذجياً في تحقيقه، وكأنه كان يعمل فيه كلمة كلمة، لم يترك كلمة إلا ضبطها وفسرها وأشار إلى نظائرها في كتب أبي العلاء الأخرى، ولاسيما في «الفصول والغايات» ثم زوّد الكتاب بفهارس مفصّلة، فهناك فهرس للمنظومات، وفهرس سماه: معجم المعرّي في الكتاب، واشتمل على المواد اللغوية أولاً، وعلى الأدوات والضمائر ثانياً. ثم هناك فهرس للأعلام والقبائل وآخر للبلدان والأماكن، ثم تأتي فهارس الآيات القرآنية تليها فهارس الأحاديث والآثار ثم فهرس الأبيات الشواهد وأجزائها ثم فهرس الأمثال والأقوال، تلاه فهرس المعارف العامة واختتمت الفهارس بفهرس المصادر والمراجع وفيه تسعة وتسعون عنواناً لمراجع ومصادر مطبوعة واثنًا عشر عنواناً لمصادر ومراجع مخطوطة.

إن كتاب مُلقى السبيل في تحقيقه الجديد يعدّ مثالاً لما يجب أن يكون عليه تحقيق كتب المعري خاصة من حيث الضبط والشرح والفهرسة والتعليق على إشارات المؤلف وكنائياته ومقاصده.

ندوة الأدب الجغرافي في المغرب

«تقرير جامع»

د عبد الكريم الأشتري*

- ١ -

أقيمت في المغرب ندوة امتدت ثلاثة أيام كاملة (٢٢ - ٢٤ مايو، أيار ٢٠٠٩)، رعتها وزارة الثقافة المغربية، ومجلس الجالية المغربية في الخارج، بالتعاون مع «المركز العربي للأدب الجغرافي - ارتياد الآفاق»، في دولة الإمارات، الذي يرعاه السيد (محمد أحمد السويدي).

كان موضوع الندوة: «الرحالة العرب والمسلمون - اكتشاف الذات والآخر». وشعارها المرفوع: «الرحلة العربية في ألف عام». ومن بنود برنامجها تكريم الفائزين «بجائزة ابن بطوطة»، في درسهم بعض كتب الرحالة العرب والمسلمين إلى أصقاع الأرض، والرحالة الغربيين إلى ديار الشرق، وتحقيقها وتهيتها للنشر، أو مراجعة بعض الرحلات الحديثة، أو المعاصرة، مثل رحلة الشاعر (خير الدين الزركلي) إلى الديار المقدسة لتأدية فريضة الحج، في القرن الماضي، أو رحلة بعض النازحين الفلسطينيين إلى «منافيهم» في الشرق والغرب.

(*) باحث ومحقق سوري، وأستاذ الأدب الحديث والنقد في جامعة دمشق سابقاً، وعضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق.

ووسعتِ الندوةُ، إلى هذا، تكريمَ بعض الرجال العاملين في هذا الميدان: مثل (الدكتور عبد الهادي التازي)، خير مَنْ حقق رحلة (ابن بطوطة) إلى اليوم، في خمسة أجزاء «تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، وانصرف إلى التثبيت من بعض حقائقها ولم يكفّ، بعدها، عن الدعوة إلى إنشاء متحف (لابن بطوطة) تُجمع فيه نسخ الرحلة الأولى وما يتصل بمرويّاته فيها.

ووسعتُ أيضًا، إلى جانب هذا، معرضًا لكتب الرحلة العربية، على مدى ألف عام، مما تولى المركز العربي في (أبو ظبي)، طبعه ونشره وعرضه. يتصفح مَنْ يستعرضها عناوين مثيرة تغريه بالاطلاع فيها على مشاهد حية، يتمنى معها أن تسعى دور الكتب في العالم العربي والإسلامي إلى احتوائها، عن طريق الاتصال بالمركز.

إن في الاطلاع على كتب الرحلة، في القديم والحديث، ثقافة متصلة بالعصر الذي نحن فيه، لم يصغها الفكر وحده، بل صاغتها النفس المنفصلة بمجموعها، حسًا وفكرًا ووجدانًا وحركةً حية. فهذه تجارب تاريخية إنسانية لم يبدعها الخيال، ولكن صاغتها حقائق المشاهدة والانفعال الحيّ بها.

ثم إنها ثقافة يتواصل بها تاريخ الحضارات في المشرق والمغرب، ويُطلُّ العرب بها على العالم، وتُتيح تقويم المواقف المختلفة بينهما، وتفتح الأبواب، على سَعَتِها، بين الزمان والمكان، وتقوى معرفة الإنسان العربي بنفسه، في ضوء معرفته بالآخر، واستشراف مستقبله، في ضوء اتصاله بماضيه القائم هنا، بين السمع والبصر!

ثم إنه، بعد ذلك، أدب حيّ، لأنه وليد التجربة العملية، سهل مطبوع، يمليه الانصراف إلى استيفاء الانطباع الآني والفكرة المباشرة، على غناهما، أحيانًا كثيرة.

ويُعَدُّ المغرب، موطنُ الرَّحَّالَتَيْنِ (ابن جبیر) محمد بن أحمد (٥٤٠ - ٦١٤ هـ = ١١٤٥ - ١٢١٧ م)، و(ابن بطوطة) محمد بن عبد الله (٧٠٣ - ٧٩٩ هـ = ١٣٠٤ - ١٣٧٧ م)، موطنُ الرِّيادة لأدب الرحلة. ويحتفظ المغرب لنفسه بهذه المرتبة المتقدمة.

فلهذا استضاف الندوة مرتين (سنة ٢٠٠٣، خلال الاحتفال بالرباط عاصمة للثقافة العربية، وسنة ٢٠٠٩^(١)).

هيأت وزارة الثقافة المغربية والمركز العربي برامج الندوة، وحددا محاورها: رحلات الحج، والرحلة إلى الآستانة (أيام الخلافة العثمانية)، من القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، إلى بحوث في تاريخ الأدب الجغرافي العربي، والرحلة إلى أوروبا وإلى الغرب عمومًا. خلال القرون الخمسة الأخيرة بوجه خاص، فشملت بهذا ما سُمته «الرحلة المعاصرة» التي كتبها أفراد رحلوا إلى الغرب للدراسة أو الهجرة أو اللجوء. وكان لبعض الإخوة من فلسطين حظ حسن فيها.

- ٢ -

صدرت الدراسات والبحوث المقدمة إلى الندوة، (دورة مايو - أيار ٢٠٠٩) في مجلدين (كما أشرنا في الحاشية السابقة)، كان عنوان الأول منهما: «أوروبا في مرايا الرخّالين العرب: المعرفة، الحداثة، الآخر» وعنوان الثاني: «مشرق. مغرب. عرب. مسلمون: ديار الإسلام من الأندلس إلى إستانبول». واستهلّهما السيد (محمد أحمد السويدي)، الذي يرمي المركز، بكلمة أشار فيها إلى أن الغاية من كتب الدراسات والأبحاث في الأدب الجغرافي، هي «إثارة اهتمام أكبر بموضوعاته، وسد الحاجة إلى رفاة نصوص أدب الرحلة [في السلسلة التي يخرجها المركز بعنوان: مئة رحلة عربية إلى العالم] بأبحاث ودراسات تصل بها إلى النفوس على نحو أفضل، وتقرّب منها الآثار التي كتبها الرحالة والجغرافيون العرب والمسلمون على مدار عشرة قرون، فتسهم، على نحو أفضل، في فهم الأسس التي تقوم عليها نظرتهم إلى ذواتهم وإلى الآخر، في الشعوب والحضارات الأخرى، فيقوى إدراك العربي والمسلم بوجودهما وبالكون من حولهما».

(١) صدر عنها، في دار السويدي للنشر والتوزيع - أبو ظبي ٢٠٠٩ (المملكة المغربية - وزارة الثقافة) مجلدان. ووُزِعَ، مع المجلدين، مجلد آخر بعنوان «رواد الآفاق - الرحلة العربية: المغرب منطلقًا وموتلاً». ضمّ أبحاث الندوة الأولى سنة ٢٠٠٣.

وقع المجلد الأول، تحت عنوان «العرب وأوربة - مرايا الذات والآخر» فشمّل البحث صورة بيزنطة وروما في المدوّنات الأولى للرحّالين والجغرافيين العرب، وقراءات متجددة لرحلة (أحمد بن فضلان)، في القرن العاشر الميلادي إلى بلاد الترك والخزر والصقالبة، تدخل بالقارئ العربي في سلسلة من الارتبكات التاريخية من حول الرحلة وأصول الخزر وصلاتهم بالتاريخ العربي، ورحلة (أبي دُلْفَ) إلى أرمينية والصين، إضافة إلى بحثٍ في علم الخرائط في الفكر الجغرافي الإسلامي.

وتحت العنوان الشامل «العرب وأوربة» نقرأ أخبار رحلة (فخر الدين المعني) إلى إيطالية (١٦١٣ - ١٦١٨)، ورحلة (الصفّار) إلى باريس (١٨٤٥ - ١٨٤٦)، و«الرحلة التتويجية للرحّالة المغربي (الحسن بن محمد الغسّال ت ١٩٣٩) في بداية القرن الماضي، إلى عاصمة البلاد الإنكليزية»، وما رواه «مغامر مغربي في أرض الهنود الحمر، في أبكر رحلة شرقية إلى أمريكا الشمالية».

ونقع في المجلد نفسه على أفكار وقضايا وشهادات تتصل بانتساب الرحلة إلى الجنس الأدبي الأقرب إليها، وبالحدّثة ومستوياتها فيها، مع إطلالة على المشهد الصيني من خلال أربع رحلات في نصف القرن الأخير من تاريخ الندوة (١٩٦٦ - ٢٠٠٨).

أما المجلد الثاني، فيضمّ، في قسمه الأول، البحوث التي ألفت في رحلات الحج: مشاهدات (ابن بطوطة) في الحجاز والجزيرة العربية، والرحلات العلمية والحجازية خلال العهد العثماني (القرن السابع عشر) من الجزائر «رحلة الميجاجي»، والرحلة الفاسية (لابن كيران الفاسي)، ونموذج للرحلة الفقهية، ورحلة (خير الدين الزركلي) من دمشق إلى مكة، ورحلة مسلم من الهند إلى مكة «رحلة الصديق إلى البيت العتيق».

ويضم هذا المجلد، في القسم الثاني منه، مجوِّثاً في الرحلات من الأندلس والمغرب إلى إستانبول، بينها رحلة أحد المدجّنين، في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، ودراسة في مسلك (ابن بطوطة)، وصورة لإستانبول في أواخر القرن الثامن عشر.

ويتضمن القسم الثالث من المجلد أبحاثاً في الرحلة المعاصرة، بينها يوميات طبيب فلسطيني بين البقاع وبرلين، ومشاهدات في الإسكندرية.

اقتصرت، في هذا التقرير، على أهم ما يلفت النظر، خلال أيام الندوة الثلاثة، قبل أن تنفضَّ عن الحقائق والأفكار والشهادات التي أتيتُ فيه على طرفٍ منها، ووسعتها الكتب والمجلدات الموزعة على المشتركين فيها، طمعاً في التمكين لهذا الجنس الأدبي - الجغرافي الذي يجمع، في صورته الحيّة المثيرة، بعض معارف الزمان والمكان، ويهيئ السبيل إلى دراسات غنية تتناوله، فتعيد النظر في أحكامنا عليه، وتُستخلص شهادات أخرى تجعله، في عين الناظر، يemor بمحركة الحياة فيه.

وكانت الجلسة الأخيرة، في الندوة، من حول طاولة مستديرة، ينظر المشاركون فيها في أدب الرحلة، بصفته «الشبكة الذهبية للحضارة العربية الإسلامية» والجسر الذي يصل المشرق بالمغرب، والعرب بالعالم، ويقومون جهود المركز العربي واستراتيجيته وخططه في تقديمه وتحقيق المنجز المغربي فيه. وينتهون إلى إلقاء نظرة جامعة على أدب الرحلة المعاصرة من خلال المنشور فيها.

- ٣ -

افتتحت الندوة وزيراً الثقافة المغربية، في قاعة المكتبة الوطنية، في الرباط. ثم أُلقيت كلمات المسؤولين في وزارة الثقافة، والجالية المغربية في الخارج. وجرى توزيع «جائزة ابن بطوطة» على الفائزين بها، ومثلها، في الحفل، تمثل رمزي للرحلة، صممه المثال المغربي (عاصم الباشا) الذي صمم منحوتةً لرأس (ابن بطوطة)، حملها معاني الصبر والاحتمال والتصميم التي يكشف عنها أدب الرحلة، في عصوره كلها.

في قاعة الندوة ألقى الباحثون بحوثهم، وجرى من حولها نقاش قصير أجابوا فيه عن بعض الأسئلة المطروحة. وكانت بين المنتدين الشاعرة الفلسطينية سلمى الخضراء

الجئوسي التي وفرت نشاطها اليوم في سعيها إلى نقل الجوانب الغنية من تراث العربية إلى الإنكليزية.

ولفتت نظري، في القاعة، سيدة مغربية، وقفت تقول، في مداخلتها: «يلزم أن نقف على الأبعاد الفلسفية لما نراه، وألا نكتفي، في أدب الرحلة، بكشف ما نرى. فما تعنيه الظاهرة في تفسير الحياة هو الذي يلزم، في أدب الرحلة، أن نقف عنده». وسيدة أخرى من السودان، تعمل في لندن، في جامعة أكسفورد. وقفت تعرض بحثها، في تاريخ الحزب، من خلال «رسالة ابن فضلان» التي يكثر من حولها الجدل، في رحلته إلى بلاد الترك والحزب والصقالبية، أيام الخليفة العباسي (المقتدر)، في القرن الهجري الرابع، وحول الحزب وأصولهم وتاريخهم طال الكلام. وما أعتقد أننا انتهينا فيه إلى شيء كبير.

ودار البحث الذي ألقيناه حول: مجموعة من ذكريات فارس من فرساننا، أيام حروب الإفرنج، جاب فيها معظم أرض الإسلام التي دارت عليها أحداثها: دخل مملكة بيت المقدس اللاتينية، أيام الهدن. حجّ إلى مكة. عاش نور الدين بن زنكي، بطل الدعوة إلى التحرير. صاحب بعض خلفاء الدولة الفاطمية في مصر، وشهد مآسي أيامها الأخيرة. عرف بعض ملوك الفرنجة، وجالس صلاح الدين، وصاد الوحوش الضارية في بعض غابات الشام وأحراجه يومذاك.

استرجع أسامة بن منقذ^(٢) هذه الذكريات، فحدّث بها سُمّاره ومجالسيه، في دمشق، بعد أن نيّف على التسعين (٥٧٠ - ٥٨٤ = ١١٧٤ - ١١٨٨م)، في

(٢) من الأسرة التي ملكت الأمر في قلعة شيزر وما حولها، شمالي حماة. درس اللغة والنحو والأدب على بعض شيوخ زمانه، وحفظ قدراً كبيراً من الشعر، ووعى القرآن وكتب الحديث والتاريخ والسير، وأفاد من معرفة النجوم ومواقعها، وتمرّس بأساليب القتال والصيد، على أيدي الفرسان في شيزر. يوصف، في مصادرها، بمجده الذهن وشجاعة القلب وخفة الحركة.

السِّنُّ التي يكتمل فيها للإنسان نضجُ الرؤية، وعمق الإدراك، وطول المعاناة، واستخلاص العبرة، إذ قُدِّر له أن يعاصر أصعب مراحل هذه الحروب، ويشهد تحرير بيت المقدس (٥٣٨ هـ = ١١٨٧ م) ويموت بعده بسنةٍ واحدة.

وقد سَمَّى كتابه، الذي استرجع فيه هذه الذكريات، «كتاب الاعتبار»، حتى تُستخلص منه العبرة التي أَرادها، وأشار إليها في الكتاب، غير مرّة: «إنَّ ركوب أخطار الحروب لا يَنْقُص الأجل المكتوب. والعمر مُوقَّتٌ مقدَّر، لا يتقدم أجله ولا يتأخر. والنصر في الحرب من الله، لا بترتيبٍ وتدبير، ولا بكثرةٍ نفيٍ ولا نصير». وروى أحداثها ووقائعها، على غير نسقٍ تاريخي منظم، فإنَّ فيها من تداخل الذكريات، وعفوية التعبير، وحرارة الأداء، ما يصل بها، في بعض الأحيان، إلى حدود الدارجة، بغية الاقتراب من الواقع الحيِّ، حتى لتقرب، أحياناً، من أن تكون أمثلةً لبعض صياغات اللغة المحكيَّة في شماليّ الشام.

وتبدو قيمة مروياتها، إلى جانب ما ذكرنا، في حُسن تصويرها لأحوال المجتمع القائم في مصر والشام يومذاك، بما يلقي من كثرة الفتن، وتفريق الأهواء، وغلبة الأطماع، واحتلال الأمن، وفُشُو بعض التيارات الفكرية المتطرّفة، والمجتمع كله، يومذاك، يزرح، تحت ثقل غزو الإفرنج، واتساع أذاه، ونحوض الناس له.

وفي المرويات، من وصف أحوال الحياة والناس، في بلاد الشام حينها، ومن صور الطبيعة فيها، وأحوال النمو الاقتصادي الذي عرفته بعض مناطقها، من وفرة غلات الأرض (من الزروع والقطن والزيتون في «كفر طاب»^(٣) مثلاً)، وتطور أساليب استثمارها (نظام السقاية وانتشار النواعير والأرحاء العاملة على مياه العاصي)، إضافةً إلى غنى الطبيعة في غابات سهل الغاب وأجماته، وغاب الرُّوج، بين حلب والمعرّة،

(٣) معناها: «القرية الطيبة». وتقع بين حلب والمعرّة. ما يزال موقعها معروفاً، على ما أخبرني بعض

ونُظِمَ التعامل بين الناس، وبينهم وبين السلطة ورجالها، وتنوع أنواع السلاح، وأساليب المواجهات العسكرية، وما يسميه أسامة: «التحرُّز» و«التحصين» و«الترهيب» و«التخيل»، وأنواع الألبسة العسكرية، وسياسة الأحصنة والخيول في أوقات السلم والحرب، وتنظيم الحصون والقلاع والبيوت، والمدن وأسوارها، وأثر التبادل الحضاري الذي تمَّ في هذه الميادين كلها.

وفيها، من صور الحياة في مصر، آخر أيام الدولة الفاطمية (٥٤٠ - ٥٤٩هـ)، وقد مضى، من عمر الحملة الصليبية الأولى، أكثر من أربعين عامًا (٥٤٩٠ = ١٠٩٧م)، قامت فيها المملكة اللاتينية في بيت المقدس، والإمارة الصليبية في أنطاكية، والكونتيات في الرُّها وطرابلس ويافا وعسقلان، ما وسعته ذاكرة أسامة، من أحداث الفوضى السياسية والاجتماعية، وما صحبها من حبك المؤامرات في دهاليز القصور، ووقوع الفتن في عسكر الفاطميين، في مصر.

فهكذا هيأت الأقدار لصاحب هذا الكتاب المثير أن يشهد ما شهد من مشاهد هذه الحروب، في المواقع التالية:

- في شَيزر وما حولها، وفي الموصِل، (إلى سنة ٥٢٢هـ = ١١٢٨م).
- في حلب وما حولها، وحضوره مصافِّ قنَّسرين (إلى سنة ٥٣٠هـ = ١١٣٥م).
- في حصار الإفرنج لشيزر، وفي أفامية، وما حولها، وقتال صاحب حماة «محمود بن قراجا»، وفي حلب وما حولها: أنطاكية والجزيرة، أيام الزنكيين (إلى سنة ٥٣٢هـ = ١١٣٧م).
- وفي دمشق وحروبها أيام أتابكتها، من البُوريين الأتراك، مع الأمير (مُعين الدين أنر)، عاملهم عليها إلى سنة ٥٣٩هـ = ١١٥٤م.
- وفي مصر وتوابعها، في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة الفاطمية. ومسيره منها إلى طبرية، عن طريق سَيناء وبصرى والبتراء ومصافِّ عسقلان، وبيت جبريل ويُنبي

ووادى موسى وصلّخد، وأسفاره التي شملت ساحة المنطقة كلها. وفي أخباره أنه سافر إلى قونيه وملطية وأرمينية (إلى سنة ٥٥٥٩ = ١١٦٣م).

- وفي حصن كيفا، على نهر دجلة، بين آمد وحزيرة ابن عمرو، في ديار بكر، وكانت في سلطة الأرتقيين العاملين في خدمة السلاجقة، من الأتراك.

- في دمشق، وقد استدعاه إليه السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأخذ يستشيريه، حين ينوي الخروج إلى قتال الإفرنج. وقد قضى أسامة أيامه الأخيرة فيها.

- ٤ -

على أن طوافه في بعض أنحاء العالم الإسلامي التي غزتها جيوش الفرنجة، أو احتلتها، وبعض المدن القريبة منها، لم يكن بقصد الترحّل والاطلاع على أحوال أهلها ونظم حياتهم، استجابةً لحاجات داخلية تجعل من الرحلة كسباً لغنى فكري ونفسي وثقافي عام، كما يفعل الرحّالة في التاريخ. ولكنها كانت استجابةً لحاجات يملئها الصراع مع الفرنجة، أو لقضاء مهمّات يتتدبه لها بعض من كان أمر المقاومة في أيديهم، من المسلمين.

صحيح أن النتائج، في الحالين، قد تبدو متقاربةً في كثير من الأحيان. ولكنّ حقائق المرحلة التاريخية السياسية والعسكرية والدبلوماسية، وحقائق الواقع والصراع على الأرض، لا بد أن تفرض نفسها على وقائع الرحلة في مراحلها كلها، أعني: أن حقائق الزمان والمكان، وحال الإنسان بينهما، في الطرفين المتصارعين، ينبغي أن يُحسب لها حسابٌ في تقويم النص المكتوب، وصلته بخصائص أدب الرحلة.

نعم! لقد وفّرت الرحلة، في مثل الحال التي نحن فيها، وصفاً لمواقف الاحتكاك بالشعوب الأخرى، في الطرف المقابل، ولكنها، هي أيضاً، كانت في حالٍ خاصة، تملئها حقائق الصراع المفروضة، وإن أفضت بعض أحوال سلوكها، بحقائق حياتها

الطبيعية، وبصورها في بلادها، وبتقاليدها وأحكامها ونُظُمها وعلاقات أهلها بعضهم ببعض.

فهل نستطيع، والحال على ما نقول: إن ما أملاه أسامة في الكتاب يمكن أن يعدَّ عملاً إثنوجرافياً^(٤) تفرَّغ فيه لوصف الأوضاع الاجتماعية والإنسانية للغزاة الفرنجة، في هذه المرحلة من الصراع الشامل؟

وهل يمكن أن يدخل ما كتبه ضمن الدراسة الحضارية الأنتولوجية^(٥) لهذه الشعوب، كما يريدونها أن تكون؟

يلزم، في رأيي، أن تكون مراعاة حقائق الزمان والمكان والأحوال الفكرية والنفسية التي صاحبت إملاء أسامة للوقائع التي اختارها في الكتاب، مما يُحسب حسابه في الجواب عن هذا السؤال، ومفاده: مراجعة النتائج التي ينتهي إليها البحث، في ضوء هذه الحقائق.

* * *

ندوة غنية عُنيت بقضايا الفكر الجغرافي ونشأته ونتاجه الأدبي والثقافي العام، لم أقرأ أخبارها، ويا للأسف، في وسائل الإعلام العربي، ومنشورات مؤسساته الثقافية. لعل التفاتنا إليها هنا يسدُّ بعض هذا النقص، ويلفت الأنظار إلى غنى المعرفة التي نفع عليها في كتب الرحالة العرب، في القديم والحديث، من جوانب الحياة كافة.

(٤) Ethnographie - مجموعة العلوم الإنسانية المختصة بوصف خصائص الشعوب.

(٥) Ethnologie العلم بأصول الشعوب وتفرُّقها وخصائص تكوينها العام.

رسالة في شرح بيت مالك بن الرّيب التميمي^(*)

د. أحمد خان^(**)

أحي الأعز

أنت لفتت نظري إلى بيت معروف لشاعر إسلامي مالك بن الرّيب التميمي المازني، وهو:

أقول لأصحابي: ارفعوني فإنني يقر بعيني أن سهيل^١ بدا لي

وسألتني: ماذا يريد الشاعر منه؟ وإن الشرح الذي كتب المرزوقي في كتابه الأزمنة والأمكنة^(١) عن كوكب سهيل غريب، وهو: عن بعض العرب النظر إلى سهيل يشفي من البرسام، ولذلك يقول مالك: أقول لأصحابي... إلخ، ويقول: سهيل أشفق الكواكب على الغرباء وأبناء السبيل. وبين رؤية سهيل بالحجاز وبين رؤيته بالعراق عشرون يوماً^(٢). وسألتني هل هذا ممكناً علمياً؟

(*) كان قد ورد هذا السؤال إلى الدكتور المولوي محمد شفيع (ت مارس ١٩٦٣م) عالم معروف في العلوم الشرقية، فأجاب عنه في ضوء علم حديث. وكانت الرسالة قد طبعت باللغة الأردنية في مجلة أوريثنتل كالج ميكرين (فبراير ١٩٦٢م). وأنا بدوري فضلاً على تعريبها هذبته، وجمدت حواشيها وأضفت فيها، لكن الفضل يرجع إلى صاحب الرسالة.

(**) عضو مراسل في مجمع اللغة العربية.

(١) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ): كتاب الأزمنة والأمكنة (حيدر آباد الدكن: مجلس إدارة المعارف، ١٩١٣م): ٢ / ٣٢١.

(٢) لسان العرب وتاج العروس: (سهل).

فأقول: إن هذا البيت لمالك بن الرِّبِّب من مرثيته الطويلة التي وردت في كتب الأدب مثل كتاب الاختيارين، وكتاب العقد الفريد، والأماي لأبي علي القالي، ومجاني الأدب وغيرها من الكتب، وبها شروح مختصرة للبيت مثل ما أشرت آنفاً. وقد وردت المرثية في كتاب الاختيارين وخزانة الأدب في ٥٥ بيتاً.^(٣) لكن قال أبو عبيدة: الذي قاله [مالك] ثلاثة عشر بيتاً، والباقي منحول ولده الناس عليه.^(٤)

لمعرفة ما قصد الشاعر من رؤية سهيل، لا بد لنا أن نعرف أولاً المكان الذي قال مالك بن الرِّبِّب البيت به. يُرشدنا أبو الفرج الأصفهاني في هذا الصدد في ترجمة مالك بن الرِّبِّب:

«قال ابن الأعرابي: مرض مالك بن الرِّبِّب عند قفول سعيد بن عثمان رضي الله عنه من خراسان في طريقه، فلمّا أشرف على الموت تخلف عنه (ذكر هنا عدة رجال)، ومات في منزله، فدفنّه، وقبره هناك معروف إلى الآن. وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه.^(٥) إنه واضح أن مالكا كان يرجع إلى وطنه في بلاد العرب إذ مات في الطريق. لكن مات في الطريق بأي مكان؟ لحسن الحظ نجد الإشارة إلى المكان في بيت له من هذه المرثية بأنه كان ذا «الطَّبَسَيْنِ»، يقول مالك:

دَعَايَ الْهَوَى مِنْ أَهْلِ وُدِّي^(١) وَصَحْبِي
بِذِي الطَّبَسَيْنِ^(٧) فَالْتَفْتُ وِرَائِيَا

(٣) المفضل الضبي والأصمعي: كتاب الاختيارين (تحقيق معظم حسين. دأكة: ١٩٣٨م):

١٦٧ - ١٧٧؛ خزانة الأدب، للبغدادي (تحقيق عبد السلام هارون): ١٧٨ / ٢.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م): ٤٧٤ / ٢٢.

(٥) كتاب الأغاني: ٤٧٤ / ٢٢؛ ولرواية أخرى للخبر، انظر: العقد الفريد (طبعة القاهرة:

C. Lyle: Ancient Arabian poetry: p. 61; 9 / 2: (1312

(٦) في العقد الفريد (تحقيق سعيد عريان، دار الفكر: ١٩٤٠م: ١٧٧ / ٣): أهل أود؛ وكذلك

في معجم ما استعجم، للبكري (تحقيق مصطفى السقا. القاهرة: لجنة التأليف، ١٩٤٩م:

ص ٨٨٧)؛ وأماي القالي (طبعة أولى، ذيله من ١٤١). وقال البكري: إن أود من بلاد

مأزن، وأورد هذا البيت شاهداً له.

إن «ذو» هنا زائدة، كما نقول: أتينا ذا اليمن.

وعلينا أن نحدد مكانة الطَّبَسَيْنِ أولاً. وإذا رجعنا إلى معجم ما استعجم للبكري فنجد هناك: الطَّبَسَان من أداني خراسان، ثم يقول: كُورَتَان بخراسان.^(٨)

وقد وصلنا إلى أن مالكا قال هذا البيت بالطَّبَسَيْنِ، والطَّبَسَان قريب من خراسان. والآن بقي في شأن رؤية سهيل هناك. في هذا الضمن يقول القالي في شرح هذا البيت: يقرّ بعيني... إلخ، يريد أن سهيلاً لا يُرى بناصية خراسان، فقال: ارفعوني لعلّي أراه، فتقرّ عيني برؤيته، لأنه لا يُرى إلا في بلده.^(٩) ومثله في لسان العرب وتاج العروس:

«وسهيل كوكب يمان. و[قال] الأزهري: سهيل كوكب يمان لا يُرى بخراسان، ويُرى بالعراق... وقال ابن كُناسة: سهيل يُرى بالحجاز وفي جميع أرض العرب، ولا يُرى بأرض أرمينية. وبين رؤية أهل الحجاز سهيلاً ورؤية أهل العراق إياه عشرون يوماً.^(١٠)

وأقول: إن قول القالي وابن منظور والزيدي بأن سهيلاً لا يُرى بأرض خراسان ليس بشيء على ما سألناه في قسم علم الفلك بجامعة بنجاب (بلاهور - باكستان) بهذا الشأن، وخاصة في رؤية كوكب سهيل في مكانة الطَّبَسَيْنِ بخراسان. فإنه أجاب: أن بُعد الزاوي (declination) لسهيل (Canopus) من استواء سماوي ٥ درجة ٤٠ دقيقة جنوباً، فلهذا رؤية سهيل ممكنة من جميع الأماكن التي تقع في ٣٧ درجة ٢٠ دقيقة أو تحتها. وإن

(٧) وفي العقد الفريد: بذِي الشَّيْطَيْنِ. والشَّيْطَان: واديان من بلاد بني تميم، كما أشار إليهما البكري في معجمه: ٨١٩ و٤٨٨. وأورد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ) في المقاصد النحوية (طبع بمعاش خزانة الأدب للبيدادي. طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ: ٣ / ١٦٥): بأرض شَطِّين. ويبدو أن القالي، بناء على هذه الرواية من البيت قال: إن أرض شَطِّين بخراسان، أو قريب منه.

(٨) معجم ما استعجم: ١٨٦، ٢٠٩، ٨٨٧.

(٩) أمالي القالي، ذيله: ص ١٤١.

(١٠) لسان العرب وتاج العروس: (سهل).

نظرنا إلى انحراف النور الجويّ Atmospheric refraction الذي يُرى من ٣٥ دقيقة فرؤية سهيل ستكون ممكنة من الدرجة ٣٨، كذلك. وبصورة أن نحسب التمايل الأفقيّ لأمكنة عالية فيمكن لنا رؤيته حتى الدرجة ٣٩.

وتحصيل الحاصل أن رؤية سهيل ممكنة من جميع الأمكنة في العالم التي تقع حتى الدرجة ٣٩ من خط الاستواء. وأفضل الأوقات لرؤيته شهر يناير في الشتاء.^(١١) وإن درجة خط العرض للطَّبَسِين، كما عرفنا من كتاب ليسترينج، هي بين ٣٣ و ٣٤ درجة. فلذلك رؤية سهيل ممكنة بما بل هي يقينية.^(١٢) ومن المحتمل أنه أي سهيل كان قريباً من الأفق بالطَّبَسِين لذلك قال الشاعر لأصحابه: ارفعوني لأراه. وعلى هذا نقول إن العلماء الذين قالوا إن سهيلاً لا يُرى بخراسان ليس بصحيح ولا على أساس علمي، بل هو منقول بدون فهم.

وشرح البيت الذي ورد في شرح مجاني الأدب يبدو أنه قريب من الصواب، حيث جاء فيه: يقرّ بعيني... يتقرر لنظري ظهور كوكب سهيل. ويروى: وقرّ لعيني، معناه تراح عيني لمنظر نجم سهيل.^(١٣)

وإن قول أبي محمد عبد الله بن يحيى بن كُنَاسَة (ت ٢٠٧هـ) الذي ورد في لسان العرب وتاج العروس بأن سهيلاً لا يرى بأرمينية يظهر أنه صحيح كذلك، لأن أرض أرمينية واقع فوق الدرجة ٣٩ من خط العرض.^(١٤)

(١١) وقد أفادنا الأستاذ حمّاد رضوي، بقسم علوم الفلك، بجامعة بنجاب (لاهور- باكستان)، فله الشكر.

Le Strange: The Lands of the Eastern Caliphates. (London: Frank Cass, 1966): map no 5

(١٣) شرح مجاني الأدب: ص ١٢٣٢.

Le Strange: The Lands of the Eastern Caliphates. P182, map no 3. (١٤)

هُدَى مَهَاةِ الْكَلْتَيْنِ وَجَلَا ذَاتِ الْحُلْتَيْنِ رَجْعَ صَدَى

د. تركي العتيبي (*)

هُدَى مَهَاةِ الْكَلْتَيْنِ كتاب شرح فيه ابن النحاس قصيدة شيخه شهاب الدين الشَّوَاءِ - رحمهما الله تعالى-، ثم بعد ذلك نظم ما فات شيخه من أفعال في قصيدته التي شرحها وسمّاها مهاة الكلتين، وروى الأولى بسنده الذي نصَّ عليه في أول الشرح. وقد ساور هاتين القصيدتين كلتيهما - دون شرحهما - شكٌّ منذ زمنٍ بعيدٍ، من صاحبهما؟ وإلى من تنسبان.

وكتب عن هذا الأمر محمد أبو شنب تعقيباً على الطباخ، كما سوف أفصّله بعد قليل، وبعد نشري للكتاب الذي تضمن مع القصيدة شرحاً لها، وشرحاً لتتمتها، كُتِبَتْ عدة مقالات في نقد الطبعة الأولى التي أخرجتها، وكان من المنشور مقالة لرئيس مجمع اللغة العربية في دمشق الأستاذ الدكتور شاکر الفخّام، نُشِرَتْ في الجزء الأول من المجلد الثاني والسبعين في الصفحات ١٥٥ - ١٥٨، وفيما يلي تعقيب على مقالة الأستاذ الدكتور شاکر الفخّام.

(*) باحث في الأدب والتراث من السعودية.

حديث نسبة القصيدة^(١):

أشرت عند تحقيقي لمهارة الكلّتين، وهُدَى مهارة الكلّتين إلى الشبهة التي تثار حول القصيدة التي شرحها ابن النحاس^(٢)، وملخص تلك الشبهة أن قائل القصيدتين هو ابن مالك، وكنث أزمعُ ألاّ أشيرَ إلى هذا الموضوع؛ لأنّ خروج الكتاب محققاً معزّواً قطع قول كلّ خطيبٍ، ورفع الحجب عن الشبهة التي قيلت، واللغظ الذي حدث منذ قرون، وخاصة أن من تحدّث عنها لم يشر إلى من رواها، أو أذن له بروايتها، أو أنه وقف عليها بسند مهما كان ذلك السند.

وفي الطبعة الأولى من هذا الكتاب التي أخرجتها اكتفيتُ بأن أشرتُ إلى النتيجة التي توصّلتُ إليها دون الخوض في تفصيلاتها بناءً على طلب بعض الزملاء الذين طالعوا العمل قبل خروجه.

ما الذي دار حول نسبة القصيدة؟ ومتى كان؟ وما أسباب هذا الشك؟

هذا ما سوف أجيّب عليه الآن، وكما أشرت كنت بمنأى عن الخوض في هذا الحديث لولا قول د. الفخّام عما انتهت إليه من إخراج الكتاب معزّواً إلى صاحبه حين قال: هذا لا يكفي في معالجة القضية المثارة أن ننسب الوهم إلى الإمام السيوطي ارتجالاً دون دليل مقنع.

ولا أدري ما الدليل المقنع لسعادته، ثم أي دليل يريده سعادة الدكتور أكبر من خروج الكتاب وفيه القصيدة معزّوة مشروحة منسوبة، والقصيدة بين يديه مروية بالسند المتصل إلى قائلها، وينص شارحها على بلد قائلها، ويكْمِل ما أحلت به وما نقص منها، أليس في هذا دليلٌ مقنعٌ غاية الإقناع لمن يبحث عن الحقيقة، ولا يهدف للنقد من حيث هو نقد فقط.

(١) تعليق على تعليق كتبه الدكتور شاكر الفخّام في مجلة مجمع اللغة العربية مع ٧٢ ج ١ ص ١٥٥ - ١٥٨.

(٢) في الطبعة الأولى انظر: ٤٥ - ٤٦.

ألم يكتب من كان قبل د. الفخّام، راغبًا في رأي من يقف عليها، إن كان لها وجود كما يقول، مع الفارق بين النَّفْسِ في كتابة الرجلين، فالأول ناشد من يستطيع الوقوف على النسخة ليتحقّق وجودها؛ لأنه شكك في وجود الكتاب في مكتبة كوبرلي، كما سترى، والثاني يرى الكتاب عيانًا رؤية الشمس في رابعة النهار ثم يسأل: أخرج النهار؟!

كل هذا الأمر دعائي أن أكتب، وما كتبت به بالأمس غير ما أكتبه اليوم. فلكلِّ مقامٍ مقال.

تاريخ مسألة الحديث عن نسبة القصيدة:

كُتِبَتْ ثلاث مقالات حول نسبة الكتاب، منها مقالتان حول الشكِّ في نسبة قصيدة بهاء الدين الشواء في الأفعال المعتلة بالواو والياء، وأنَّ شكًّا دار حول قائلها، وربما لم يكن الشواء، وإنما هو ابن مالك النحوي، إحداهما قبل إخراجي الكتابين محقّقين، وكانت تعقيماً على مقالة عرضت للقصيدتين، والأخرى بعد خروجهما، وبيان هذا كله على النحو الآتي:

المقالة الأولى:

كتب الأستاذ محمد راغب الطباخ - رحمه الله تعالى - تحت عنوان (رسالتان لغويتان) ما نصّه: «في المدرسة المنصورية بحلب بقية كتب مخطوطة من مكتبة وقفها على هذه المدرسة بانيتها الشيخ منصور السرميني المتوفى سنة ١٢٠٧هـ من جملتها شرح العلامة المناوي الكبير على الجامع الصغير للحافظ السيوطي، تصفحت هذا الكتاب فوجدت في آخره ورقتين كتب فيهما قصيدتان مهمتان في اللغة، يجدر بكلِّ عالمٍ وأديبٍ أن يطلّع عليهما لما فيهما من الفوائد اللغوية التي لا يتأتّى الوقوف عليها إلا بعد عناء كثير، وتتبع طويل، إحداهما: قصيدة في المقصور والممدود للإمام اللغوي أبي بكر بن دريد صاحب المقصورة الدريدية المشهورة...»

ثانيتها: قصيدة جامعة لما يكتب بالواو والياء للعالم الأديب أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي المعروف بالشواء الحلبي المتوفى سنة ٦٣٥هـ، وقد شرح هذه القصيدة محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي المتوفى سنة ٦٩٨هـ، وسمّاه (هدى أمهات المؤمنين)^(٣)، توجد نسخة منه في مكتبة كوبرللي في الأستانة ورقمها ١٤٩٩^(٤)، إن كانت هذه المكتبة باقية إلى الآن^(٥)».

ثم أورد الطباخ ما وجدته من القصيدتين.

المقالة الثانية:

بعد نشر المقالة السابقة عَقَّب عليها الأستاذ/ محمد بن أبي شنب بمقالة عنون لها باسم: إيضاح واستيضاح، وقال ما نصُّه: إيضاح واستيضاح.

وردت في الجزء ٧ و٨، من المجلد الثامن (تموز آب ١٩٢٨ وص ٤٣٢) رسالتان لغويتان عشر عليهما بحلب الأديب الشيخ محمد راغب الطباخ في آخر نسخة من شرح المناوي الكبير على الجامع الصغير للعلامة السيوطي.

أولاهما في المقصور والممدود لابن دريد...

والثانية جامعة لما يكتب بالواو والياء للعالم الأديب أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي المعروف بالشواء الحلبي المتوفى سنة ٦٣٥هـ، وقد شرح هذه القصيدة محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي المتوفى سنة ٦٩٨هـ وسمّاه (هدى أمهات المؤمنين)

(٣) كذا ذكر اسمها، وصوابه كما حققته: هدى مهة الكلّتين وجلا ذات الحلتين، كما نص عليه في مقدمة الكتاب.

(٤) هذا الرقم صحيح، فما زالت مكتبة كوبرللي تحتفظ بهذه النسخة، وهي النسخة الثانية التي اعتمدها في التحقيق في الطبعة الثانية، إذ لم أتمكن من تصويرها عند إخراجي الكتاب أول مرة.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي) المجلد ٧/ ٤٣٢ - ٤٣٣.

(كذا)، وتوجد منه نسخة في مكتبة كوبرللي في الأستانة تحت رقم ١٤٩٩، ثم أورد هذه القصيدة مشتملة على ١٩ بيتاً.

أقول: جاء في كشف الظنون (ط الأستانة ١٣١١ ج ٢ ص ٢٣٣) ما نصه: قصيدة فيما يقال بالياء والواو للأديب أبي المحاسن إسماعيل بن علي الشواء الحلبي المتوفى سنة (كذا) أولها:

قل: إن نسبت عزوته وعزيتته إلخ، شرحها محمد بن إبراهيم النحاس الحلبي المتوفى سنة ٦٩٨هـ، وسمّاه (هدى أمهات الكلمتين^(٦)) إلخ. ا.هـ.

ويوجد من هذه القصيدة نسختان في مكتبة برلين الملكية تحت رقم ٧٠٢٩ ورقم ٧٠٣٠، منسوبتان لكلاهما لابن مالك النحوي المشهور صاحب الألفية المتوفى سنة ٦٧٢.

وأورد السيوطي في المزهرة (بولاقي ١٢٨٢ ج ٢ ص ١٤٥) هذه القصيدة منسوبة لابن مالك أيضاً، ونقلها عن المزهرة نصر الهوريني في المطالع النصرية للمطابع المصرية (مصر ١٣٠٤ ص ٨٨) وزاد بيتاً من عنديته، هذا وقد قال السيوطي في البغية (ص ٦) في حق محمد بن إبراهيم بن النحاس المذكور أعلاه: إنه لم يصنف شيئاً إلا ما أملاه شرحاً لكتاب المقرب. ا.هـ.

وذكر نحوه ابن شاعر الكتبي في فوات الوفيات (بولاقي ١٢٩٩ هـ ج ٢ ص ١٧٢). ولم يذكر ابن خلكان في الوفيات (مصر ١٣١٠ ج ٢ ص ٤١١) قصيدة في قيد الأفعال الواوية الياوية لأمّا^(*) لأبي المحاسن الشواء.

(٦) تصحفت مهاة إلى أمهات كما ترى، وتصحفت الكلمتين إلى الكلمتين، وسبحان الله يقولون ويرزقون.

(*) يريد: الأفعال التي جاءت لامئها بالواو وبالياء [المجلة]..

ومما يؤيد أن القصيدة لابن مالك ما قاله الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري في كتابه «المواكب العلية في توضيح الكواكب الدرية في الضوابط العلمية (مصر سنة ١٣٠٤ ص ٢٠٠).

وبعد فقد أبدى ابن مالك نظم ما بوجهين من واوٍ وباءٍ معاً يقرأ
وفي الختام أطلب من ساداتي العلماء الأعلام تحقيق نسبة ناظم القصيدة، والوقوف
على اسم صاحب هذه الخريدة مأجورين مشكورين.
هذا كل ما ذكره محمد بن أبي شنب في هذه المسألة^(٧).

وبعد مدةٍ من الزمن طويلة من نشر هاتين المقالتين، وفقني الله سبحانه وتعالى إلى
الوقوف على هذا الكتاب متضمناً القصيدة مع شرحها، مرويةً بالسند المتصل إلى
قائلها، حققْتُ الكتاب ونشرته، بعد ذلك كتب د. شاعر الفحّام ما كتب، وهو ما
أشرت إليه بالمقالة الثالثة.

المقالة الثالثة:

كتب هذه المقالة كما ذكرت آنفاً د. شاعر الفحّام في التعقيب على نشري
الكتابين^(٨)، وذكر أمرين أوردتهما عند الحديث عن نسبة القصيدة والكتاب، وهما:
أولاً: أنني ذكرتُ أنّ السيوطي وهم في نسبتها إلى ابن مالك.

ثانياً: أنني ذكرت نسخةً مخطوطةً نُسبتَ هاتان القصيدتان فيها إلى ابن مالك.
وعلّق على ذلك بأنّه يعتقد أن هذا لا يكفي في معالجة القضية المثارة أن نسب

(٧) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨ / ٦٩٢ - ٦٩٣.

(٨) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٧، ١ / ١٥٥.

الوهم إلى الإمام السيوطي ارتجالاً دون دليل مقنع^(٩)، وملخص ما كتبه هو:
 أولاً: أشار بعد ذلك إلى ما كتبه الأستاذ محمد راغب الطباخ، وما كتبه الأستاذ
 محمد بن أبي شنب، وأنه أشار إلى ما ذهب إليه السيوطي وما نقله نصر الهوريني عن
 المزهر.

ثانياً: قال د. الفخّام عن كاتب المقالة السابقة ما نصه: «وخلص في مقالته إلى
 أن القصيدة لابن مالك»^(١٠).

ثالثاً: أشار إلى أنّ ابن النحّاس كان من تلاميذ ابن مالك، وأحال على ما ذكرته
 في دراستي للكتابين، ثم ذكر بعد ذلك أنّ ابن النحّاس عرّف بكتابه التعليقة على
 المقرّب، وذكر أن من ترجم له أشاروا إلى أنه لم يصنّف شيئاً سوى شرحه على
 المقرّب، الذي هو التعليقة السابقة الذكر.

رابعاً: ذكر رغبته في أن أقوم بتحقيق نسبة شرح ديوان امرئ القيس المسمّى
 بالتعليقة، والذي شكك فؤاد سزكين في نسبته إلى ابن النحّاس.
 وذكر البيت الذي أضافه الهوريني، والذي قال عنه محمد بن أبي شنب: إنه من
 عنديته.

وذكر أن طائفة من الكتب التعليمية كانت تشتمل على القصيدة المذكورة.
 وقال أيضاً: «لقد بذل الأستاذ الفاضل جهده فقدّم نصّاً أقرب ما يكون إلى
 أصله، وإني لأرجو أن يوفق الأساتذة العلماء لإكمال المسيرة في إصلاح ما بقي من
 خطأ، وفي الكشف عما ينتهون إليه في معرفة صاحب الأبيات».

(٩) علماً بأن الكتاب أخرجته معتمداً مطبوعاً والقصيدة فيه مشروحة شرحاً كاملاً، وهو بين يديه.

(١٠) نقلت نص ما ذكره الأستاذ محمد بن أبي شنب، وهو يؤيد أنها لابن مالك محتجاً بما ذكره

الأيباري، والأيباري متأخر جداً، فقد توفي سنة ١٣٠٥ هـ.

هذا هو مضمون المقالة كاملاً غير منقوص.

وخلاصة ما ورد في المقاليتين السابقتين اللتين شككتنا في صحة الأبيات، أنّ السيوطي نسبها إلى ابن مالك، وأنها وجدت في نسختين خطيتين منسوبة إلى ابن مالك أيضاً، وأن الكتب التعليمية المتأخرة أوردتها منسوبة إلى ابن مالك.

وقبل أن ناقش الشُّبه المثارة أود أن أقرّر الآتي:

أولاً: أن أقدم من نسب هذه القصيدة إلى ابن مالك النحوي هو السيوطي في الزهر، ولم أقف على من نسبها إلى ابن مالك قبله، ولا بعده ممن يعتد بهم في معرفة الكتب والتدقيق في نسبتها، أما ما جاء في المدونات التعليمية فأمر لا يقوم أمام التحقيق في التدقيق عن نسبة النصوص، لأن الكتب التعليمية كان هدفها جمع المتون.

وأضيف إلى أنه لم يشر الذين كتبوا حول هذا الموضوع إلى من نسبها إلى ابن مالك قبل السيوطي.

ثانياً: أن الشَّوَاء ناظم الأبيات الأولى لم يتحدث عنه كاتبا المقاليتين، ولم يُراجعا ترجمته وأخباره، وما قيل عن أشعاره، وإن كان الأستاذ محمد راغب الطباخ قد ساق اسمه ونسبه وسنة وفاته سيقاً صحيحاً، ووثق ما توصل إليه.

ثالثاً: إشارة بعض من ترجم لابن النحاس إلى أنه لم يصنّف شيئاً سوى شرحه على المقرَّب^(١١).

رابعاً: ذكر الكتب التعليمية المتأخرة التي عنيت بجمع المتون هذه القصيدة منسوبة إلى ابن مالك نقلاً عن السيوطي، وأضاف بعض المتأخرين لها أبياتاً ليست منها، كما نص على ذلك الأستاذان في مقالتيهما.

إذا كان أول من نسب هذه القصيدة إلى ابن مالك هو السيوطي، وبين الرجلين

(١١) انظر المقالة السابقة.

قرنان من الزمان - كما هو معلوم، فابن مالك في القرن السابع، والسيوطي توفي في أول القرن العاشر - ولا اتصال بينهما، ولم يورد السيوطي توثيقاً لما قال، ولم يُشر إلى رواية سابقة، أو سند لرواية، أو نقل عن سابق، وإنما جاءت بداية النسبة منه، ولم يُبين مصدره سواء أكان كتاباً كما كان يفعل أحياناً، أم نقلاً عن متقدم كما يفعل أحياناً أخرى.

ومع هذا فإن السيوطي قد قال: «ذكر الأفعال التي جاءت لاماتها بالواو وبالياء، عقد لها ابن السكيت باباً في إصلاح المنطق وابن قتيبة باباً في أدب الكاتب، وقد نظمها ابن مالك في أبيات...»^(١٢). ثم أورد تسعةً وأربعين بيتاً من القصيدتين معاً دوت تمييز بينهما، ولم يعرف أنهما اثنتان، وليست واحدة، وأن الثانية تنتم للأولى.

لم يذكر السيوطي سنداً لهذا الكلام، وإنما أطلقه هكذا كما أوردته، ولما ذكر ابن السكيت وابن قتيبة أحال على كتابيهما، أما ما يتعلق بابن مالك فلم يحل على كتاب، وإنما جاء بالكلام مطلقاً.

هل هو أمر خفي على السيوطي، فلم يعرف له مصدرًا؟

ثم لما أورد الأبيات خلط بين القصيدتين، أعني قصيدة الشواء وقصيدة ابن النحاس التي استدرك فيها ما فات الشواء، وخالطه بين القصيدتين يجعله قميناً بالخلط في القائل.

كيف تكون القصيدة لابن مالك الذي كان حفيًا بالإحالة على كتبه، وذكر منظوماته التعليمية، ولم يذكر أنه نظم الأفعال المعتلة بالواو وبالياء، ولم يُشر إلى هذا في شيء من كتبه، فيما وقفت عليه، وما تتبعته منها، كما أن غيري لم يُشر إلى شيء من هذا.

كما لم يذكر المترجمون المتقدمون أن لابن مالك نظمًا لما ورد من الأفعال المعتلة

بالواو وبالياء^(١٣)، ومن هؤلاء السيوطي نفسه، الذي أورد ترجمة ابن مالك وعدّد كتبه، وقد حرص على استقصاء مؤلفاته^(١٤)، لم يذكر أنّ ابن مالك نظم الأفعال المعتلة بالواو وبالياء عند حديثه عن ترجمة ابن مالك في بغية الوعاة.

ومما يؤكد نفي نسبتها إلى ابن مالك أن عددًا من تلاميذه حصروا مؤلفاته، ومنهم من نظم مؤلفات ابن مالك في قصيدة، والقصيدة حاصرة لكل ما قاله ابن مالك من نظم أو كتبه من مصنفات، وليس في القصيدة ما يُشير إلى أنه نظم الأفعال الواوئية اليائية، والقصيدة التي تضمنت مؤلفات ابن مالك نقلها تاج الدين بن مكتوم في تذكرته، ونقلها عنه السيوطي^(١٥).

هذا ما يتعلق بنسبة القصيدة إلى ابن مالك، فليس هناك دليل واحد يدل على أنه نظم شيئًا في الأفعال المعتلة بالواو والياء.

بعد هذا: لا يمكن أن يكون ما ورد في المزهرة أصح مما ورد في ترجمة الرجل، ويكون دليلًا قويًا في إثباتها لابن مالك لمجرد نقل يحتمل الخطأ!!!

ومن المعلوم أن بهاء الدين بن النحاس كان من تلاميذ شهاب الدين الشواء ومن تلاميذ ابن مالك، ولم يذكر أن ناظم القصيدة هو شيخه ابن مالك، بل قطع بأن ناظمها هو شهاب الدين الشواء، بعبارة صريحة، ولم يتردد في ذلك، ورواية ابن النحاس لها بالسند المتصل دليل إثبات على معرفة قائلها، ويقوي هذا أمران:

أولاً: قرب زمن ابن النحاس من الاثنين معًا، أعني الشواء وابن مالك، فهو معاصر لهما في القرن السابع، بخلاف السيوطي؛ إذ كان من أهل القرن التاسع وأول القرن العاشر.

(١٣) انظر: فوات الوفيات ٣/ ٤٠٧ - ٤٠٩، الواوي بالوفيات ٣/ ٣٥٩، نفح الطيب ٢/ ٢٢٥.

(١٤) انظر: بغية الوعاة ١/ ١٣١ - ١٣٤.

(١٥) انظر: المصدر السابق ١/ ١٣١.

ثانياً: رواية ابن النحاس لهذه القصيدة غير مرة، كما سيأتي في التحقيق. ونسبته هذه القصيدة إلى صاحبها الشواء، هو تلميذ ابن مالك، والوهم في حقه هنا غير وارد. إذن فهذه القصيدة للشواء الحلبي، والدليل على هذا الأمور الآتية:

أولاً: أنها جاءت مرويةً بالسند منسوبةً إليه، ورواها عنه تلميذه ابن النحاس الذي أكد أنه روى القصيدة عن ناظمها غير مرة فقال ما نصُّه: «أخبرني الأديب الفاضل العالم شهاب الدين أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي الحلبي المعروف بالشواء - رحمه الله - فيما أذن لي بروايته عنه غير مرة قال:

قُلْ: إِنْ نَسَبْتَ عَزْوُثَهُ وَعَزَيْتُهُ وَكَنْوُثُ أَحْمَدَ كُنَيْةً وَكَنْيَتُهُ»^(١٦)

إذن ابن النحاس رواها بالسند المتصل بشهاب الدين غير مرة، وشهاب الدين أذن له بروايتها عنه فيما أذن له بروايته.

وهل تبصّر في هذا الإسناد المتصل؟ ثم ألم يفتن إلى إشارة الشارح إلى أن دافع البلدية^(*) الجامع بينهما حملة على الشرح والإتمام.

ثانياً: معرفة ابن النحاس بالشواء معرفة ثاقبة، يؤكد ذلك ما وصفه به عند الحديث عنه، وبيان ذلك قول ابن النحاس ابتداء ما نصُّه: «فإنَّ بعض من يعزُّ عليَّ جاءني بقصيدة الأديب العالم الفاضل المتقن شهاب الدين أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم الحلبي المعروف بالشواء - تغمده الله برحمته - التي جمع فيها بعض ما يقال بالياء والواو»^(١٧).

ثالثاً: أنهما من بلدٍ واحدٍ، كما أشرت، فكلاهما حلبيٌّ، وهذا أقوى في المعرفة، وأدقُّ في نقل الخبر بوجهٍ عام، وبه افتخر ابن النحاس، ونهضت همته للشرح

(١٦) هدى مهاة الكلتين ٧٦-٧٧.

(*) يريد: أنهما من بلدٍ واحدٍ [المجلة].

(١٧) المصدر السابق ٧٣-٧٤.

والاستدراك في وقت أبان أنه متعب النفس كليل الذهن بسبب البعد عن البلد. فله بالشواء جامع البلدية، كما نصَّ عليه، فقال: «فنشَّطني لذلك جامع البلدية، وأن أومئ إلى مقدار ما اشتمل عليه أهل بلدي من الفضائل، وامتازوا به من العلوم التي لم يجر مثلها إلا أكابر الأوائل، وإذا كان هذا شواءهم فكيف رؤساءهم وكبرائهم، وحسي ما أبقوه من تواليهم على ما ذكرته دليلاً، وما خلدوه من منظومهم ومنثورهم بتحقيق ما وصفته عنهم كفيلاً»^(١٨).

وبهذا السند المتصل من علم من أعلام العربية عُرف بالثقة والديانة والصلاح، ولم يَذكر عنه المترجمون إلا خيراً يعلم صاحب القصيدة بإسناده الصريح، ولا يطعن فيه ذكر من ذكرها من غير إسناد ولا دليل سوى شهرة ابن مالك بالنظم فقط، إذ ليس النظم حصراً على ابن مالك، ولا هو الأول فيه، وليس هو الأخير، فقد نظمت علوم العربية قبله بأكثر من ثلاثمئة عام، ونظم بعده كثيرون، وهذه من تلك.

وإذا كان ابن أبي شنب ود. الفحّام اعتماداً على ما جاء في المزهر، وكما أشرت هو محل الوهم فلم ينسب القصيدة أحد قبل السيوطي إلى ابن مالك، فهل نسب هذه القصيدة غير ابن النحاس والسيوطي؟

أقول: لقد نسب هذه القصيدة عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة ٧٤٣هـ إلى الشواء فقال عن ابن النحاس: «وشرح القصيدة التي في الأفعال لأبي المحاسن الشواء الحلبي، في مجلدة لطيفة»^(١٩).

ونسبها بعده الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ، وقال كلاماً قريباً من كلام عبد الباقي اليماني^(٢٠).

(١٨) المصدر السابق ٧٤.

(١٩) إشارة التعيين ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢٠) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١٨٢ - ١٨٣.

وقال حاجي خليفة: «قصيدة فيما يُقال بالياء والواو للأديب أبي المحاسن إسماعيل يوسف بن إسماعيل بن علي الشواء الحلبي، أولها:
قل: إن نسبت عزوته وعزيتته... إلخ

شرحها محمد بن إبراهيم النحاس الحلبي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وسمّاه هدى^(٢١) مهاة الكلتين، أوله: الحمد لله منطق اللسان»^(٢٢).

أيهما أحق بالقبول السيوطي الذي أطلق النسبة إطلاقاً دون عزو أو إسناد، والمتأخر زمنًا عن القائلين، أو من كان معاصرًا لبعضهم كعبد الباقي اليماني، والذي حرّر القول تحريراً دقيقاً، وكذلك الفيروزآبادي، وكلاهما متقدّم على السيوطي، سابق له، ومثلهما حاجي خليفة الذي ذكر القصيدة وقائلها، وذكر الشارح وكتابه، ونقل مقدمة كتابه وهي هي كما جاءت في أول هذا النص المحقق.

لا أظن أن قائمة الشك ستبقى بعد بيان ما سبق، وبعد ما نقلته من توثيق هؤلاء الأعلام، رحم الله الجميع.

أما ما ذكره المترجمون من أن ابن النحاس لم يصنف سوى التعليقة على المقرب، فلا يمنع عدم العلم بالوجود من الوجود، وخاصة إذا علم أن ابن النحاس نفسه صرّح بعزمه ألا يظهر عنه تأليف، ولا يذكر له تصنيف استقصاءً لنفسه عن درجة الفضلاء، وليس به قصور - رحمة الله تعالى - ولكنه تواضع من عرف للعلم وأهله حقهما، فقال: «فأملت على ذلك ما سمح به خاطر، وما اشتمل عليه ما حضرني من الدفاتر، وقد كنت على عزم ألا يظهر عني تأليف، ولا يذكر لي تصنيف،

(٢١) في كشف الظنون: هذا، وهو خطأ طباعة، وعلق عليه الناشر، وأشار إلى التصحيحات السابقة في مقالة محمد بن أبي شنب.

(٢٢) كشف الظنون ٢ / ١٣٤٤.

استقصارًا لنفسه عَلمَ الله عن درجة الفضلاء، وخطًا لها عن مرتبة العلماء، وضيق صدر لما مُنيتُ به من مفارقة الوطن، وتُعد الأهل والسكن»^(٢٣).

وها هي كتب المخطوطات تنسب له شرحًا لديوان امرئ القيس، ويشكك فيه سرّكين، كما ذكر د. الفخّام.

والأمر الآخر، أنّ العمل الذي أخرجته وجدت فيه جميع آلة توثيق نسبة المخطوط إلى صاحبها، فهي لابن النخّاس، صرّح باسمه في أولها وفي آخرها بما لا يدع مجالاً للشك فيها، وأضيف أمرًا آخر، كنت لا أرغب الحديث فيه ولكن لا بدّ منه الآن، أنني فرغت من تحقيق التعليقة على المقرب قبل عام ١٤١٠هـ^(٢٤)، ولم أخرجها لأسباب كثيرة دعّني إلى التريث، فعرفت أسلوب الرجل، وتميزه عن غيره بأشياء يدركها من قرأ كتابه، وهي هي بعينها في هذين العملين، ولعلّي أفضل الحديث فيها عند دراسة الشرح المنسوب إليه.

أما النسختان المخطوطتان في مكتبة برلين فحاولت الوقوف عليهما، وفي القريب بإذن الله تعالى ستصل صورة منهما، ولا أظن فيهما غير ما وقفت عليه في النسخة المخطوطة التي أشرت إليها في الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وخلاصة ما في هذه المخطوطة أن ناسخها أورد القصيدتين على أنهما قصيدة واحدة، وقال في أول هذا المجموع: «هذا مجموع مشتمل على الفرائد الوفية ثم ضابط الأفعال المركبة والحرفية، وعلى ما جاء بالواو والياء نظمًا لابن مالك»^(٢٥).

(٢٣) هدى مهة الكلّين ٧٤-٧٥.

(٢٤) خرج بتحقيق د. خيرى عبد الراضى عبد اللطيف عن مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع هذا العام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

(٢٥) مجموع مخطوط مكتوب سنة ١٢٣٠هـ، محفوظ برقم ٦٨٠٨خ، المخطوطات، المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقبل القصيدة قال ما نصه: «منظومة فيما ورد بالواو والياء من الأفعال للإمام ابن مالك على ما قاله الشيخ السيوطي في مزهره»^(٢٦).

وكما هو ظاهر فيما نص عليه ناسخ هذا المجموع أنه ناقل عن السيوطي، والرد عليه يكفي فيه ما ورد سابقاً من نقض كلام السيوطي.

وأضيف أن مشكلة النسبة التي جاءت بعد السيوطي لم تكن ظاهرة قبله، فهناك مخطوطات جمعت القصيدتين، وجعلتهما واحدة، وأثبتت نسبتها إلى ابن النحاس كالمجموع المحفوظ في مكتبة تشسترتي برقم ٣٥٨٧، ومنه مصورة بجامعة الإمام بالرقم نفسه (ف) في آخر ورقة منه نسبت القصيدة إلى الإمام بهاء الدين بن النحاس المصري - رحمه الله -.

وقد كتب هذا المجموع لنفسه عبد الرحمن بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سبع بن مالك النفزي الحميري البياري الأندلسي، وذلك يوم الخميس لأربع ليال بقين من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمئة.

وهذا المخطوط قبل السيوطي، بل قريب العهد من ابن النحاس، رحم الله الجميع، فلم تكن مشكلة النسبة إلى ابن مالك ظاهرة قبل أن يقول السيوطي ما قال، وقد بان مما سبق كله صحة نسبة القصيدة الأولى منهما إلى الشواء الحلبي، والثانية المئمة للأولى لتلميذه بهاء الدين بن النحاس.

أما الكتب التعليمية التي خرجت في القرون المتأخرة فلا يمكن أن تكون دليلاً على إثبات الكتب، لأنها لم توضع لهذا الغرض ابتداءً، وإنما تقوم على جمع المتون، دون تدقيق في كثير منها، ومن هنا أمكن التوارد على نسبة الخطأ، فثقة منهم بما يقوله

(٢٦) المجموع السابق ١١١، والقصيدة في ١١١ - ١١٣.

السيوطي وبما ينقله، نقلوا كما جاء عنه، وربما وجد في المخطوطات من نقل الخطأ فكثر هذا النقل، وبسبب كثرته كثر الوهم.

ولم تتف الأمور عند هذا الحد بل زادوا فيها، كما جاء في المقاليتين، أن الهوريني زاد بيتاً من عندياته، وزاد غيره في أولها ثلاثة أبيات، تتعلق هذه الزيادة بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ، كما نقل ذلك د. بركات في مقدمة التسهيل^(٢٧).

وهذه الأبيات لم ترد فيما رواه ابن النحاس بسنده عن الشواء الحلبي، ولم ترد فيما وقفت عليه من نسخ خطية نقلت القصيدة، ولم ترد عند السيوطي أيضاً، وإنما جاءت في الكتب التعليمية المطبوعة، فهل يوثق بما بعد هذا؟

وبعد:

فها هي قصيدة شهاب الدين الشواء بلا مرء ولا جدال، وهاهي تكملتها نظمها بهاء الدين بن النحاس بلا مواربة ولا مزية، فإن استطاع أحد أن يأتي بما ينفي هذا فليأت به، وإنا لمنتظرون.

وأخيراً أمل أن يكون في هذا جلاء للشك، ورفعاً لغطاء الريب بصحة نسبة أبيات للشواء نصيب منها، والباقي لابن النحاس - رحم الله تعالى الجميع - ويغفر الله للإخوة الذين دفعوني إلى الكتابة، وآمل أن أكون عند حسن ظن من أحسن الظن فلجميع شكر متواصل وعرفان لا ينقطع.

آراء مهدي المخزومي في تيسير النحو «قراءة في المصطلح»

أ. الشارف لطرش (*)

أ - تقديم:

تكتسي جهود مهدي المخزومي (١٩٣٠م - ١٩٩٣م) في تيسير النحو أهمية بالغة، لأنها تصدر من عالم يُشهد له بالتخصص في النحو العربي، فقد اشتغل بتدريسه عقوداً من الزمن، وتسابقت أعرق المدارس بُعية ضمّه للتدريس في مدرجاتها، وألّف في النحو مؤلّفات قيّمة، نالت كثيراً من التقدير، وأثارت نقاشاً هاماً، بل إن المخزومي نال جائزة أحسن كتاب في النحو عن سنة ١٩٦٦م عن كتابه (في النحو العربي: نقد وتوجيه) من قبل جمعية الكتاب ببيروت، ونال جائزة الحكومة السعودية للأعمال الراقية عن كتابه (في النحو العربي: قواعد وتطبيق).

وله مؤلّفات أخرى في النحو العربي ومدارسه أهمها: الفراهيدي عبقرى زمانه - الدرس النحوي في بغداد - أعلام في النحو - الخليل وأعماله ومنهجه - مدرسة الكوفة

(*) باحث في اللغة من الجزائر.

ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، وقام بتحقيق معجم العين للفراهيدي بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم السامرائي في سنة ١٩٨٠م.

ولم يكن المخزومي أول من نادى بتيسير النحو وتجديده، بل سبقه علماء وباحثون في العصور القديمة وفي العصر الحديث، منهم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) صاحب كتاب المفصل في صنعة الإعراب، وقد نَهَج فيه منهجاً علمياً يسهّل الدراسة على المعلم والمتعلم، وابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) الذي (وجد مادة العربية تتضخم بتقديرات وتأويلات وتعليقات وأقيسة وشعب وفروع وآراء لا حصر لها، ولا غناء حقيقياً في تتبعها، أو على الأقل في تتبع الكثير منها، فمضى يهاجمها في ثلاثة كتب هي المشرق في النحو، وتنزيه القرآن عما يليق بالبيان، وكتاب الرد على النحاة)^(١).

وقام علماء آخرون بجهود محمودة قامت على إصلاح ما اضطرب في مسائل التبويب والمصطلح النحوي حيث يمكن القول: (إن نحو ابن مالك وأبي حيان وابن هشام أكثر تَهْدِيَةً وأتقن تفصيلاً وتبويماً منه في العصر الحالي)^(٢).

وفي العصر الحديث كثرت الدعوات وتطورت، بعضها ينادي بالتيسير، وبعضها بالتجديد، وأخرى تنادي بالإحياء، ولعل أبرزها دعوات مصطفى إبراهيم في كتابه إحياء النحو، وشوقي ضيف في كتابيه تجديد النحو وتيسير النحو، وآخرين منهم ساطع الحصري، وتمام حسان، وإبراهيم السامرائي، وأنيس فريجة، وعبد الرحمن أيوب.

ولم تقتصر دعوات التيسير على الأفراد بل امتدت إلى بعض الحكومات العربية التي أقامت ندوات ومؤتمرات لهذا الغرض.

(١) شوقي ضيف - المدارس النحوية، دار المعارف، مصر ط٤، بدون تاريخ، ص ٣٠٥.
(٢) الراوي طه - نظرات في اللغة والنحو، منشورات المكتبة الأصلية، بيروت، ط١: ١٩٦٢م،

ب - خلاصة مشروع المخزومي النحوي:

١- الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل^(٣)، وما يرتبط بها من أبواب كالتنازع والاشتغال والإعراب المحلي والإعراب التقديري.

٢- ربط النحو بالمعنى وليس بالإعراب أو بالشكل^(٤).

٣- يرى المخزومي أن النحو لا يتأتى إلا بالعناية بمختلف مستويات التحليل اللغوي وإدراكها^(٥).

ومن ثم فإن التخصص اللغوي يجب أن يكون من أولى اهتمامات الباحثين.

٤- يرى المخزومي أن الحركات الإعرابية من عمل اللغة وليست آثاراً لعوامل^(٦)، أي الفصل بين دلالات الحركات الإعرابية ونظرية العامل.

٥- دعا المخزومي إلى اعتماد منهج علمي لغوي لتنظيم البحوث والأبواب النحوية، عن طريق التصنيف والتبويب والتفريع.

٦- يرفض التقسيم الشكلي الشائع الذي اعتمده النحاة القدامى للكلام العربي، المبني على ثلاثة أقسام (اسم وفعل وحرف)، واقترح تقسيماً رباعياً يقوم على فعل واسم وأداة وكنائيات^(٧).

(٣) مهدي المخزومي - في النحو العربي: نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط ١٩٨٦، ص ٧٧.

(٤) مهدي المخزومي - في النحو العربي: قواعد وتطبيق، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ١٥ - ١٦.

(٥) في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٢٧.

(٦) في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٦٦.

(٧) في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٢٣٣.

- ٧- يرى المخزومي أن النحو دراسة وصفية تطبيقية ويجب ألا تتعدى ذلك^(٨).
- ٨- وضع المخزومي مصطلحات للنحو بعضها جديد وبعضها من التراث العربي، (من أجل بناء نحوٍ جديدٍ لا نحسُّ فيه بأثر العامل ولا نلوك فيه مصطلحات غريبة، أقحمت في النحو إقحاماً)^(٩).
- ٩- ينادي المخزومي بأن يكون موضوع الدرس النحوي الجملة وما يعرض لها من ظروف قولية، وما يعرض لأجزائها من عوارض^(١٠).
- ١٠- يرى الباحث أن المقام والسياق لهما دور هام في التبليغ والتواصل (ولن يكون الكلام مفيداً ولا الخبر مؤدياً غرضه ما لم يكن حال المخاطب ملحوظاً)^(١١).
- ١١- رفض تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية كما هو الشأن عند القدماء، ورأى أن الجملة الظرفية هي جملة تتأرجح بين الاسمية والفعلية^(١٢).
- ١٢- يقول المخزومي في تعريف الجملة الفعلية: (هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً متجدداً، وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلاً)^(١٣).
- وانطلاقاً من التعريف السابق عدَّ المخزومي جملة «البدر طلع» جملة فعلية مخالفاً النحاة الذين عدّوها جملة اسمية بناءً على التفريق اللفظي المحض.

(٨) في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ١٩.

(٩) نفسه ص ١٦٤.

(١٠) نفسه ص ٦٥.

(١١) نفسه ص ٢٢٥.

(١٢) نفسه ص ٥١.

(١٣) نفسه ص ١٣٤.

- ١٣- يرى المخزومي أن الأفعال كلها مبنية، وأن العلامات في آخر الفعل المضارع المعرب ليست علامات إعرابية وإنما لتمييز زمن الفعل وتخصيصه^(١٤).
- ١٤- دعا المخزومي إلى عدم المغالاة في التأويل النحوي الذي من مظاهره فكرة الإضمار^(١٥).

ج- أهم المصطلحات النحوية التي اقترحها المخزومي في مشروعه النحوي:

١- الأداة: هو اصطلاح أطلقه المخزومي على القسم الثالث من أقسام الكلام وهو ما كان يريد به سبويه الحرف، والأداة كما هو معروف مصطلح كوفي، ويعرفها المخزومي بأنها ما لا يدل على معنى إلا في أثناء الكلام^(١٦)، ومن أمثلة الأدوات (هل) التي يقول عنها إنها أداة تستعمل في الاستفهام، ولكن الاستفهام لا يتحقق إلا إذا استعملت في جملة.

وقد بين المخزومي أن الأدوات في العربية تنتظم في مجموعات، تشارك في دلالة عامة وتختلف فيما بينها من الاستعلامات الخاصة، ولذلك وجب دراستها في مجموعات وليس منفردة، ورأى أنها لا تعمل ولا تؤثر فيما بعدها، بل إنها تعبر عن المعاني العامة التي تطرأ على الجمل مما يقتضيه حال الخطاب ومناسبات القول.

٢- الفعل الدائم: وهو اسم الفاعل عند النحاة القدامى، وعند المخزومي يحمل معنى الفعل حيث يقول عنه: (هو فعل في معناه وفي استعماله إلا أنه يدل في أكثر استعمالاته على استمرار وقوع الحدث ودوامه)^(١٧).

(١٤) في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٤١.

(١٥) نفسه ص ١٢٩.

(١٦) في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٣٧ وما بعدها.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٣.

وهذا التعريف الذي يعتمد على المخزومي أخذ به الكوفيون حيث (إن الزجاجي أيّد الكوفيين بوجود فعل للحال سمّاه الفعل الدائم وهو صيغة (فاعل) إذا استعملت مع ضمائرها في الكلام، ولعلمهم قالوا بذلك لما لحوا في هذه الصيغة من دور وظيفي يشبه دور الفعل)^(١٨).

ويرى الساقى أن صيغة (فاعل) تختلف عن الفعل شكلاً ووظيفة، ويقول: (الفعل معناه الحدث والزمن، وهذه الصيغة معناها الموصوف بالحدث، والزمن في الفعل هو وظيفته الصرفية وهو زمن صيغي، على حين الزمن في صيغة (فاعل) زمن نحوي يستفاد من السياق وتحدده القرائن القولية والسياقية. هذا على مستوى الوظيفة، أما على مستوى الشكل فإن هذه الصيغة لا تقبل علامة شكلية واحدة من علامات الفعل)^(١٩).

ولما كان اسم الفعل يشبه الاسم من حيث اللفظ، ويشبه الفعل من حيث المعنى، اقترح الساقى^(٢٠)، إطلاق مصطلح القرين على اسم الفاعل واسم المفعول وأفعال المبالغة.

٣- لام التوكيد: وهي اللام التي يسميها البصريون لام الابتداء التي تدخل على المبتدأ، وهي تكون مع جملة القسم، وذكر المخزومي أن الكوفيين يسمونها لام القسم وقد وافقهم على هذه التسمية^(٢١).

٤- الفاعل الإرادي والفاعل اللإرادي: يرى المخزومي أن الجرة في قولنا (كُسرَت الجرة) ليست هي الفاعل بنظر العقل، ومع ذلك لم يستعمل مصطلح نائب الفاعل، بل وضع له مصطلحاً آخر هو الفاعل اللإرادي، وأما الفاعل فسّماه الفاعل الإرادي.

(١٨) الساقى فاضل مصطفى - أقسام الكلام العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ١٩٧٧، ص ٧٢.

(١٩) المرجع نفسه، ص ٧٣.

(٢٠) الساقى فاضل مصطفى - اسم الفاعل بين الاسم والفعلية، نشر المجمع العلمي العراقي،

بغداد، ط: ١٩٧٠م، ص ١٣٣.

(٢١) في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ١٣٥.

٥- **فعل الفاعل الذي لا اختيار له:** وهو الفعل المبني للمجهول أو المعروف ب(ما لم يُسَمَّ فاعله) عند النحاة القدامى^(٢٢).

٦- **الجمد:** استعمل المخزومي هذا المصطلح في مكان مصطلح النفي.

٧- **النعته والصفة:** استعمل المخزومي المصطلحين كليهما، وإن كان الأول مصطلحاً كوفياً والثاني بصرياً^(٢٣).

٨- **المركب اللفظي:** ويقصد به المخزومي الكلام الذي لا إسناده فيه، وكل كلام لا إسناده فيه لا يعده جملة، ومن ذلك النداء الذي يقول عنه: (وخلاصة القول أن النداء ليس جملة فعلية، ولا جملة غير إسنادية، وإنما هو مركب لفظي بمنزلة أسماء الأصوات يُستعمل لإبلاغ المنادى خاصة أو لدعوته إلى إغاثة أو نصرته أو نحو ذلك)^(٢٤).

وقد أراد المخزومي بهذا المصطلح تقديم تصور جديد للجملة، حيث يقول عنها: (إنما تقوم على أساس من إسناده يؤدي إلى إحداث فكرة تامة ولا يقوم مثل قولهم (يا عبد الله) على محمل ذلك الأساس، ولا يؤدي مثل تلك الفكرة، ولأن مثل قولهم: يا عبد الله لا يعدو أن يكون أداة للتنبيه، ولَقَّتِ نظير المنادى، ولا يختلف عن أمثاله من الأدوات التي تؤدي ما يؤديه مثل هذا التعبير من وظيفة، مثل (ألا) التي للتنبيه، و(ها) التي للتنبيه أيضاً، وغيرهما إلا في أنه مركب لفظي لا يرتفع إلى منزلة الجملة، ولا يصح تسميته بالجملة أيضاً)^(٢٥).

٩- **أداة التشريك:** هي أدوات العطف في النحو العربي، وقد اختار لها المخزومي

(٢٢) في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٤٧.

(٢٣) في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ١٨٨.

(٢٤) نفسه ص ٣١١.

(٢٥) نفسه، ص ٥٣ - ٥٤.

مصطلح أدوات التشريك لأن أكثرها لا يفيد العطف (إلا الواو والفاء وثم)^(٢٦).

١٠- **متعلقات الفعل:** يرى المخزومي أن أنسب اصطلاح لما سُمّاه النحاة الأوائل فضلة هو متعلقات الفعل، لأن مصطلح فضلة يعني أنها يمكن تركها والاستغناء عنها، في حين أن ما اعتُبر فضلة (قد يكون عمدة في التفاهم)^(٢٧).

١١- **الخفض:** وهو ما يعني به البصريون مصطلح الجر.

١٢- **المستقبل:** وهو مصطلح استعمله المخزومي بديلاً من مصطلح المضارع لأن المضارعة تعني المشاهدة، ولا تدل على صيغة زمنية.

١٣- **المكتبى به عن الزمان والمكان:** وهو الظرف في عرف البصريين أو المفعول فيه في كتب النحو، وقد سَوَّغ المخزومي رفضه استعمال مصطلح الظرف بقوله: (وقد تجنّبنا مثل هذه التسمية لأنها تسمية عقلية لا مجال لمثلها في البحث اللغوي)^(٢٨).

د- الخلاصة:

تبين لنا من خلال هذا البحث أن المخزومي كان يهدف من وراء المصطلحات النحوية التي اقترحها في مشروعه النحوي، وهي في غالبها مصطلحات كوفية، إلى الوصول إلى نحوٍ جديد لا نحسُّ فيه بأثر العامل، ومع أنه يميل إلى تفضيل المصطلحات النحوية الكوفية، فإنه لم يدعُ إلى إلغاء المذاهب النحوية الأخرى بل نادى باعتماد رؤية نحوية أصيلة.

والتيسير النحوي الذي ينادي به المخزومي له منحى تعليمي وتقويمي، يقوم على اعتماد مصطلحات لغوية دقيقة، ولا يرقى إلى تشكيل نموذج نحوي جديد أو وضع قواعد جديدة.

(٢٦) في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ١٩١.

(٢٧) في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٩٥.

(٢٨) في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ١٠٧.

حفل استقبال

الأستاذ الدكتور هاني رزق

عضوًا في مجمع اللغة العربية

في الساعة السابعة من مساء الأربعاء ١٤٣١/٦/٢٧ هـ - ٢٠١٠/٦/٩ م احتفل المجمع باستقبال الأستاذ الدكتور هاني رزق، عضوًا في مجمع اللغة العربية، في جلسة علنية، حضرها نخبة من رجال السياسة والعلم والأدب وأصدقاء المحتفي به وطلابه.

بدأ الحفلُ بكلمة الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع، التي رحّب فيها بالسادة الحضور، وهنأَ الزميل المجمعّي الجديد، بانضمامه إلى مجمع الخالدين، متمنيًا له مسيرة طيبة حافلة بالعطاء.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد محفل كلمة الترحيب بالزميل الجديد. فتحدث عن سيرته، ومكانته العلمية، وجهوده في خدمة العلم.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور هاني رزق كلمته، التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ أنيس سلوم.

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

كلمة الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع
في حفل استقبال الدكتور هاني رزق
عضواً في مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

لقد اعتدنا في كل مناسبة علمية أو قومية أن نجهر بمدى افتخارنا بالانتماء إلى حضارة كان لها إشعاع عالمي امتدّ على قرون عديدة، تلك الحضارة العربية الإسلامية التي حملت مشاعل العلم والفكر إلى عالم كانت تتنازع تيارات متضاربة تحاول الإفادة من بقايا الثقافات الإمبراطورية، الرومانية والفارسية والبيزنطية.

لقد أقام العرب حضارةً أضحت كونية تحملها لغة عالمية صيغت فيها إنجازات علمية باهرة، نشرت مفاهيم جديدةً في جميع المجالات الفكرية، وأهمها مفهوم عمومية العلم والمعرفة.

إنها حضارة سادت عالم الفكر في جميع أرجاء المسكونة، حتى وصل الأوروبيون إلى اكتشاف العالم الجديد وراء البحار، وانهالت عليهم الثروات التي جعلت من إسبانيا والبرتغال دولاً عظمت تفتحت مطامعها الإمبراطورية، وانطلقت بعدها أوربا تستثمر ذلك الانفتاح في خدمة طموحاتها الكونية، تغتذي من العلوم التي طوّرها العرب مستندين إلى علوم القدماء، حتى ارتقوا بها إلى مجالات فكرية وتطبيقية غير مسبوقة.

إلا أنه لا ينبغي لإعجابنا وافتخارنا أن يحولا دون تساؤلاتٍ عن ينابيع ومكونات تلك النهضة العلمية الرائعة التي برزت فيها إنجازاتٌ فتحت آفاقاً ومجالاتٍ جديدةً للفكر الإنساني.

ولاشك بأن ما يتجلى من أي نظرة عميقة إلى تراثنا العلمي، تحاول النفوذ إلى مرتكزاته، هو أنه تراثٌ اعتمد البحث العلمي أساسًا لكشف الحقائق، وميزانًا لصدق انطباقها على الواقع، وقد كان ذلك بإعمال الفكر إعمالاً منهجيًا في معطيات الوجود، لاستخلاص النواظم والقوانين التي تحكمها، وهذا ما اصطلحنا على تسميته الطريقة العلمية.

فلقد قامت على أيدي العرب حركةٌ تطويرٍ شاملٍ للفكر القديم المنقول عن الحضارات السابقة، والحضارة الإغريقية خاصة، إذ إنهم أقاموا منهجًا علميًا بنوه على مقومات عقلية، وصبّوا جهودهم في تضاعفه، ليدركوا ما خفي في علوم القدماء، ويعيدوا النظر فيما وصلوا إليه من نتائج وتعليلات، حتى استطاعوا الارتقاء إلى مجالات الإبداعات الشخصية، حين مكنتهم عبقريتهم من ابتكار علوم وفنون جديدة خاصة بهم، أصبحت فيما بعد تراثًا إنسانيًا بقي العالم يعترف منه كلَّ جديد.

ومازلنا ننهل من تراثنا كؤوسًا مترعةً من الألفاظ المعتمدة في العلوم وفي المجالات المعرفية المختلفة، وهي اليوم اللبنة الأساسية التي نبني عليها فهمنا لحاضرنا، ونرصف بها مكونات مستقبلنا.

ولما كان الفكر العلمي فكرًا دقيقًا مترابطًا لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال وعاءٍ وجداني يُهيئ القواعد الإدراكية القادرة على احتواء معطياته، انبرى العرب، ومَن أحب اللغة العربية من الأعاجم، في سعيٍ حثيثٍ لإطلاق الدراسات اللغوية التي جعلت اللغة العربية قادرةً على استيعاب التعابير الجديدة الحاملة للمفاهيم العلمية والفلسفية. إنها دراساتٌ عقلية أوصلتهم إلى تحديد قواعد اللغة، وضبط طرق اشتقاقها، واختراع العلامات التي تحول دون الوقوع في اللبس، حتى انتهوا إلى جعل اللغة العربية لغةً علمية استمر تأثيرها في العلوم حتى القرن السادس عشر الميلادي.

وهكذا فقد كانت منطلقات البحث لغويةً في مجالات الكلام والفلسفة والتاريخ، حتى تمكنت العربية من احتضان العلوم على اختلاف مشاربها واحتياجاتها كالرياضيات والفلسفة والفلك. فقد تناولت بحوثهم مجموعَ الموروث الهليني يجللونه ويشرحونه، بعد أن انتقلت لغتهم من لغة يغلب عليها الطابع البياني، كما تظهر في الأحاديث والشعر والخطابة حيث تبدو مرتعًا للمجاز والخيال، إلى لغةٍ تعتمد العقل الموصل إلى البرهان، متجاوزين أساليب المتكلمين المبنية على الاستدلال بالشاهد على الغائب.

ولم يصبح ذلك الالتزام بالعقل ميزانًا لكل بحث حتى تمكنوا من مجموع أعمال أرسطو، التي بدأت ترجمتها أيام المنصور، وامتدت إلى أيام المهدي، وبلغت أوجها أيام المأمون بتأسيس بيت الحكمة. وهكذا تمكَّن الفارابي، بعد اكتمال دخول تراث أرسطو ونظامه المعرفي إلى اللغة العربية، أن يسترجع صناعة المنطق كاملةً، واستحق بذلك لقب المعلم الثاني وهو يقول: «المقصودُ الأعظم من صناعة المنطق هو الوقوفُ على البراهين».

وهذا ما فتح الأبواب أمام الوصول إلى فلسفة الرياضيات، والتمييز بين الترتيب التركيبي والترتيب التحليلي، وإبراز نظرية البرهنة التي تعتمد قواعد المنطق، بغية الوصول إلى البراهين التجريبية الخاضعة للقياس.

أيها السيدات والسادة

أستميحكم عذرًا إذا تجاوزت النظرة النرجسية التقليدية إلى تراثنا الزاخر بالأجداد، لألتفت إلى إلقاء نظرة عقلانية على علاقتنا بالتراث.

فنحن لا نريد أن نبقى أسرى إرثٍ عريقٍ صنعه رجالٌ لمعوا كبرق الأعاصير، واخترقوا دائرة الزمان ودائرة المكان، وبنوا صروحًا شامخةً خلّدتهم وخلّدت لغة أمتهم

وثقافتها وحضارتها. فقد تشكّلت من عبقرياتهم كتلة معرفية استحوذت على فكر الحضارات السابقة والمعاصرة لهم، وبقيت حتى يومنا هذا في متناول كل قارئ عربي يستبطن منها ما يغتذي به فكره، وما يعتمد عليه أساساً لفهم عالمه.

بل نجد لزاماً علينا أن نوّكد موقع العقل أساساً وعنصرًا معتمدًا لما يوصل إلى الحقيقة، في جميع مساراتهم العلمية. ثم لا بد لنا من أن نُضيف كيف كان الشك من المنطلقات المركزية في كل ما أنتجه العقل العربي في ميدان العلوم، أي كما يقول النظام^(*) وهو من كبار المعتزلة «لم ينتقل أحدٌ من اعتقادٍ إلى اعتقادٍ غيره حتى يكون بينهما حالٌ شك» وقد سار الجاحظ في «كتاب الحيوان» على مسارٍ علمي لا يسلم بشيء إلا إذا استساغه العقل، وهو يلجأ إلى التجربة ليتحقّق صحةً نظريةً أو رأي من الآراء، فهو يجرب في الحيوان والنبات، ويشكّ ويستمرّ في الشك قائلاً: «فلا تذهب إلى ما تُريك العين واذهب إلى ما يريك العقل. وللأمور حكمان: حكمٌ ظاهر للحواس، وحكمٌ باطن للعقل، والعقل هو الحجة». إنه كلام أُطلق قبل بكون وديكارت بقرون عديدة.

ومن أهم ما واجهه العرب في انفتاحهم الفكري وجود ذلك العدد الكبير من المفاهيم التفصيلية في كل علم طرقوه، وهذا ما ألزمهم وضع المقابلات لكل ما يتعلق بتلك المعطيات الجديدة، فاصطلحوا على المقابلات المناسبة، إما بربطها ربطاً تقريبياً بمفاهيمٍ عربية أصيلة، أو بأخذها من لغاتها بعد إضفاء مسحةٍ عربية عليها، من حيث الجرس والوزن وسهولة النطق.

وها نحن اليوم في مواجهة حضارةٍ غالبية على عالمنا، وهي ليست حضارةً تقاناتٍ وإنجازاتٍ تطبيقية فحسب، بل هي حاملةٌ لفكرٍ غني متشعب يُطلق التساؤلات، ويطرح

(*) قدرتي حافظ طوقان: العلوم عند العرب، مكتبة مصر ١٩٥٦ - ص ٨٢.

الفرضيات، ويدقق في المعطيات، ويستنبط الطرائق الموصلة إلى حقيقة أبرزتها التجارب، فيقبلها العقل مادامت متسقة مع المرحلة المعرفية السائدة، إلى أن يظهر ما يُدخل الشك إلى دقائقها ويستوجب إعادة النظر في صلوح اعتمادها.

وهذا ما أوقع المجتمعات المعاصرة في مأزقها، حين حاولت الوصول إلى فهم ما يحيط بها من متناقضات، بين زخم متصاعد في المكتشفات العلمية التي وضحت الكثير من خفايا الكون الذي نعيش فيه، وبين ما يسود ذلك من بربرية وتسلطٍ وازدراء للقيم الإنسانية، وكلها أمورٌ تعارض مع صفاء الفكر العلمي الحقيقي.

إنها أزمة أصابت التفتح الحضاري حين سحقت النشاط البشري المبدع، لتحصر أهدافه في تسارعٍ لاهت وراء تحسين الأوضاع المعيشية للملايين من المحرومين. وهي أزمة تنفذ إلى صميم ثقة الإنسان بالحضارة السائدة، وتدفعه إلى الانكفاء على ثقافته ليقبض ضحيةً لتهويماتها وأساطيرها، أسيراً لأنظمتها وقناعاته، محاولاً إنقاذ مرجعيات المعنى، ومنظّمات القيم التي يعرفها، ويحاول الالتزام بها.

وإن الحيرة الوجودية التي أصابت علمنا العربي منذ منتصف القرن العشرين، في مواجهة السيل المعرفي المتعاضم الذي غمر العالم بتطلعاته وإنجازاته، كادت أن تصبح عاملاً معطلاً في حياة المجتمع، لما لها من تأثيرٍ بليغ وعميق في نفوس الأفراد، وما لها من قدرة على تحريك السواكن في المجتمعات من طريق تسربها إلى وجدان الأفراد، وسيطرتها على ضوابط العلاقات المجتمعية.

فنحن نواجه حضارةً عصريةً غريبةً يجب أن نُقرّ بأنها تحمل أعظم ما عرفته البشرية في مجالات العلوم وتطبيقاتها من تراثٍ حيٍّ متفاعل مع الأفراد والمجتمعات.

والعامل الأساسي المحرّك لهذه الحضارة فكرٌ علمي حرٌّ لا يخضع لأي سلطة معرفية تكون امتداداً لأي نظام سياسي أو عقديّ، فهو الفكر الذي يجيل في الكون نظرةً

فاحصَةً هدفها استجلاءُ الحقيقة واستبعادُ الوهم والظنِّ والتخمين. فما هو موقع الأمة العربية من هذا الحراك الفكري الشامل المنتج، الذي يطلع علينا في كل يوم بإضافات ثمينة إلى معارفنا، وما هي الطاقات التي هيأتها أمتنا للمساهمة في بناء المستقبل؟

أيها السيدات والسادة

لا وجودَ لفكر علمي منتج واعدٍ إلا في جو من الحرية الحقيقية، التي يتفتح فيها العقل الإنساني معتمداً جميع طاقاته، مطلقاً روحه في رؤيةٍ تجمع بين الخيال وبين الترابط السببي والتحليل العقلي، دون أن يخشى قهراً أو قسراً. هذا الفكر العلمي الحر هو الذي يحول دون أن تصبح ثقافة الإنسان ومقومات هويته بمثابة قوقعةٍ لا ينفذ منها إليه إلا ما تفرضه الأنظمة السائدة، وهي قادرةٌ على التعرُّض للمنهجية التي يتبعها الباحث، مُؤثرةً نظرتها الخاصة إلى الأمور، وهذا ما يسيطر على تفاعل مجتمعاتنا مع علوم الإنسان الغربية، ويجرمها من نعمة العرفان والكشف والانفتاح.

إن الإنسان كائنٌ حي استثنائي، خاصيته أنه لا يخضع لحتمية مغلقة، كما لا تأسره ماهيةٌ ثابتة أو هوية نهائية جامدة، بل هو كائن خلاقٌ مبدع.

فإذا كان تراثنا تلمع في ثنياته معارفٌ وصلت إلى قممٍ غير مسبوقه في العلوم الإنسانية، والعلوم الأساسية والتطبيقية، فهل هذا يعني وجوب التزامنا بتقليد أعمى لما في تراثنا، فنبادر إلى إحياء مؤسسات كانت تصلح لظروف المجتمع في القرون الغابرة، ونصرّ على إضفاء القدسية على تراثنا، ساعين إلى استعادة ماضي قائلين: «لا يصلحُ آخر هذه الأمة إلا بما صلحُ به أولها»؟

أم نتبنى نظرةً مستقبلية تنطلق من وعينا لما تسير إليه أمتنا من تحلّف وجمود، في هذا العالم السريع التطور، الذي يغرقنا بمعارفٍ متكاملةٍ بدأت تطبيقاتها تغزو حياتنا وتفجّر مجتمعاتنا، لما لها من وقع عميق على الشعوب التي لم تشارك في بناء الحداثة؟

فإذا استعرضنا ما يمكن أن يُعقّق مشاركتنا في بناء حضارة الغد على مستوى النّديّة مع أصحابها، وجدنا أن اطلاعنا على الحضارة والعلوم مرهونٌ بوصول تلك العلوم بمحملها وتفصيلها إلى لغتنا، لأن لغتنا هي وحدها قادرةٌ على فتح مغاليق تاريخنا الفكري، بما يتيح لنا استخلاصَ الفوائد والعبر من ذلك الصرح العلمي والإبداعي المتعظيم الذي يبني عليه الغربُ حضارته. إن علماءنا قادرون على النفوذ إلى ذلك الصرح الحضاري المسطرّ بلغات أهلّه، إلا أن ما يجب أن نهتمّ به هو وضع جميع أنواع المعرفة المتوفرة في عالم اليوم، في متناول كل قارئٍ مُلمّ بلغته العربية، قاصدين بذلك إتاحة أفضل الفرص لأبنائنا أن يطلّعوا على العالم، لعلنا نستحثّهم على التوجه نحو العلوم والتقانات، ولو لم يتقنوا اللغات الأجنبية.

إن إصرارنا على إدخال المعارف الحديثة إلى لغتنا العربية، يستند إلى ما هو معروفٌ بأن تراث كلّ أمة يشتمل على منظومة مفهومية خاصةٍ بها، وفي تراثنا قوالبٌ فكريةٌ لا يتم تفهّمنا للأمور إلا من خلالها. فكأنها مستقبلاتٌ لا بد للمعروضات أن تعبرها في طريقها إلى إدراكنا، لتتوضّح معالمها وتنجلي خصائصها، وهذا ما يتيح لنا قبولها كما هي، أو إحكام النظر في تفصيلاتها، بما يسمح لمنظومتنا المفهومية تمثّلها واختراعها.

وفي أية حالٍ نحن حين نُعبّر عن أفكارنا في أي مجال ثقافي، وبأي لغة كانت، نجد أنفسنا نغترف المفهومات والتعابير من مخزننا الثقافي اللغوي، وهو الذي يحدد المستوى المعياري الذي ينطبق على اللفظة الأجنبية، أو التركيب اللغوي، إذ لا بد من ربط ذلك بالمقابل العربي المناسب المصبوغ بألوان ذاتيتنا الثقافية.

وإن ذاتيتنا الثقافية ليست محصورةً في قوالب جامدةٍ بل هي دائمةٌ التشرب والاكتمار، ترشح من خلالها المفهومات لتكتسب الطابع العربي، وهو طابع دائم التطور والاعتناء بحسب ما تمدنا به الثقافات الأخرى من عناصر ثقافيةٍ وحياتية.

وهذا ما جعل العرب الفاتحين يُصبرون على نقل ما وجدوه من علوم في بلاد الفتح إلى لغتهم بدل الانخراط في تعلم اللغة الإغريقية، أو تعلم السريانية التي كانت استوعبت أجزاءً من تلك العلوم. وما ذلك إلا لقناعتهم بأن الفهم الحقيقي الذي ينتهي إلى المعرفة الراسخة لا يكون إلا باللغة التي اعتادها الأفراد في مجتمعاتهم، والتي تحمل تصوّرهم للعالم المحيط بهم.

إن الاتجاه نحو البحث العلمي هو من أهم الأمور التي تفتقر إليها بلادنا، ولا يمكن أن يتحقق إلا بعد نفوذ المفهومات العلمية إلى المجال الفكري لجماهيرنا، لعلها تُحفّز بعض الأفراد الشوّق إلى معرفة المزيد، ولعلّ هذه المعرفة تفتح أبواب التساؤلات التي تنتهي إلى محاولات لكشف ما بقي خافياً يحتاج إلى توضيح.

فإذا قيل بأن لغتنا مازالت قاصرة عن الوفاء باحتياجات العلوم الحديثة، فإن هذا الواقع لا يجوز له أن يدفعنا إلى قيعان الجهالة والإحباط. بل يجب علينا الوقوف في وجه تفتيت ثقافتنا عن طريق إهمال لغتنا تعلمًا وتعليمًا واستعمالًا، وذلك بالتصدي لعوامل التفتيت الفعالة كالانزياح نحو العامية، أو الانغماس في خطاب هجين يتباهى بتلميح يعتمد التعبيرات الأجنبية. إذ إن هذا التشظّي اللغوي يحول دون وجود قواسم مشتركة يلتقي حولها أبناء الأمة لاعتمادها مستندًا لهويتهم، وركيزة لتطلعاتهم الفكرية.

إن الهدف الذي يجب علينا الوصول إليه هو توطين العلوم في مجتمعنا لتثبيت مكتسبات معرفية لا عودة عنها. ذلك لأن حرية الإنسان كما يقول هايدغر «هي في إمكانه الوجودي ببعديه: المعرفة والقدرة» إذ إن قوام الإنسان في أي مجتمع هو الفهم الذي يولّد التّوق إلى التغيير، وهو لا يكون إلا بممارسة حرية التفكير والتعبير لتحقيق حضوره في العالم المحيط به، فالمعرفة هي أساس القدرة والمولّدة لها.

إن الانغلاق الذي قيّد الفكر العربي حتى الماضي القريب وسجّنه داخل مقولات

مذهبية في السياسة والاقتصاد قد أساء إلى الفكر العربي، لأنه حسبه داخل أسيرة ضيقة ووضعه في خانة من خانات تاريخ الفكر.

وأما الانفتاح على العلوم وعلى منظومات فكر الآخر ومباني ثقافته فهو المسلك الموصل إلى التجاوب مع الواقع العربي لكشف احتياجاته واختناقاته، والقوى الفاعلة فيه، والقوى المعطلة له. فإن التغريب الثقافي للعقل العربي أمر مرفوض، يقابله إعادة تشكيل بنية ثقافية جديدة معجونة في طينة الواقع العربي، ومتجاوزة له في آن معاً.

ولاشك بأن توطين العلوم وما يتطلبه ذلك من مجهودات في مجالات التعليم وبناء الطاقات اللغوية وإرساء قواعد النشر العلمي على مختلف المستويات، مهمة متشعبة لا بُدّ لتحقيقها من تضافرٍ واعيٍ وتخطيطٍ دقيقٍ تساهم فيه جميع فئات المجتمع.

أيها السيدات والسادة

اسمحوا لي أن أحتم كلمتي بتحديد المهام التي يرى مجتمعنا الاضطلاع بها في مجالات توطين العلوم وصولاً إلى ترسيخ مفهوم البحث العلمي.

إن مجتمعنا، في وضعه الجديد بعد صدور قانون زيادة أعضائه العاملين إلى خمسة وعشرين عضواً، قد أولى أمور العلوم اهتماماً كبيراً. فقد فتح مجتمعنا أبواب عضويته لمعظم المقاعد الشاغرة، في وجه العلماء المتميزين إلى علوم مازالت بعيدة عن لغتنا.

وقد شهدتم في هذه القاعة استقبال علم النبات والبيئة، وعلم اللسانيات الحديثة، والعلوم المربوطة بالحاسوب، وعلوم اللغات الشرقية القديمة، والهندسة الإلكترونية، وذلك إلى جانب ثلاثة من علماء اللغة العربية ذوي المكانة الرفيعة في بحوث المصطلحات، والتراث، والأدب المقارن.

ونحن اليوم إذ نستقبل الأستاذ الدكتور هاني رزق، وهو أستاذ علم الأحياء والمؤلف لكتبٍ نفيسة في آخر التطورات في علم الأحياء وعلوم الكون، إنما نكمل طريقنا في

مسعانا إلى إدخال العلوم الحديثة السريعة التطور إلى بحر لغتنا العربية.
 فلا يجوز أن تصل المركبات الفضائية إلى الزهرة، قاصدة الوصول إلى ما وراء
 الشمس، وتنطلق البحوث الحيوية المستندة إلى الخلايا الجذعية، لعلاج أمراض الإنسان
 عن طريق تفعيل العناصر الوراثية في الخلايا، لجعلها تتجاوب مع العلل التي يشكو منها،
 دون أن تدخل هذه الأمور بتفاصيلها في الحيز المعرفي العربي.
 وقد أنشأ مجتمعنا لجاناً علميةً تنظر في تلك المصطلحات التي تهب علينا بتسارع
 مذهل، للإسراع في إيجاد المقابلات لها، وهي أمورٌ لم يعرفها البشر قبل بضعة عقود،
 حين سمعنا بالكوارك، والميزون، والجينات، والخيمرات، وهي تتطلب عملاً ملحاً
 ومستعجلاً قبل أن تسبقنا الترجمات الشخصية إلى إطلاق مقابلاتٍ عربية لا تستند إلى
 مرتكزٍ لغوي راجح.

إن هذه العلوم الحديثة تمثل كذلك تحدياً أخلاقياً، بما تنطوي عليه من إمكان
 الإخلال بأنظمة مجتمعاتنا بوصولها إلى تحدي قناعاتٍ قائمة، والالتفاف على قيمٍ
 مستقرة في وجدان الأفراد، وهذا ما يلزمنا السعي إلى إدخالها أدمغةً شبابنا مصوغاً
 بلغتهم، ليصلوا إلى إدراكها واستبطانها، لعلها تستقر أسساً علميةً تتيح لأصالة ثقافتنا
 أن تستوعب متطلبات المعاصرة لتعيد إنتاجها عربيةً عصريةً فاعلة.
 وإن عمل مجتمعنا، في مجهوداته المتصلة لتأهيل لغتنا العربية تأهيلاً يُعيد لها لغةً
 عالمية تتفاعل مع تطورات العلوم، إنما هو عملٌ يدخل في إطار الحفاظ على الأمن
 الثقافي لأمتنا، نابذين كل ما يمكن أن يسيء إلى موقعها في العالم الحديث.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور محمد محفل
في حفل استقبال الدكتور هاني رزق
عضوًا في مجمع اللغة العربية

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع
السادة الزملاء أعضاء المجمع
أيها الحفل الكريم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يستقبل المجمع اليوم الزميل الأستاذ الدكتور هاني رزق، وشاءت الظروف أن يكون استقباله أول الثلاثة الذين انثخبوا في شهر نيسان الماضي. لاقيتُ زميلنا الجديد، أول مرة، في أواخر عام ١٩٦٧م، بعد عودتي إلى سورية، وكان برفقة صديقٍ مشترك هو الدكتور عبد الكريم رافق، أستاذ التاريخ العثماني، في قسم التاريخ، جامعة دمشق... ثم كان اللقاء الثاني، مع الدكتور ميخائيل مُعطي، أستاذ علم الجيولوجية، في جامعة دمشق، زميل الدراسات العليا، في رحاب جامعة جنيف السويسرية... ومَرَّت الأيام وصار الدكتور هاني أحد أصدقاء قسم التاريخ بجامعة دمشق... ثمَّة أمورٌ لا ينساها المرء... ومنها حفلة الوداع تلك، التي أُقيمت قبل سفر زميلنا المحتفى به اليوم، إلى فرنسا في عام ١٩٧٠م، ليعمل حتى عام ١٩٧٢م، باحثًا زائرًا في كلية الطب بجامعة لُوي باستور وفي معهد البيولوجية (الحياة، علم الأحياء) الجزيئية الخلوية بمدينة ستراسبورغ الفرنسية.

- نال هاني رزق شهادة الدراسة الثانوية الفرع العلمي، في مدينة حمص، وجاء تربيته الثاني في المحافظة، في سنة ١٩٥٢م.
- نال درجة الإجازة في العلوم الطبيعية من جامعة دمشق بتقدير جيد جدًا، وكان تربيته الثاني.
- حصل في سنة ١٩٥٦م على درجة الماجستير في علم الجنين من جامعة إيوا الولايات المتحدة الأمريكية، ثم على درجة الفلسفة من جامعة فيرجينية في تشارلوتزفيل.
- انتخب عضوًا في الجمعيات الأمريكية «فاي كابافاي» (فاي بتا كابا) للتفوق الأكاديمي، وفي «سيكما زاي» و«فاي سيكما» للتميز في البحث العلمي. ثم انتخب بسبب عضويته في «جمعية» (فاي كابا فاي) عضوًا في أكاديمية نيويورك للعلوم.
- عمل أستاذًا لعلم الجنين في كلية العلوم بجامعة دمشق حتى عام ٢٠٠٣م.
- عمل باحثًا زائرًا - كما ذكرنا آنفًا - في الأكاديميات الفرنسية على مرحلتين: ١٩٧٠-١٩٧٢ و ١٩٩٢-١٩٩٣.
- شغل وظائف علمية - إدارية عدة سنوات في كل من قسم علم الحيوان بجامعة دمشق، وفي معهد أبحاث الكيمياء والبيولوجية في مركز الدراسات والبحوث العلمية، وفي هيئة الطاقة الذرية السورية في دمشق.
- نشر في مجلات علمية عالمية، باللغتين الإنكليزية والفرنسية العديد من الأبحاث العلمية، كما أنجز عددًا من المشاريع العلمية الخاصة في كل من الكيمياء الحيوية وعلم المناعة والبيولوجية الجزيئية.
- عزل، بالتعاون مع الدكتورة ليلي مسوح، بروتينًا حيواني المنشأ ذا كتلة جزيئية نسبية منخفضة، غير مُكشَف، وذا قدرة استثنائية على تسريع سيرورة التئام الجروح، وتُجرى حاليًا (بالتعاون مع باحثين آخرين) سلسلة مُحوضه الأمنيّة، ثم سيبحث عن الجين الذي يرمزه، ويُؤمل، بعد تسجيل حق الملكية، تحضير البروتين بالهندسة الجينية للاستعمال الدوائي.
- أسهم وشارك في عددٍ من المؤتمرات العلمية الدولية.
- أسهم في تأسيس «جمعية علوم الحياة» في دمشق وكان رئيسًا لمجلس إدارتها

عدة سنوات، كما أسهم في تأسيس «اتحاد الحياتيين (البيولوجيين) العرب» في بغداد، وعمل أميناً عاماً مساعداً لمكتبه التنفيذي أعواماً عديدة.

- يعمل حالياً منسقاً علمياً وإدارياً لأعمال «مجموعة نُظُم العلوم والتكنولوجيا» التي تضمُّ نُخبَةً من العلميين المتميزين، مقرّها دمشق ص.ب ٣٣٢٩٩، هاتف ٣٣٤٣٤٦٠، البريد

الإلكتروني HRIZK@NETCOURRIER.COM

- نشر أربعة كتبٍ جامعية في علم الجنين وعلم المناعة والبيولوجية الحيوية.
- أسهم في تأليف كتاب «الاستنساخ: جدلُ الدين والعلم والأخلاق» عام ١٩٩٧، وكان المشرف العلمي على هذا الكتاب، وكتاب «الإيمان والتقدم العلمي» عام ٢٠٠٠، ثم كتاب «موجز تاريخ الكون من الانفجار الأعظم إلى الاستنساخ البشري». ونشرت (دار الفكر) بدمشق هذه الكتب الثلاثة.

- نال كتابه الأخير «موجز تاريخ الكون الكون: من الانفجار الأعظم إلى الاستنساخ البشري» جائزة معرض مؤسسة الكويت للتقدم العلمي لعام ٢٠٠٤، بوصفه أفضل كتاب علمي باللغة العربية.

- نشر في عام ٢٠٠٧ كتاب «الجينوم البشري وأخلاقياته: جينات النوع البشري وجينات الفرد البشري» منشورات دار الفكر، دمشق. نال هذا الكتاب أيضاً جائزة معرض «مؤسسة الكويت للتقدم العلمي» لعام ٢٠٠٨، كأفضل كتاب علمي مؤلف باللغة العربية.
- يقوم حالياً باختصار وتحديث الكتابين الأخيرين باللغة الإنكليزية، لنشر الكتاب العتيد بهذه اللغة، ويقدم هذا الكتاب وجهة نظر جديدة، تفسّر تطوراً جزئياً موحهاً، منذ الانفجار الأعظم حتى نشوء الإنسان، ونجد في هذا الكتاب أيضاً تفسيراً علمياً مبتكراً لأسباب الفروق البيولوجية، التي تميّز أفراد النوع البشري، كالإخوة مثلاً بعضهم عن بعض.

كما نلاحظ، أيها السيدات والسادة، رُحنا نسبح في مطلع قرننا الواحد والعشرين، في موجات خيال علمي فريد SUIS GENERIS، عسى أن تكون تطبيقاته لمصلحة البشرية والإنسان... كان القرنُ الماضي، العشرون صعباً على بني البشر، بأيدولوجياته الشمولية المبيّسة، من الفاشية والنازية إلى التطبيق الأهوج لمفهوم ديكتاتورية البروليتارية، ثم بالتفجير

الذري لهيروشيما وناغازاكي... وقبل هذا وذاك بالحريين العالميتين وغير ذلك من المجازر البشرية في كورية وفيتنام وجزيرة بالي الأندونيسية إلخ... واعتبره البعض قرناً ملعوناً كالقرن الثالث عشر... مع الموجات التتريّة، وجنكيزخان وحفيده هولوكو وسقوط بغداد، قبل سيئ الذكر اللاحق تيمورلنك. نحن لا نستهيئ الأمر، في كيان العولمة العتيد. كلا! ولكن ها هو الواقع القاسي العنيف... كان أناكسمندر وأناكسفوراس وأناكسيمنس وفيثاغوراس وغيرهم من فلاسفة المدرسة الأيونية (القرن ٧ - ٦ ق.م) كان هؤلاء سعداء في سعيهم لتفسير نشوء الكون وأصل المادة والحياة... لم يكن عصرهم عصر سلاح ذري وأوبئة مخبرية وغازاتٍ سامة... كانوا أولاد الطبيعة وأسلحة معاصريهم الفرسان السيف والرمح.

شدّ انتباهي موقف الزميل الصديق هاني من العلم والمجتمع والإنسان... وهذا ما جعلنا في خندقٍ واحد، ونحن أيضاً لنا نفس الموقف من التأريخ والتاريخ والمجتمع والإنسان... كان العلم مسؤولاً... والمعرفة في سبيل الحياة وسعادة الإنسان، وتباً لثقافة الدمار والتدمير وهلاك البشر... والموت.

في عام ١٩٤٦، أصبح السير SIR جوليان هاكسلي (١٨٨٧ - ١٩٧٥) عالم الجينات والبيولوجي الشهير مديراً للأونسكو - وهو أول رئيس لها. وكأن بمن صوت له في انتخابه أول رئيس لمنظمة التربية والعلوم والثقافة، يدرك أهمية وخطورة الاختيار... وكان شقيق المذكور (ألدوس هاكسلي (١٨٩٤ - ١٩٦٣)، وهو من أعضاء (جمعية الفايان) مع برنارد شو وآخرين، قد راح ينتقد المجتمع الغربي، مجتمع تطوير الآلة والسلاح وصبّ لَعَنَاتِهِ على مراكز ومعاهد تطوير أدوات الدمار، بعد أن كان الألمان قد استعملوا الغازات كأسلحة دمار شامل في أواخر الحرب الكونية الأولى... والشقيقان جوليان وألدوس هما حفيدا (توماس هاكسلي ١٨٢٥ - ١٨٩٥) العالم البيولوجي الطبيعي، أحد رواد المدرسة التحويلية TRANSFORMISME والنشويّة الارتقائيّة EVOLUTIONISME... وللدكتور هاني رزق موقف من هذه المدرسة...

نرحّب بالزميل الأستاذ الدكتور هاني رزق عضواً عاملاً في رحاب الجمع، وهو القمين بخدمة أعراض الجمع وإعلاء شأنه.

شكراً لحسن استقبالكم والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة الدكتور هاني رزق
في حفل استقباله
عضوًا في مجمع اللغة العربية

السيد رئيس مجمع اللغة العربية الأستاذ الدكتور مروان المحاسني،
السيد نائب رئيس المجمع الأستاذ الدكتور محمود السيد،
السيد أمين المجمع الأستاذ الدكتور مكي الحسني،
الأساتذة الأفاضل أعضاء المجمع،
أيتها السيدات، أيها السادة،

سلام الله عليكم جميعًا، أشكركم فردًا فردًا على وجودكم في هذا الصرح اللغوي
- العلمي السامق بأصالة تقاليدته ونبيل مراميه، وأخص بالشكر الأستاذ رئيس المجمع
على كلمته، وعضو المجمع الأستاذ الدكتور «محمد محفل» على تقديمه. ولكن دعوني
أولاً أرحب بذيوي المجمع المؤسس الأستاذ «أنيس سلوم» من هم معنا في هذه
القاعة، وهم: السيد الدكتور «توفيق إحسان سلوم» سفير سورية السابق إلى كل من
إنكلترا وسويسرا وبلجيكا وعائلته؛ والصيدلانية «سعاد غصن سلوم» عريقة المحامي
الأستاذ الدكتور «عرفان توفيق سلوم»؛ والآنستان «مها» و«مي نصير» ابنتا «سعاد
سلوم»؛ والآنسة «رندة» والمهندسة «رولا» والطبيبة «رنا مسوح» بنات السيدة
«كوثر سلوم». ولا بد لي من تأكيد أن حفل استقبالي عضوًا عاملاً في المجمع ليس
سوى فرعٍ من أصلٍ هو المجمع نفسه؛ فللمجمع وحده الاحتفاء والتكريم والتبجيل،

موصولاً إلى من اخترت أن أتحدث عنه، سلفي الكريم، الأستاذ «أنيس سلوم»؛ وهذا جزءٌ من العرفان بالفضل. ولقد أجاد «بدوي الجبل» عندما قال:

«وَإِذَا رَفَّتِ الْعُصُونُ اخْضِرَارًا فالذي أَبَدَعَ الْعُصُونَ الْجُدُورُ»

لقد أنشأ هذا الجمع رجالاً عظاماً بعلومهم وأخلاقهم، وقبل كل شيء، بشغفهم باللغة العربية وتمجيدها. لغتنا تسجها عقولنا؛ فتصبح بُنيانَ التعبير عن تفكيرنا. بهذه الخلائق فرض الجمع على الجميع احترام تقاليد ماثلة بسيرورة انتخاب أعضائه العاملين.

وكم أتمنى شخصياً أن أستحق - بما سأقدمه لهذه المؤسسة الموقرة من إنتاج فكري - شرف العضوية؛ عضويةٍ خُصصت للكفاءات الاستثنائية بتمييزها.

إن المعلومات التي سترد في هذه الكلمة استُقيت من إضبارة الأستاذ «أنيس سلوم» المحفوظة في الجمع، ومن كتاب «ذكرى أنيس سلوم» لـ «شاكر الدبس» لعام أربعة وثلاثين وتسعمئة وألف، ومن ذوي السلف الكريم.

ولكن لماذا المجمعي المؤسس الأستاذ «أنيس سلوم»؟

أولاً: لأنه كان كَلِيفًا باللغة العربية، شغوفًا بها. فهو يقول عنها: «اللغة العربية أرقى اللغات السامية جميعاً مبنياً ومعنىً واشتقاقاً وتركيباً. بل هي أرقى لغات العالم من وجوه عديدة وأوضحها بياناً وأرقها تعبيراً».

ثانياً: لأنه من ﴿الذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ [الفرقان: ٧٢]؛ فتميزت مشاعره الوطنية بصراحتها وصدقها. ويشهد على ذلك أنه أصر على تسمية «الكنيسة الإنجليزية» بـ «الكنيسة الإنجليزية الوطنية»؛ وأنه كان واحداً من أشخاص قِلَّةٍ حرصوا على الذهاب إلى محطة القطار لوداع «الملك فيصل» عند مغادرته سورية.

ثالثاً: خلق الله الإنسان وخلق معه قانونه الأخلاقي، وكذلك ملكة الاستعراف

cognition. لقد التزم سلفي الكريم التزامًا صارمًا بالقانون الأخلاقي الإلهي. كما وُهب من ملكة الاستعرافِ أوضح البيان، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1- ٤] بيانهُ كلماته، تتسابق في طلاقته فصاحةً ووضوحًا وإقناعًا.

رابعًا: لأنه غنيٌّ بإنسانيته؛ يقف في وجه القوي، ويشدُّ من أزر الضعيف، ويخنو على الفقير، ولا ينهر السائل. منبسطُ الكف، بجانب انقباضها. وكأني بكبرى شقيقاته الأنسة «ظريفة»، التي أمضى سوادَ عمره برعايتها، تقول لأخيها على لسان «النضر بن جويّة بن النضر»:

« قالت ظريفةُ ما تُبقي دراهمنا وما بنا سرفٌ فيها ولا خرقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طَرِقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرَّتْنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلِ يُخْلِدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَرِقُ»

خامسًا: لأن إنسانيته وشغفه باللغة العربية دفعاه إلى حفظ الكثير من سُور التنزيل العزيز وآياته.

سادسًا: لأنه استطاع وهو يافعٌ عمره سبعة عشر ربيعًا أن ينهض بأسرة تتألف من أربعة أشقاء وثلاث شقيقات. ثلاثة من أشقائه درسوا الطب البشري؛ فتميز الطب بهم، وأتقنوا نَظْمَ الشعرِ وَفَنَّ الخِطَابَةِ؛ فبدت هذه الخلال وكأنها موروثه. وحرَّص على تعليم شقيقاته وتثقيفهن في فضلى المدارس المتاحة.

هذه بعض فضائله؛ ولقد أبدع «أبو تمام» عندما قال:

«يَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذَا مِنْ هَذَا مَنْاقِبُهُ مَاذَا الَّذِي بِلُؤْغِ النَّجْمِ يَنْتَظِرُ»

ولقد رأينا أن نجعل سيرة حياته في مرحلتين متميزتين من حيث اللغة العربية: الأولى مرحلة ما قبل عضويته في مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي آنذاك)، والثانية مرحلة عضويته في المجمع، عضوًا عاملاً مؤسسًا.

مرحلة ما قبل المجمع

المجمعي السلف الأستاذ «أنيس سلوم» هو ابن «ناصيف» بن «نعمة» بن «سليمان سلوم»، وُلد في مدينة حمص عام اثنين وستين وثمانئة وألف. في الرابعة من عمره كان يجيد قراءة النصوص الدينية مشكولةً، وينجز العمليات الحسابية الأربع. وعندما بلغ السابعة نشب بين والده وبين القائمين على رأس الكنيسة الأرثوذكسية في حمص خلافٌ مذهبيٌّ، نجم عنه اعتناق الوالد للمذهب الإنجيلي أو البروتستانتي. وقد أدى تمرد السيد «ناصيف سلوم» إلى مضايقات من بعض الرعايا؛ فقرر الانتقال مع عائلته إلى حي «النصارى» في مدينة حماة؛ فأنشأ هناك «الكنيسة الإنجيلية». ولكن المضايقات استمرت، مما حمله على نقل سكنه إلى حي «البرازية».

ولما لم يكن هنالك مدرسةً تعليمية، اضطر الفتى إلى الدراسة في المنزل. ثم عزم الوالد - وهو على يقين راسخ باستثنائية ذكاء ابنه - على إرساله إلى مدرسة «عَبِيَّة» في جبل لبنان. كان عمره آنذاك ثلاثة عشر عامًا.

أتم المجمعي السلف دراسته (بما يعادل اليوم - في رأينا - الدراسة الإعدادية) في «عَبِيَّة» في عامين، حيث درس على وجه التخصيص اللغة العربية ومبادئ اللغة الإنكليزية. أمضى بعد ذلك بضعة أشهر معلمًا في إحدى قرى لبنان. عاد إلى حماة لينشئ مدرسة ابتدائية، كان يُعَلِّم فيها ويدرس بنفسه كُتُبَ القبول في الكلية الأمريكية. لكن وفاة والده عام تسعة وسبعين وثمانئة وألف حالت دون تحقيق تلك الأمنية. ومنذ ذلك التاريخ، انكب على التحصيل الشخصي لعلوم الكلية كافة؛ وأتقن اللغة العربية وآدابها، وحفظ كثيرًا من سور القرآن الكريم وآياته، وأظهر براعة استثنائية في كتابة النثر ونظم الشعر. وتسلم في الوقت نفسه منبر الكنيسة وإدارة شؤونها. ولكي يحترف الخدمة الدينية، أرسل إلى مدرسة اللاهوت مدة عام. وكان عمره آنذاك اثنين وعشرين عامًا.

وفي عام خمسة وتسعين وثمانئة وألف، وكان عمره آنذاك ثلاثة وثلاثين عامًا،

اعتقله متصرف حماة «صادق باشا»، وسيق إلى دمشق للاستجواب. وسبب ذلك أن المجمعي «سلوم» امتدح صديقاً له بقصيدة، ورد فيها البيتان التاليان:

«ولا تعتبر شخصاً لُزحرفِ قوله ولا تكُ مُعتزراً بحسنِ الظواهرِ
فكم كاذبٍ يبدو بهيئة صادقٍ وكم بحسٍ يزهو بأثوابِ طاهرٍ»

ولما كان المتصرف يحقد على الممدوح؛ فقد فسر البيتين على أنهما هجاءٌ له. فلما سأله المستنطق في دمشق عن معنى البيت الذي ورد فيه تعبير «صادق»، أجاب السلف الكريم: «إن المعنى واضح، ألم تفهمه؟» فقال المستنطق: «أنا لست شاعراً». فقال الأستاذ المجمعي: «سَلْ إذن شعراء دمشق فينبثوك». فقال المستنطق: «إن معناه الظاهر حسنٌ، ولكن ماذا تعني به في الباطن؟» فأجاب المجمعي السلف: «إن في ذلك عجباً، أيقظ لك أن تسألني عن غير المعنى الظاهر؟ أتوجد مادة قانونية تحكم على ما في باطن الإنسان؟» فقال المستنطق: «لا، ولكنك كنت تقدر أن تُغيّر لفظي صادق وكاذب». فأجاب الأستاذ «سلوم»: «أجل، إن مجال التورية واسعٌ، وكنت أقدر أن أضع في مكانيهما لفظي «ناقص وكامل»، ولكن يغتاض مني «كامل باشا» الصدر الأعظم أخو المتصرف «صادق باشا»، ويدعي عليّ بأنني أقصد هجوه. وكذلك لو وضعت في مكانيهما كلمتين أخريين مثل «جاهل وعارف» أو «طالح وصالح»، أو «زائع وراشد»، لقام أصحاب هذه الأسماء وأدعوا عليّ بأنني أعينهم. وإني لأعجب من «صادق باشا» كيف عرف أني أعنيه ولم يكن بيني وبينه سابق معرفة!». فضحك السامعون، وحثم الاستنطاق، ورفعت الأوراق إلى الوالي «عثمان باشا الأعرج»، وألحق السلف الكريم الأوراق باستدعاء قدمه إلى الوالي يُفهمه فيه أن ما يقصده «صادق باشا» من شكواه إنما هو الشففي والانتقام. ففهم الوالي الحقيقة، وأمر بإطلاق سراح المجمعي السلف، وعاد هذا إلى حماة مرفوع الرأس، موفور الكرامة.

لقد رأينا أن نورد هذه الحادثة لأنها كانت وراء ارتحال الأستاذ المجمعي إلى قرية؛ «بشمزين» في الكورة في جبل لبنان. ذلك أنه خشي أن يدبر «صادق باشا» له مكيدة جديدة؛ فيعتقل مجدداً. وبقي في «بشمزين» سنتين.

في خريف عام سبعة وتسعين وثمانئة وألف، وكان عمره آنذاك خمسة وثلاثين

عامًا، دُعي إلى رعاية الكنيسة الإنجيلية الوطنية في دمشق، حيث حفر فيما بعد اسمه على ناقوسها. وإضافة إلى ذلك، أصبح خطيبًا في مناسبات علمية وسياسية ووطنية عديدة. وفي عام تسعةٍ وتسعمئةٍ وألف، انتخب عضوًا عن لواء حماة في المجلس العمومي لولاية سورية، وأُعيد هذا الانتخاب غير مرة. وكان في ذلك المنصب عندما اعتُقل في ربيع عام ستةٍ عشر وتسعمئةٍ وألف بسبب اكتشاف أحد أجهزة «جمال باشا» وجود ابن عمه الشهيد «رفيق رزق سلوم» في منزله، حيث جاء الأخير من حمص ليتوارى عن الأنظار في منزل المجمع السلف بدمشق. فُنّي الأخير إلى مدينة توقات في ولاية سيواس بتركيا، ثم سُمح له أن يقضي صيف عام ثمانية عشر وتسعمئةٍ وألف في مدينة «أضنة»، وكان صيفها شديد الحرارة. ولما تسلم السلطان «وحيد الدين» السلطنة، عفا عن المنفيين السياسيين، فعاد الأستاذ «سلوم» إلى دمشق، ووصل إليها قبل الاحتلال الفرنسي بأسبوعين. وعُيّن بعد ذلك بقليل مشرفًا على «الشعبة الأولى للترجمة والتأليف». ثم سُميت هذه الشعبة في شهر شباط من العام التالي (أي تسعةً عشر وتسعمئةٍ وألف) «شعبة ديوان المعارف»، وعُهد إلى السلف الكريم - سواءً في «الشعبة الأولى للترجمة، والتأليف»، أم في «شعبة ديوان المعارف» - «بأمر الإشراف على لغة دواوين الحكومة، ومراقبة أعمالها الكتابية، وإرشاد شبان الكتّاب إلى الفصيح من الأساليب والصحيح من التعابير». واستمرت الأمور على هذه الحال إلى أن تحولت في الثامن من حزيران من عام تسعةً عشر وتسعمئةٍ وألف «شعبة ديوان المعارف» إلى «المجمع العلمي العربي»، وانتخب المحتفى به في شهر تموز من ذلك العام عضوًا عاملاً مؤسسًا.

ونذكر بعض مناقبه الكثيرة، وخاصة ما يتصل منها بتملكه زمام اللغة العربية خطابةً ارتجالية ونثرًا وشعرًا، وسرعة بديهة. وتشهد على ذلك الحادثة الطريفة التالية:

دخل ذات يوم في حماة بيت صديقه «محمد الحريري»، الذي كان مفتيًا للمدينة، وكان في حضرته جماعة من وجهاء أفاضل حماة. فنهض المفتي إجلالاً وترحيبًا بالزائر، ونحا منحاه الآخرون، إلا واحدًا منهم أبي القيام استكبارًا. جلس المجمع، وساد الصمت

بضع ثوانٍ؛ فقال المفتي للمجمعي السلف: «ما بألك ساكنًا أيها الصديق، هات حدثنا بما جرى لك في زمانك» فأجاب الأستاذ «سلوم»: «لقد جرت لي أمورٌ كثيرة، وها أنا ذا أحدثكم بأمرٍ واحدٍ منها. دخلتُ مرةً بهو صديقٍ لي من كبار القوم وكان حافلاً بالزائرين الكرام. فقاموا جميعًا إكرامًا لي إلا واحدًا منهم، نفخته الكبرياء، ولعبت برأسه الخيلاء، فلم يقيم استخفافًا بي، ولم يخطر بباله أن استخفافه هذا إنما هو استخفافٌ بصاحب البيت وزائريه أجمعين؛ فقلت على الفور:

«بفضل إلهي نلتُ علمًا ورفعةً ومن يحتقر فضلَ الإله فقد كَفَرَ

إذا قامَ لي أهلُ المعارفِ والنُّهى فما ضَرَّني ألاَّ يَقومَ لي البقرُ»

فضحك السامعون إعجابًا، وخرج المستكبرُ ممتعًا اللون متعثرَ الخطوات.

مرحلة عضويته في المجمع العلمي العربي

أصبح إذن الأستاذ «سلوم» عضوًا عاملاً مؤسساً في المجمع العلمي العربي في إثر إنشائه، وكان عمره آنذاك سبعةً وخمسين عامًا. كَتَبَ عنه، نيابة عن المجمع، الأستاذ الشيخ «عبد القادر المغربي» وكيل المجمع وعضو المجمع الملكي المصري - رحمه الله - مقالةً تأيينيةً تكريمية، نقتبس منها ما يلي:

«وكان أولُ ما خطر في بال أولي الأمر يومئذ (ويقصد الحكومة العربية في سورية) العناية بلغة الدواوين وتصحيح أسلوب (المعاملات الرسمية)؛ فُعهد إلى الأستاذ «أنيس سلوم» - وهو الذي اشتهر بتمكنه من اللغة العربية وقضى معظم حياته في تعليمها للطلاب وممارستها نظماً وتنظراً وخطابة -، عُهد إليه بأمر الإشراف على لغة دواوين الحكومة ومراقبة أعمالها وإرشاد شبان الكتَّاب إلى الفصح من الأساليب والصحيح من التعابير».

«وليس هذا فقط بل إن الأستاذ أنيس رحمه الله أخذ يجمع شبانَ الموظفين في إحدى غرف دار الحكومة ويُلقي عليهم أماليً في قواعد اللغة العربية وأصول بلاغة الإنشاء فيها».

«كل ذلك مقابل راتب يتقاضاه من خزينة الحكومة كسائر موظفيها. وبديهي

أن الأستاذ أنيس لا يستطيع وحده القيام بهذه المهمة ذات المناحي المختلفة، والطرائق المتعددة، لذلك أضافت إليه الحكومة العربية طائفةً من أمثاله المتخصصين في علوم اللغة وآدابها وتاريخها. وقد أخذت هذه الطائفة شكلاً رسمياً معنوياً باسم (الشعبة الأولى للترجمة والتأليف) وكان ذلك في أواخر خريف عام ثمانية عشر وتسعمئة وألف ميلادية ثم جعلت هذه الشعبة (ديوان المعارف) في شباط عام تسعة عشر وتسعمئة وألف ميلادية».

«ثم لما استقلَّ الأستاذ ساطع بك الحصري بوزارة المعارف العامة تحولت الشعبة المذكورة إلى مجمعٍ دُعي (المجمع العلمي العربي) وقد قصّر أعماله ومساعيه على نشر العلم الذي تحتاج إليه البلاد وخاصة اللغة العربية وتاريخها وآدابها. وكان ذلك في الثامن من حزيران عام تسعة عشر وتسعمئة وألف».

«هذه هي نشأة المجمع العلمي ومبتدأ خبره. وقد كان الأستاذ أنيس قاعدته التي رُفع عليها. أو نواته التي تكوّن حولها». وأذكر في هذه المناسبة أن أحد المترجمين للسلف الكريم يُشير إلى أن المجمع أنشئ نتيجة مساعٍ بذلها الجمعي السلف. وفي رأبي الشخصي، أن هذا الإنشاء ربما أتى نتيجة تضافر جهود كثيرة، يأتي في مقدمتها جهد الرئيس المؤسس الأستاذ «محمد كرد علي»، رحمه الله، ومسعى الأستاذ «سلوم». وذكر لي أن «الملك فيصل» كان حريصاً على أن تصبح اللغة العربية الفصحى هي لغة الحكومة، وأدرك أن هذا الحرص يتجسد في شخص السلف الكريم، فأنس إليه، وزاره في منزله غير مرة. ويروى دليلٌ على لباقة «الملك فيصل» وتهذيبه - بساطة بداوته -، أنه كان يرفض أن تُشعل له لفافة التبغ في منزل الأستاذ «سلوم» وهو جالسٌ؛ بل كان يقف عندما يقترب منه أحد أفراد الأسرة ليشعل له اللفافة.

ولقد ألقى الأستاذ «فارس الخوري»، رحمه الله، كلمةً ارتجالية في تأبين الأستاذ الجمعي؛ جاءت متفردةً في فصاحة لغتها، واستثنائيةً في عمق الأفكار التي اشتملت

عليها؛ نفتبس منها ما يتصل بالمقدرة اللغوية للفقيد. يقول الأستاذ «فارس الخوري»: «له في ناحية اللغة العربية التي كان معدودًا بين علمائها الثقات منزلةً من التدقيق والتحقيق قلما بلغها غيره من المعاصرين. فلقد كان مرجعًا موثوقًا به في ضبط الألفاظ وصحة التركيب وسلامة الإعراب وحفظ المفردات مع مهارة غريبة باستحضار الكلمات ووضعها في مواضعها ببلاغة نادرة وسبكٍ متين وانسجامٍ رائق». ويقول الأستاذ الشيخ «عبد القادر المغربي» عن عمله في الجمع، وعن مقدرته اللغوية في مقالته التأبينية السالفة الذكر ما يلي:

«وكانت معارف الأستاذ سلوم اللغوية وذوقه الصحيح في الفصيح من كلماتها وأساليبها ثروةً للمجمع أفادته فيما هو بسبيله من خدمة اللغة وإصلاح أغلاط الكتاب ووضع كلماتٍ جديدة تفي بحاجة الاصطلاحات العلمية والفنية والإدارية. مثال ذلك جواب الأستاذ أنيس عن أسئلة وجهها إلى المجمع الأستاذ (نقولاً غبريل) وهي تتعلق باللغة وقواعدها وتصحيح أغلاطها، وقد أجابه الأستاذ أنيس جوابًا ممتعًا نُشر في مجلة المجمع. وله عدة محاضرات ألقاها في زدهة المجمع كان يُعجب بها الحاضرون كما يُعجبون بفصاحة لسانه ومقدرته على الارتجال. وقد نُشرت بعض محاضراته في مجموعة المحاضرات التي أصدرها المجمع. منها محاضراته في (العلم) وأخرى في (العمل بالعلم) وثالثة في (الكتب والمطالعة) وقد استغرقت هذه المحاضرات نحو ستين صفحة كبيرة من صفحات المجموعة، لم يغادر الأستاذ فيها من الفوائد الممتعة ما له علاقةً بهذه المواضيع إلا أتى عليه شرحًا وإيضاحًا. ولا حاجة إلى الإسهاب في الكلام على حياة الأستاذ سلوم العلمية، فإن شهرته في التمكن من اللغة العربية وبلاغتها وإجادة الخطابة فيها استفاضت حتى يكاد لا يجهلها أحدٌ في هذه البلاد وقد زان ذلك كله أخلاقًا عالية، وفضائل سامية: من سعة صدر، وأناةٍ وصبرٍ، وحبٍّ للخير والإحسان، ووفاءٍ للأصدقاء والخلان. رحمه الله وألهم البلاد واللغة العربية عزاءً جميلًا عن فقده».

أمَّا ما يتعلق بفاعليته في الجمع، فكانت تمتاز بالأصالة والنشاط وتعدد المناحي. ويمكن إجمال هذه الفاعلية في ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: المحاضرات العلمية

بلغ عددها أربع محاضرات، ألقى كلُّها في زدهة الجمع، وكان يحضرها عددٌ كبير من المستمعين، وتكتب عنها الصحف الدمشقية كافة تقريبًا.

كان عنوان المحاضرة الأولى «العلم»، وتعدُّ، كالمحاضرات الثلاث الأخرى، بحثًا علميًا في أهمية العلم في بناء الحضارات، وتقدم الشعوب، وتراثها، ويرى أن الدول تسمو بسمو العلم لديها، وتنحسر مع ضعف العلم وهنئه. ويذكر أن العلم يُحسِّن الصحة العامة، ويقوِّي العقل، ويصلح الآداب، ويُخضع قوى الطبيعة، ويوفِّر الثروة، ويسهِّل طرق المعيشة، ويهيج آيات الله في خلقه. ثم يبرهنُ الجمعي السلف بإسهاب على أن الدين والعلم وجهان متلازمان لحقيقة واحدة هي الإيمان. ويتحدث عن غنى الجاهل وفقر رجل العلم، ويسخر من قول الشاعر الذي يمجّد المال بقوله:

«إن الدراهم في المواضع كلّها تكسو الرِّجال مهابةً وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحةً وهي السلاح لمن أراد قتالا»
ويستنكر قول الآخر:

«فصاحةٌ سبحانٍ وخطُّ ابنِ مُقلّةٍ وحكمةٌ لقمانٍ وزهدُ ابنِ أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرءُ مُفلسٌ ونوديّ عليه لا يُباعُ بدرهم»

ويرى أن نقيض ذلك هو الصحيح.

أما المحاضرة الثانية، فعنوانها «العمل بالعلم». وتعني في يومنا هذا القول: علم اليوم هو تقانة الغد. ويرى المحاضر أن العلم لا شأن له إذا لم يجد تطبيقًا عمليًا تفيد منه البشرية. ويتحدث بإسهاب عن مناقب العمل، وأهميته في بناء المجتمعات والأفراد

بُنيًا صحيحًا وسليمًا. ويطالب كلَّ ذي مهنة بإخلاصه وتفانيه واحترافيته عند قيامه بمهنته. ويمجد السلف الكريم الفاعلية والعمل بوصفهما قيمتين إنسانيتين نبيلتين، ويستصغرُ البطالة والكسل مستنبت الرذيلة.

وعالجت المحاضرة الثالثة أهمية القراءة في حياة الشعوب. وكان عنوانها: «الكتب والمطالعة». وقد بحث الأستاذ «سلمو» في هذه المحاضرة في أصل الكتابة، وتطور أشكالها، ونشوء الأبجدية كما نعرفها اليوم، وعالج نشوء المكتبات، ومدى اهتمام الشعوب بها، وكيف كانت معيارًا دقيقًا لدرجة تطور الأمم. ثم انتقل إلى موضوع الترجمة والتأليف في العالم عامة وفي المنطقة العربية خاصة. وعالج بإسهاب فوائد المطالعة ومناقبتها فيما يتعلق بالأفراد والجماعات والشعوب، وتحدث أيضًا عن واجب الدولة في العناية بالكتاب من حيث التأليف والترجمة والنشر، وبالمكتبات، وتوفير سبل المطالعة للناس.

أمَّا المحاضرة الرابعة، وعنوانها: «تعزير اللغة العربية»، فقد عالج فيها تاريخ اللغة العربية، وأسباب تعزيرها والوسائل التي تؤدي إلى ذلك. وبحث السلف الجمعي لغات القبائل العديدة التي كانت موجودة قبل الإسلام كتميم وربيعة ومُضَر وقيس وهذيل وقُضاعة وغيرها. ولكن قريش كانت سيدهُ القبائل. وعندما نزل القرآن الكريم بلسان عربي هو لغة قريش، رفع شأن اللغة العربية وحفظ كيانها، بل حفظ التفاهم بها بين الأمم الإسلامية في أنحاء الأرض المختلفة.

إن من يقرأ هذه المحاضرات قراءة متأنية يخرج باستنتاج بيِّن واضح؛ هو أن صاحبها، الذي كان تحصيله اللغوي والعلمي كلُّه شخصيًا لم تشارك فيه أية كلية أو جامعة، لا يمتلك فقط ناصية العربية ألفاظًا وتراكيب وإبداعًا في الاستعمال، بل هو أيضًا نافذُ الفكر عميقه، واسع الثقافة والاطلاع، لا تغادره الفكرة إلا بعد أن يشبعها بحثًا وتمحيصًا، ويخرج بها أنيقة الصياغة، جزلة الأسلوب. إن غاية محاضراته وكلماته تحفيزُ روح المواطنة لدى الجمهور.

المجموعة الثانية: الردود العلمية

أجاب المجمعي المؤسس الأستاذ «سلوم» في واحدة من هذه المجموعات عن أسئلة وردت إلى الجمع؛ نذكر منها رسالة وردت من الأستاذ «نقولا غبريل» منشئ «النشرة الأسبوعية». وتعلق الرسالة بشروط يقترحها الأستاذ «غبريل»، تتناول شؤونًا مهمة في الجمع، منها:

- 1- ألا يُنتخب إلا كلُّ عالمٍ لغوي ضليع.
 - 2- ألا ينظر إلى مذهب المنتخب وماله ورتبته.
 - 3- أن ينبذ الجمع كلَّ كلمة عامية أو مولدة، أو تعبير غير عربي بشرط أن يوضع ما يرادفه.
 - 4- أن يختار لمساعدته من لهم معرفة باللغات الفرنسية والإنكليزية، وهلمَّ جزًا.
- وقد أحاب المجمعي السلف عن هذه الشروط، ونُشر الموضوع في مجلة الجمع، المجلد الثاني الجزء الأول في كانون الثاني عام اثنين وعشرين وتسعمئة وألف.
- أمَّا الموضوع الثاني؛ فتمثل بدراسة قام بها السلف الكريم لملاحظة أبقاها الدكتور «يعقوب صروف» في كتاب نُشر في مجلة الجمع، المجلد الثاني الجزء التاسع في أيلول عام اثنين وعشرين وتسعمئة وألف، يقول فيها: «إنه غيرُ راضٍ عن اهتمام بعض أعضاء الجمع بترجمة الألفاظ التي لا مرادف لها عندنا لأنه لا يرى موجبًا لذلك ولا فائدة منه للغة، إلخ». فيجيب المجمعي السلف أننا إذا أخذنا بهذا الرأي، فإن العربية ستصبح خليطًا من العربية واللغات الغربية؛ فتنشوه محاسنها البديعة وتنحط منزلتها الرفيعة. وإذا استمر الأمر كذلك، فالعربية ستتحسر طالبة الاستموات خزيرًا وعارًا. ويناقش الأستاذ «سلوم» أمر التعريب ببصيرة نافذة وعمق فيه الكثير من الأصالة؛ فيدحض كليًا رأي الدكتور «صروف»، معززًا ذلك بالأدلة والقرائن. وتجدر الإشارة إلى أن المجمعي المؤسس هو الذي وضع لفظة «سيارة» لكلمة «automobile»، ولفظة «هاتف» لكلمة «telephone».

المجموعة الثالثة: دراسة نقدية لعدد من الكتب

قام الجمععي المؤسس بإجراء دراسة موجزة لكن معمقة لعدد من الكتب، نذكر منها «الوسيط في الأدب العربي وتاريخه»، وكتاب «وميض الروح»، كما كتب تقریظاً لكتاب «بسائط علم الفلك»، وكتاب «كليلة ودمنة»، و«تاريخ هنيبال»، وكتاب «الطب العربي». وكتب أيضاً تقریظاً لكتاب «موجز في علم المالية» للأستاذ «فارس الخوري». ويمكن للقارئ أن يجد هذه الدراسات الموجزة في: كتاب «شاعر الدبس»، «ذكرى أنيس سلوم»، الصفحات ٣٣٩ - ٣٤٦.

ونذكر أخيراً أن السلف الكريم نَظَمَ ما يزيد على ثمانين قصيدة شعرية. وألقى عددًا كبيرًا من الخطب الاجتماعية والعظات الدينية. ويُشير «شاعر الدبس» إلى أن له كتبًا في علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاقتصاد، وتعليقاتٍ على كتب «باكون» و«رُسكن» و«إمرسن»، وردودًا مختصرة على كتب «داروين» و«هكسلي»، فقد أكثرها زمنَ الحرب. في عام ستّة وعشرين وتسعمئة وألف أقعده مرض تصلب الشرايين، وقضى في الحادي عشر من شهر كانون الأول عام واحدٍ وثلاثين وتسعمئة وألف عن عمر بلغ تسعة وستين عامًا. نعتُهُ كل الصحف السورية تقريبًا، والشخصيات العلمية والسياسية والدينية. لو عرفه «أبو تمام» لقال:

«مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ رَوْضَةٌ عَدَاةَ ثوى إلا اشتهدت أنها قَبْرٌ»

ولو عرف أيضًا «أبو تمام» أولئك المؤسسين العظام وسنواتهم الصَّعَاب، لقال فيهم مُكْرَمًا:

«ثم انْقَضَتْ تلكَ السُّنُونُ وأهلها فكأَنَّهَا وكأَنَّهمَ أَحْلَامٌ»

أخيراً، أشكركم مرةً ثانية فردًا فردًا، وأشكر كلَّ من أسهمَ في تنظيم هذا الاستقبال، وأخص منهم السيد «محمد الفجر»، والسيدة «طهران صارم»، والآنسة «هلا الضحاك»، والسيدة «بشيرة حمودة» على صبرها على طباعة هذه الكلمة. كما أشكر زوجتي الأستاذة الدكتورة «ليلى مسوح» وابني الدكتور «سامر» وابنتي المهندسة «رندة» على تضحيتهم وصبرهم ومساعدتهم.

حفل استقبال
الأستاذ الدكتور أحمد قدور
عضوًا في مجمع اللغة العربية

في الساعة السادسة من مساء الأربعاء ١٤٣١/٧/١٢ هـ - ٢٠١٠/٦/٢٣ م
احتفل المجمع باستقبال الأستاذ الدكتور أحمد قدور، عضوًا في مجمع اللغة العربية، في
جلسة علنية، حضرها نخبة من رجال السياسة والعلم والأدب وأصدقاء المحتفى به
وطلابه.

بدأ الحفلُ بكلمة الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع، التي رحّب فيها
بالسادة الحضور، وهنأَ الزميل المجمعي الجديد، بانضمامه إلى مجمع الخالدين، متمنيًا
له مسيرة طيبة حافلة بالعطاء.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور عيسى العاكوب كلمة الترحيب بالزميل الجديد.
فتحدث عن سيرته، ومكانته العلمية، وجهوده في خدمة العلم.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور أحمد قدور كلمته، التي تحدث فيها عن سلفه الراحل
الأستاذ رشيد بقدونس.

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

كلمة الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع
في حفل استقبال الدكتور أحمد قدور
عضوًا في مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

«الله أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية، وأبي لي أن أنفردَ عن صميم أنصارهم وأمتارَ، وأنضويَ إلى لفيف الشعوبية وأنحاز، وعصمني عن مذهبهم الذي لم يُجدِ عليهم إلا الرشقُ بألسنة اللاعنين، والمشقَّ بأسنة الطاعنين».

بهذا الكلام البليغ يفتتح الإمام الأجلّ فخر خوارزم جار الله محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله المتوفى عام ٥٣٨ هـ كتابه النفيس «المفصل في علم العربية» وهو كتاب في الإعراب محيطة بكافة الأبواب.

لقد كان الزمخشري أحد أولئك الأعاجم الأفاض الذين أقبلوا على اللغة العربية يدفعون الغموض عن نحوها، ويوضّحون ما خفي من أسرارها، إذ إن المقصود هو إقامة اللسان ومجانبة الخطأ في الإعراب، واللحن في القول، وذلك بعد فُشُوّ اللحن على ألسنة العرب تبعًا لمخالطتهم أبناء الحضارات المجاورة لهم. إنه المسعى الهادف قبل كل شيء إلى تسهيل تفهّم دقائق النص المثالي في لغة العرب، وهو القرآن الكريم.

إن هذا التوق إلى الكمال اللغوي مبعثه ما للغة العربية من مقام روحي قد تميّز عن أي مقام آخر، وما لها من صلة صوفية بالوحي الإلهي تجعلها مرقاةً وهماجةً في مناجاة الإنسان لخالقه.

فقد أحبّوا اللغة العربية مدخلاً لأعمق ما في التنزيل من تضاعيف لا يصل إلى إدراكها إلا من تمكّن من أسرار تلك اللغة، واستطاع تفهّم العلاقة بين اللفظ والمعنى في كل سياق، واستوعب الفروق بين المفردات التي تُعدّ بألوف الألوف، وترمّ بإيقاع شعرها وسجعها.

إن اللغة العربية ليست مجرد إطار خارجي للثقافة العربية، بل هي روح تلك الثقافة، وقد أمدّتها بالخصائص الأصيلة الفريدة، وغدت في نفسها واحداً من أهم عناصرها المكوّنة. وهذا ما أبقى الألفاظ والتراكيب العربية مستقرةً بارزةً في اللغات الإسلامية، كالفارسية والتركية للتعبير عن معظم المعطيات الفكرية المجردة، وما أوجد تقارباً ملحوظاً في نوعية المؤثرات، وتظاهرات الانفعالات والأحاسيس بين العرب وأبناء القوميات الإسلامية الأخرى.

وقد أقرّ المستشرقون بما للعربية من تميّز إذ يقول بروكلمان* بأن اللغة العربية غنية غنىً يسترعي الانتباه في مفرداتها: «فهي نهرٌ تصبّ فيه الجداول من شتى القبائل حتى بهرَ ثراؤها علماء اللغات ومؤلفي المعجمات».

لم تحظ لغةٌ من لغات العالم، الحيّة منها والميتة، بجزء مما حظيت به اللغة العربية درساً وتدقيقاً وتمحيصاً.

فقد عرفنا اللغة الإغريقية بنصوصها الأدبية والعلمية، كما عرفنا اللاتينية بمؤرخيها وشعرائها، ثم عرفنا اللغات الحضارية الأوروبية كالفرنسية والإيطالية والإسبانية وجميعها مشتقة من اللاتينية، إلا أننا لا نجد فيما وصل إلينا من دراسات لغوية فيها، قبل القرن الثامن عشر الميلادي، ما يعادل كتاباً واحداً من الكتب الرئيسية في علوم اللغة،

(* حسن محمد الحفناوي من أسرار اللغة العربية ص ١١ أبو ظبي.

التي مازلنا نعتمدها اليوم، أمثال كتب ابن جني أو سيبويه أو السيوطي، على اختلاف العصور.

ذلك أن اللغة العربية التي أدخلها الإسلام إلى أرجاء المعمورة كانت منذ ظهورها لغةً تحمل إرثاً عميقاً الجذور من الحضارات واللغات العروبية، لغات آكاد وآشور وكنعان وآرام، لغةً استوعبت نتاج حواضر عريقة في شرقنا كحجران على مقربة من الفرات، وجنديسابور في خوزستان على الخليج، والإسكندرية في بلاد النيل، تلك المنارة المشرقية لثقافة البحر الأبيض المتوسط. ولاشك أن العربية مدينة بغزارتها ودقة انطباقها على المعاني لما وصل إلى المسلمين من الشعر الجاهلي، الحامل لأصالة العربي في علاقته بالطبيعة.

وقد جذبت العربية إليها كل من دخل المجال الإيماني الذي حمله القرآن الكريم، فانطلق العرب وعشاق العربية يستقصون عناصر سحرها، ويحللون مكونات مفرداتها، ويدرسون اتساق ألفاظها في تراكيب تعطي لكل لفظة معنى يرتبط بما هو فيه من سياق فكري.

وإن تعرّب الشعوب التي وجدها العرب في بلاد الفتح قد فسح المجال لإيجاد خطة يسلكونها لإتقان العربية، كما أنها خطة تساعد العرب على الالتزام بضوابط لغتهم، بعد أن غلبت سليقتهم، بسبب تعاملهم مع الأعاجم. وهناك حادثة مشهورة وردت في كتب التراث توضح الأمر، وهي عن الأعرابي الذي التبتست عليه القراءة حين تلا:

﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بدل: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]، فقد كانت من الحوادث التي أكدت ضرورة تفادي مثل ذلك البلاء العظيم، ولزوم توضيح قواعد الإعراب، حرصاً على سلامة التلاوة.

وهكذا انطلقت موجة عارمة من الدراسات اللغوية في اللسان العربي، ويؤكد

الأستاذ الكبير شوقي ضيف قناعته بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو العربي بمعناه الدقيق^(*) «لإقامته لصرح النحو بكل ما يتصل به من نظرية العوامل والمعمولات، وبكل ما يسنده من سماعٍ وتعليلٍ وقياسٍ سديد». وقد خلفه على تراثه تلميذه سيويوه.

لقد قدّم الخليل، المتوفى عام ١٧٠هـ، في كتاب العين وهو أول معجم في العربية، دراسةً لغويةً لم يسبقه إليها أحد، فقد بنى معجمه على تقليب الحروف في كل الصيغ الأصلية للكلمة، بحيث تدرج مع كل كلمة الكلمات الأخرى التي تجمع حروفها وتختلف في تركيبها.

ق و ل ل وق وق ل ق ل و إلخ

وجعل ترتيب الكلمات في المعجم على مخارج الحروف ومواقعها من الجهاز الصوتي، المؤلف من الحلق، واللسان، والفم، والشففتين، بادئاً بحرف العين. كما قام بوصف الأجراس الصوتية للحروف من همسٍ، وجهرٍ، وشدّةٍ، ورخاوةٍ، واستعلاءٍ واستيفال. وهذه دراسة صوتيةٌ وظيفيةٌ أبرزت خصائص فريدةً في اللغة العربية. وهو واضع مصطلحات النحو والصرف وأبوابهما، ومبتدع علم العروض، إذ إنه رسمه بكل أوزانه وحدوده وتفاعيله، وذلك برهافة لا مثيل لها.

أيها السيدات والسادة

لن أدخل في تفصيل ما تعرفونه عن المدارس النحوية: البصرية والكوفية والبغدادية والأندلسية، إنه سبيل لم ينقطع من الدراسات التفصيلية أنتجت حركةً فكريةً وضعت قواعد لغويةً استلّتها من الشعر الجاهلي ومن النصوص، كما رصدت كلام العرب، وبيّنت وجود العلة المفسّرة لروابط اللغة. وقد تجاوزت تلك الحركة الفكرية أوساط النحويين وأوصلت المساجلات والمناظرات إلى بلاط الخلفاء وقصور الأمراء.

(*) شوقي ضيف المدارس النحوية ص ٦ دار المعارف ٢٠٠٨ القاهرة.

إنها نظرةٌ تصنيفيةٌ تحليليةٌ سلكها المسلمون في تعاملهم مع العلوم الواردة إليهم، كما ظهر ذلك في تصنيف العلوم للفارابي، الذي جعل العلوم في خمس مراتب: علومُ اللغة، علمُ المنطق، علمُ التعاليم (الرياضيات)، الطبيعيات، ما وراء الطبيعة. إلا أن النظرة التصنيفية الأولى التي تعكس بدايات الفكر العربي الإسلامي بوجهٍ خاص هي تلك التي بدأت بتصنيف العلوم علومًا شرعية وغير شرعية، وعلومًا نقلية إلى جانب علومٍ عقلية.

وهذه النظرة هي التي تبرز أهمية العقل، أساسًا وعنصرًا معتمدًا لما يوصل إلى الحقيقة. ذلك أن حقيقة العلوم الشرعية لا مجال للتشكيك فيها نظرًا لمنزلتها السامية، والعلوم النقلية لا يتجاوز الأمر فيها الاهتمام بتطبيقاتها العملية، وأما العلوم العقلية فهي المجال الأوسع، الذي لا يمكن الوصول فيه إلى أي نتيجة مؤكدة دون الاعتماد على العقل، وإيلائه المقام الأعلى في كل ما يوصل إلى الفهم. وقد وصفه الرازي^(*) قائلاً: «إن العقل أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا» وهذا ما حدا بهم إلى جعله للمعرفة ميزانًا، أو كما قال ابن خلدون^(*) «العقل ميزانٌ صحيح فأحكامه يقيينية لا كذب فيها».

وهكذا فقد كان العقل ناظمًا لضبط العمليات الفكرية خارج المجالات الإيمانية، وركيزةً متينة يمكن للمفكر أن يبني عليها بنیانًا متماسكًا في طلبه الوصول إلى الحقيقة. ولا شك بأن المسار الفكري الذي سلكه اللغويون المسلمون في دراستهم للغة ينطبق عليه ما هو معروف عن المسار العقلاني. فالعقل ملكةٌ يستخدمها الفكر إلى جانب ملكتين أخريين تساعدان على إيصاله إلى استيعاب الموجودات، وهما الخيال والذاكرة. فإذا أضفنا إلى المحاكمة العقلية المجردة ما يردفها به الخيال كما وصفه الفارابي، وهو «قياس ما لا نعرف على ما نعرف» وجدنا أنه عنصرٌ هامٌ في اختيار المعنى،

(*) أبو بكر الرازي الطب الروحاني ص ١٨.

(*) محمد السويسي مدخل إلى أصول العلوم عند العرب ص ٥٥ جامعة الزيتونة تونس.

وتحديد اللفظ الذي سيستقر عليه المفهوم في أي دراسة للكلام. وأما الذاكرة فهي التي تربط ماضي العقل بحاضره، وتشكل ضامناً للترامه بسياق البحث في تناول الحقيقة، بالاستناد إلى ما يحتوي عليه من معارف سابقة.

وهذا ما يوصل الفكر إلى تعقل الأشياء وإصدار الحكم بحقيقتها، دون إهمال أي من عناصرها، وبذلك يتحدد المعنى المناسب للفظ.

إن اللغة العربية لغة سحر وبيان، ولكنها في الوقت ذاته المستند الأساسي لنظرة الإنسان العربي إلى الكون، وعماداً تصوّره له.

ولذلك فقد برزت اللغة منذ العقود الأولى من الفتح محدداً حاسماً لنشاط الفكر العربي، في مسعاها إلى التوسع في الاستيعاب المعرفي للمحسوسات الجديدة، ومن ثم الانتقال إلى إيجاد الألفاظ المناسبة في المجالات المجردة، مع تأكيد الحرص على توضيح العلاقة بين اللفظ والمعنى.

فما عمل الخليل في إرجاع الألفاظ العربية إلى عددٍ معين من الحروف يُعتبر أصلياً في الكلمة، على حين يُعتبر الباقي مزيداً، سوى تطبيق تحليلي لمعطيات الفكر التصنيفي العقلي المستند إلى البيان. وقد تبين من الدراسات الإحصائية التي أجراها الخليل بعد دراسته لتقليب الحروف، أن عدد أبنية كلام العرب، المستعمل والمهمل، على مراتبها الأربع: الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار، عددٌ مبلغه اثنا عشر ألف ألف وثلاثمئة ألف وخمسة آلاف وأربعمئة واثنان عشر.

وإني آمل أن تستقرّ هذه الأعداد المتواضعة كما ترون، في أذهان من يشكّون في مقدرة اللغة العربية على استيعاب المعارف وتفرعاتها، وينحازون إلى الفئة التي تبرأ منها الإمام الزمخشري.

وقد سار الأمر بعد ذلك في الدراسات اللغوية نحو حلّ المشكلات المتعلقة بالإعراب، أي توضيح العلامات المحددة للمعنى في علم النحو، وظهرت الأوزان الصرفية التحليلية، وتوقفت علاقة نظام الخطاب بنظام العقل في علم البلاغة.

إنها مسارات فكرية اعتمد العلماء المسلمون فيها المنطقَ الأرسطي، الذي وصفه ابن سينا(*) بأنه «الآلةُ العاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره، والموصلةُ إلى الاعتقاد بالحق، بإعطاء أسبابه ونهج سبيله».

كما أن الفلسفة قد دخلت الدراسات اللغوية في القرن الرابع، إذ إن الفراء كان حسب قول ثعلب «يتفلسف في تأليفاته ومصنفاته حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة» إلا أن الأمر قد انتهى إلى توطيد المنطق أركانه في علم النحو عند القرن السادس، بإقرار مفهوم العامل النحوي، وتفسير المعلول بوجود العلة، ما جعل من النحو الذي نعرفه بناءً يستند إلى قواعدٍ تحليليةٍ متينة، إلى الحد الذي يجعلها تصل إلى توضيح الكثير من تناقضات ظاهرة.

وقد تفرّج عن الدراسات اللغوية تخصصات انتقائية، إذ عرفنا توزّع اللغويين بين بلاغيين وصرفيين ونحويين، وكلّها تخصصاتٌ دخلت في دقائق العربية معتمدةً المنهج التحليلي العقلي.

فحين تطرّق البلاغيون مثلاً إلى دراسة الحروف نظروا في معانيها المختلفة وحددوا أوجه استعمالها، على حين كانت دراسة الصرفيين لها تُدقّق في قواعد إبدالها وإدغامها وزيادتها، وأما النحويون فقد نظروا إلى حروف المعاني من حيث مواضع إعمالها وإهمالها وحذفها.

أيما وجّهنا أنظارنا في كتب اللغة وجدنا العقلَ مرتكزاً أساسياً لكل ما قام به اللغويون في الأبواب المختلفة: كالاقتناع، وتحديد مقاييس اللغة، وتوضيح القواعد الصرفية والنحوية. وبذلك أصبحت اللغة العربية - التي يهيكلها الإعراب، وتتميز بمقاييس واضحة تُصبّ فيها المفهومات - لغةً تحليلية تميل إلى الدقة في التفصيل، كما تميل إلى الاقتضاب في تسجيل الحكم، والأقوال المأثورة، والأمثال بجزئياتها، وهي لغةٌ مفتوحة على جميع المجالات المعرفية.

(*) قدرى حافظ طوقان العلوم عند العرب ص ٧٤ مكتبة مصر.

ولقد لاحظ ابن خلدون «أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم» إنها ملاحظة وليست حُكمًا، إذ إن مساهمة العرب في دراسة لغتهم تحمل أسماء كبيرة كالخليل بن أحمد الفراهيدي، والأخفش، وابن السكيت، والمبرد، وابن دريد، وابن هشام، إلى جانب أسماء أعجمية كثيرة كالزحشري، وابن جني، وابن فارس، وأبي علي القالي وغيرهم.

ولا ضير في نظرنا بأن يكون الأمر كذلك فيصدر هذا النتاج الفذ عن مجتمعٍ جديدٍ، إسلامي العقيدة، عربي اللسان، استقى العلوم من حضارة أعجمية إغريقية. فهؤلاء الأعاجم عاشوا في بلاد العرب، وجمعوا تراثًا مشتركًا، وارتبطوا بمصير واحد، وقد تدوّق جميعهم لغة العرب وأخلصوا لها، حتى قال أحدهم (البيروني) (*) «لأن أُشتمَّ بالعربية أحبُّ إلي من أن أمدح بالفارسية».

فهم أفرادٌ ساهموا في إدخال الأمة في شعاب العلوم، منطلقين من فهم دقائق اللغة وطاقتها، وتحديد الضوابط التي لا يجوز تجاوزها خشية الخروج عن روح اللغة، والدخول في متاهاتٍ مضللة يضيع فيها رونق العربية، حتى أوصلوها إلى تلك المرتبة المتميزة لغةً عالميةً استوعبت أرقى وأرفع درجات المعرفة، وأخرجتها ثمرةً ناضجةً في متناول كلٍّ من دخل حماها.

أيها السيدات والسادة

اللغة كائنٌ حيٌّ قابل للتطور لارتباطه بمتطلبات المجتمع، وهو أداة التواصل المثلى بين الأفراد، يرتقي ويغتذي بتجاوبه مع ما يطراً على المجتمع من تغيرات. وقد مثّلت الدراسات اللغوية التي ألمعنا إليها مستندًا متينًا نطلع من خلاله على حياة تلك اللغة، وعلى المراحل التي أوصلتها إلى تلك المكانة الرفيعة وعاءً كليًا قد استوعب جميع ما وصل إليه من العلوم، وأضاف إليها نتاج عبقرية العلماء العاملين

(*) محمد السويسي مدخل إلى أصول العلوم عند العرب ص ٤٢ جامعة الزيتونة تونس.

في تلك العلوم. لقد أَلَّف المسلمون كُتُبهم في الفلسفة والكيمياء والفلك والفقهِ والتفسير، بلغة صافية متسلسلة نقرأها اليوم وكأنها بنتُ الأُمس.

وقد طلعت على عالِمنا في العصر الحديث منطلقاتٌ جديدة أعادت النظرَ في الحقائق اللغوية منذ القرن التاسع عشر، محاولةً الإفادةً من العلوم الحديثة للنفوذ إلى خفايا اللغة، وأركانها الفكرية في علاقاتها بالمجتمع، باسم اللسانيات الاجتماعية، وعلاقتها بالإنسان باسم اللسانيات النفسية.

ويعود الفضل في إيجاد علمٍ شاملٍ يختص بدراسة اللغة إلى فريدياند دوسوسور^(*) (١٩١٣) الذي جعل من اللسانيات علمًا مستقلًا يهتم باللغة المنطوقة قبل المكتوبة، بقصد الوصولِ إلى دراسة جميع اللغات الإنسانية.

وقد اهتم علمُ اللسانيات هذا بتحليل العناصر التي تتركب منها اللغة، وتحديد العلاقات بينها، والرموز المعتمدة في ذلك، وهو يسلك في ذلك مسارًا عقليًا تحليليًا. ثم تتالت الدراسات والنظريات في هذا المجال الفسيح، الذي تشرب الكثير من الفلسفة وعلم النفس، وارتبط مع التحليل البنوي للمعرفة، وتضاربت فيه المناهج الوصفية، والتاريخية، في تفسير الظواهر اللغوية، وسيرِ أغوار المستويات اللغوية المختلفة، لتفتح آفاقًا جديدة في تفهّم الحقائق اللغوية.

ليس لي أن أدخل في شروحٍ تقرب إلى أذهانكم المراحل المتتالية التي مرّت بها اللسانيات، إلا أنه يكفيني القول بأن علم اللسانيات قد أصبح اليوم، بعد أن أضفى عليه تشومسكي^(*) لمساتٍ عميقة الأثر، علمًا له دور كبير في فهم الكثير من العلوم، وله مرتبةٌ كبيرة في علم المعرفة أي الأبتمولوجيا.

F.de Saussure (*)

Naom Chomsky (*)

ولنا أن نتساءل: هل اللغة العربية التي نفذت البحوث والتصانيف إلى أدق معالمها طيلة قرونٍ عديدة، هل يمكنها الإفادة من هذه اللسانيات الحديثة التي تبوّأت مكانةً رفيعةً في مجالات المعرفة؟

لابد من القول إن اللسانيات الحديثة قد نشأت في لغة حضارية عالمية هي اللغة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، وهذا ما يُلزمنا التذكّر بأن اللغة الفرنسية لغةً فنية لم تكتمل عناصرها إلا بعد عام ١٥٣٩م حين أصدر فرنسوا الأول ملك فرنسا أمرًا ملكيًا بالألّا تُكتب وثائق الدولة إلا بلهجة باريس، وأن يُلغى التعامل بتلك اللهجات المستعملة في المناطق التي ألحقت بالحكم الملكي، كلغة بريتاني في غرب فرنسا، ولغة مقاطعة بيري، ولغة بروفانس في الجنوب وغيرها. ولم تبدأ الدراسات في عناصر اللغة التي أصبحت رسميةً إلا في نهاية القرن السادس عشر على أيدي ماليرب^(١)، ورونسارد^(٢)، وفوجل^(٣)، وفواتور^(٤). وهذا ما انتهى إلى تأسيس الأكاديمية الفرنسية لمتابعة تأصيل اللغة الرسمية عام ١٦٣٥م أي بعد مئة سنة من الأمر الملكي. وقد كُلفت الأكاديمية صناعةً معجم للغة الفرنسية، إضافةً إلى دراسة نحوية لاستعمالات اللغة.

هل من يقول بأن لغتنا بحاجة إلى علم جديد يتجاوز ما قام به أولئك اللغويون العظام، الذين نظروا في معظم الأبواب التي تنظر فيها لسانيات اليوم: وهي علم الأصوات، وتصريف الألفاظ، وبيان اختلاف دلالاتها، وتحليل النظام النحوي المتبع فيها؟

أيها السيدات والسادة

نحن نستقبل اليوم الأستاذ الدكتور أحمد قدور، وهو مختص باللسانيات وله فيها

(١) Malherbe

(٢) Ronsard

(٣) Vaugelas

(٤) Voiture

مؤلفات قيّمة، ولذلك أحببنا أن نفيد من انضمامه إلى مجتمعنا لنطلب إليه المشاركة في ندوة لسانية يقيمها المجمع في ٣٠ حزيران على هذا المنبر.

فالغرض من هذه الندوة هو الاطلاع على معطيات اللسانيات الحديثة، لعنا نصل إلى فهمٍ أعمق لذلك المسار الفكري الذي اختطّه اللغويون العرب، وتعرّف بما يُحيط بمستقبل لغتنا من مشكلاتٍ وتحديات في هذا المناخ العملي السائد.

إن غرضنا هو الاطلاع على أساليبٍ علميةٍ جديدة أفادت منها لغات كبيرة أخرى، قد تتيح لنا الوصول إلى المستوى الأرقى في خدمة اللغة العربية.

نحن نؤكّد سلامة اللغة الفصيحة في ارتكازها على نحوها الرائد الأثيل، وهي تستقي صفاءها ومطاوعتها من توفّقنا إلى النص المثالي، وهو القرآن الكريم.

كما أننا نصرّ على أن ما يُثار حول اللغة العربية من مشكلات في مسعانا إلى اللحاق بالحدّثة، إنما هي مشكلات استعمالية، وليست مشكلات قواعدية.

وإن مجتمعنا منفتحٌ على الإفادة من كل منطلق لغوي حديث، إذ إننا نرفض الانضواء تحت رايات الماضيين، الذين يريدون إلباس ثقافتنا قوالب حديدية خانقة، تُنكر الحاضر لتحاول الارتداد إلى الماضي، والانصياع لنظراته والالتزام بمحدّداته. فلقد أصبح الحاضر زمنًا مستقلًا بذاته له ظروفه ومتطلباته، فإذا كانت اللغة تمثّل ذاتية الفرد، فإنها اليوم تمثّل الإنسانية الواعية لذاتها، فلا بد من إيجاد توافق بين اللغة وبين الحائث المجتمعية. ولغتنا مازالت لغةً عالمية تنطق بها الملايين، ولذا فإن مجتمعنا يسير نحو تأصيل روحية لغتنا عن طريق تحديثها بما يمكنها من الوقوف في وجه التحديات، وما يؤهلها لاستيعاب كلّ ما تأتي به الحدّثة، والانفتاح على العلوم السريعة التطور لتُشارك أمتنا في بناء غدٍ يليق بأبنائنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور عيسى العاكوب
في حفل استقبال د. أحمد قدور عضوًا
في مجمع اللغة العربية

بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ
اللَّهُمَّ، بِكَ أَسْتَعِينُ، وَبِكَ أَسْتَبِينُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ
سَيِّدِي رَئِيسَ الْمَجْمَعِ،
السَّادَةَ الزَّمَلَاءِ، أَعْضَاءَ الْمَجْمَعِ
أَسَاتِدَتِي الْأَجَلَاءِ
الضُّيُوفَ الْكَرِيمِ، أَيُّهَا الْحَفْلُ الْكَرِيمِ،
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ

وبعد، فقد كانت فكرة تأسيس مجعنا المبارك في عام ١٩١٩م إيداناً بعهدٍ يعود
فيه إلى العربِ وجودهم الحقيقي أمةً حرةً حيّةً ترفد الحياة الإنسانية بنسغٍ خاصّ،
وتضيفُ إلى سفرها صفحاتٍ ممثلةً لقومٍ يُحسِنون بكيونتهم المستقلة، ويدركون أنّ
لديهم موهوبًا إلهيًا أذن لهم التاريخُ بأن يقدموه لأبناء الإنسانية جمعاء بمحبّةٍ وودٍّ،
فكثُر بين البشرِ المودون لهم، الفرحون بهديتهم، المقدرّون لإسهامهم.

وبعضُ فَرَقٍ ما بين رؤيتنا اليومَ ورؤيةِ المؤسِّسين، أحسنَ اللهُ إليهم، أتمَّ كانوا يرون أنَّ نَيْلَ الاستقلال، والظَّفَرِ بالحريَّةِ على المستوى القوميِّ، سيفكُّ الأغلالَ ويُطلقُ الطَّاقاتِ ويهيئُ الأسبابَ لإعادةِ ألقِ الأُمَّةِ المنشودِ ومجدها الضائع. وستعودُ الأمورُ إلى حالٍ مرتضاهُ بتحديدِ الأهدافِ والمقاصدِ، وجمَعِ الجهودِ وتوجيهها الوجهةَ الصَّحيحة.

أمَّا اليومَ، وقد تحقَّق - بحمدِ الله - قدرٌ كبيرٌ ممَّا كان أمنيَّاتٍ، وقطعَ مجمَعُنا مسافاتٍ متقدِّمةً في الطَّريقِ، فإنَّ المشهدَ مختلفٌ كثيراً عمَّا مضى. إذ يبدو لنا الهدفُ اليومَ مكتنفاً بقدرٍ أكبرٍ من المشاقِّ والصَّعوباتِ. فالعربُ الذين كان يُنتظر لهم أن يكونوا دولةً واحدةً بعد الاستقلال لم تسمح لهم القوى الاستعمارية بتحقيق الخُلم، بل مازالت تُعمن في تقسيمهم وتحوُّل بينهم وبين أسباب الحياة الحرَّةِ الكريمة. والمجمَعُ العلميُّ العربيُّ الواحِدُ الذي كان مؤملاً أن يكون لوطنِ العرب من أقصاه إلى أقصاه، لم يُقيِّض له أن يتخلَّق. والفارقُ العلميُّ والتقنيُّ بيننا وبين العالمِ المنتجِ ازداد كثيراً، ويزدادُ كلَّ يومٍ، وهذا ما يحمِّلُ هذه المؤسَّسةَ الأكاديميَّةَ أعباءً إضافيَّةً متزايدةً لإبقاء لُغةِ العِلْمِ والحياةِ عربيَّةَ القَلْبِ واليَدِ واللِّسانِ.

أيُّها الأحيَّةُ،

أذكِّرُ بهذا كله لكي أصلَ إلى القولِ إنَّ مجمَعِ اللُّغةِ العربيَّةِ في دمشق في نهايةِ العَقْدِ الأوَّلِ من القرنِ الحادي والعشرين تختلفُ رؤيتهُ نسبياً عن رؤيةِ المجمعِ العلميِّ العربيِّ في دمشق في نهايةِ العَقْدِ الثاني من القرنِ العشرين، تبعاً لحركة الحياة ولمعطياتِ الواقعِ التي تجدُّ في كلِّ حين. وإنَّ المجمعيين السُّوريين المطلِّين على المشهدِ باستمرارٍ يتحسَّسون بوعيٍّ ويقظةٍ المهامَّ الجديدةَ الجادَّةَ التي تواجهُ مؤسستهم الأكاديميَّة. ومن هنا يتبلورُ وعيٌّ متجدِّدٌ بضرورةِ رَفْدِ المجمعِ بطاقاتِ المتفوقين من أربابِ التخصصِ وأهلِ الدِّرايةِ والخبرةِ والإتقانِ، المشهودِ لهم بالجدِّ والبذلِّ والعطاء. وإنَّه من بابِ تقديرِ

الإحسان ونسبة الفضل إلى أهله أن يُنوّه هنا بالدعم الكبير جدًا الذي يلقاه مجتمعنا وتلقاه لغتنا العربية من صاحب القرار في بلدنا الحبيب.

أيها الأحبة،

هكذا يظلّ رفد المجمع بطاقات العلماء المتفوقين المؤمنين برسالته من أبناء بلدنا شغلاً شاغلاً وهمًا كبيرًا يتهياً له المجمعيون فيما يشبه الاستنفار، بلغة القتال والجِلال، ويولونه الاهتمام الذي يستحقّه. ويجيء ترشيح أخي وزميلي الأستاذ الدكتور أحمد محمد قدور ثمّ انتخابه في العاشر من آذار، من هذا العام، محققًا تمامًا لمستلزمات هذا الاهتمام ومطالبه. وأقول باطمئنان تامّ إنّ ترشيح الدكتور قدور لعضوية المجمع وتحقيقه نسبة الأصوات المطلوبة للفوز بالعضوية، صنعٌ طيبٌ يسجّل لأعضاء مجلس المجمع، وينبئ عن حسن بالمسؤولية وحصافة وحسن تمييز؛ فإنّه لأمر ما كان أجدادنا يقولون إنّ اختيار المرء قطعة من عقله.

وفي هذا المقام، سأحدّث عن زميلي الدكتور قدور بلغة الدّاري المطّلع، والشاهد المعاین، إن شاء الله تعالى. وسأعمد إلى الاختصار ما استطعت؛ لأنّ الحيز المتاح لي لا يأذن بالإفاضة والاسترسال.

وُلد الدكتور أحمد قدور عام ١٩٤٨م في بلدة ترفعت، من أعمال محافظة حلب، لأسرة كريمة أظهر خلائقها الجِد في تحصيل لقمة العيش، والميل إلى الحياة التي ينتفي فيها الاستغلال والظلم، والحرص على تعليم الأبناء أيًا كانت التبعات. وليس جوّ الأسرة بعيدًا عن العِلْم والتحصيل، ذلك لأنّ خال الدكتور أحمد لحًا، الشيخ عبد الرحمن عيسى أمدّ الله في عمره، من علماء الدّين المعروفين في حلب.

واصل الدكتور قدور تعليمه قبل الجامعيّ في مدارس محافظة حلب وفي ثانويات دير الزور؛ إذ انتقلت الأسرة إلى هناك نُشدانًا للعيش الحرّ الكريم. ويبدو أنّ الدكتور

أحمد أدرك وهو فتى في المرحلة الإعدادية والثانوية كثيراً من عناصر القوّة في شخصيته المستقبلية. فقد آنس في نفسه حباً مبكراً للعربيّة، تجلّى في إنشاءاته الكتابيّة التي كثيراً ما كانت تحظى بتقدير كبير من أساتذة اللُغة العربيّة مشهود لهم في ذلك الوقت بالفتوّق والتميّز. وقد هيأ ذلك لأن يلتحق زميلنا بقسم اللغة العربية وآدابها من جامعة حلب عام ١٩٦٨م، ويكون من خريجيّه عام ١٩٧٢م مجازاً في اللغة العربيّة وآدابها. وكان له أن يُتلمذَ في هذا القسم عند ليفيف من الأساتذة كانوا ملء الأعين في ذلك الوقت: الأستاذ الشاعر عمر يحيى، والأستاذ الدكتور عمر الدقاق، والدكتور صبري الأشتر وآخرون.

وبعدَ التخرّج انتظم الدكتور قدّور في سلك التدريس الإعداديّ والثانويّ في محافظة حلب ومدينتها لما يدنو من عشر سنوات، واستطاع خلالها لفت انتباه زملائه وطلّابه، الذين التقيت منهم من يُثني عليه، ويشكر صنيعَه.

وفي عام ١٩٨١م، التحق الدكتور قدّور ببرنامج الدّراسات العليا في قسم اللغة العربية، في جامعة حلب، مؤثراً الفرع اللغويّ، حيث حصل على الماجستير في الدراسات اللغوية عام ١٩٨٤م، برسالته المعنّنة بـ «العربية الفصحى المعاصرة: دراسة في تطوّرها الدلاليّ من خلال شعر الأخطل الصّغير».

وفي عام ١٩٨٨م، حصل الدكتور قدّور على درجة الدّكتوراه في اللغة العربية وآدابها من قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة دمشق، وكان عنوان رسالته: «مصنّفات اللّحن والثقيف اللغويّ حتّى القرن العاشر الهجريّ»، وحظي الدكتور قدّور بإشراف أستاذنا العلامة الدكتور مازن المبارك، أمّد الله في عمره ونفع بعلمه، على هذه الرسالة.

بعد ذلك مباشرة التحق الدكتور قدّور بقسم اللغة العربية في جامعة حلب

مدرّساً فيه.

ولكي أقدم خلاصةً مركّزةً توضّح كفاياتِ أخي وزميلي الدكتور أحمد قدور سأديرُ الحديثَ عنه حول أربعة محاور:

١- الدكتور قدور الباحثُ المؤلّف:

ألّف الدكتور قدور ما يربو على عشرة كتب تعالج قضايا تقع في صميم العربية، قديمها وحديثها، في مستويات استعمالها وفقهها والمصنّفات التي عملت على الارتقاء بها وتجنّب أهلها اللحنَ والاعوجاج. وله إسهامٌ تأليفيّ متميّز في الدرس اللساني القديم والحديث، من خلال كتابين يدرّسان في عدد من أقسام اللغة العربية في الجامعات العربيّة، هما: مبادئ اللسانيات واللسانيات وآفاق الدرس اللغويّ. كما تشتمل قائمةُ كتبه المؤلّفة على كتب جامعيّة قيّمة، كالمدخل إلى فقه اللّغة العربيّة، والمختار من الأدب الإسلاميّ، وأصالة علم الأصوات عند الخليل بن أحمد، ومذكّرة في قواعد الإملاء، وصُور من التحليل الأسلوبيّ.

وأظهر ما يميّز مؤلّفات الدكتور قدور وضوح رؤيته للقضايا والمأمه بالإطار العامّ للموضوع الذي يعالجه، وتركيزه على العناصر الصميميّة فيه. وهذا ما يساعدُ قارئ كتابه على الإفادة الكبيرة منه. والانطبأ الذي يخرج منه القارئ الحصيفُ لمؤلّفاته أنّ المؤلّف قتلَ موضوعه حتّى كأنه لم يدع زيادةً لمستزيد يزيدا عليه.

على أنّ للدكتور قدور جانبًا تأليفيًّا آخر، هو البحوثُ العلميّة الرصينة والدراساتُ العميقة، ويقدم صورةً ممثّلةً لذلك بحثاه المقدّمان للندوة التي ترعاها مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ، وهما: «لغةُ الخطاب الشعريّ عند الأخطل الصغير»، لندوة عام ١٩٩٨م، و«اللغةُ والدلالةُ والإيقاعُ في شعر ابن المقرب العيونيّ»، لندوة عام ٢٠٠٢م.

٢- الدكتور قدّور الأستاذ الجامعي:

تحفل سيره حياة الدكتور قدّور العلمية بالمقرّرات الجامعية التي درّسها في المستوى الجامعيّ الأوّل وفي مستوى الدّراسات العليا. وتشمل هذه النحوّ ومسائله، والصّرف، وعلم اللغة، وفقه اللغة، والنقد العربيّ القديم، ومناهج البحث والتحقيق، والصّوتيات واللغويات، وعلوم اللغة العربية. كما أشرف الدكتور قدّور على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وكان عضواً في لجان التحكيم والمناقشة لكثير منها، ويشهد له الوسط العلميّ بالعلم والدقّة والقدرة على تقديم النافع المفيد.

٣- الدكتور قدّور الإداري:

تّبّهت قدراتُ الدكتور قدّور العلميّة والتعليميّة والإداريّة القائمين على الشّأن التعليميّ وغيره على ضرورة الإفادة من طاقاته في الإدارة والإشراف، فكان رئيساً لقسم اللغة العربية في جامعة تعزّ في اليمن، ورئيساً لقسم اللغة العربية في كليّة الدراسات الإسلامية في دبيّ، وعميداً لكلية الآداب في جامعة حلب من عام ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٧ م، ومديراً لأوقاف حلب في الأعوام ٢٠٠٨-٢٠١٠ م.

وفي كلّ عملٍ إداريّ تولّاه الدكتور قدّور، أظهر قدراتٍ ملحوظةً تماماً على قيادة الفريق، والمبادرة إلى وضع الأسس والموجهات التي تكفل نجاح العمل، والاستفادة شبه الكاملة ممّا هو متاحٌ مهياً.

٤- الدكتور قدّور الإنسان :

تبدو عناصرُ شخصيّة الدكتور قدّور واضحةً تماماً في تعامله مع الآخرين، إذ يبدو خبيراً بطبائع الرّجال. وفي مجال الصّدّاقة تراه يختار من الأصدقاء من يأنس أنّه قادرٌ على الحفاظ على صداقته ومودّته. وتطمئنّ إلى أنّه لن يكون البادئ بترك أحد الأصدقاء. ويبيد الدكتور قدّور وفاءً كبيراً لأصحاب الحقوق والأفضال، ويعبر عن

ذلك جيّدًا كتابه الذي أعده تقديرًا لأستاذنا الدكتور مازن المبارك، الذي عنّنه بـ «مازن المبارك». . جهوده العلمية وجهاده في سبيل العربية». وقد جاء في هذا الصنيع سابقًا، مستحفًا لما قاله الشاعر:

دُرِبَتِ الوَيْيُّ العَهْدِ يا عَمْرُو فَاغْتَبِطُ فَإِنَّ اغْتِبَاطًا بِالْوَفَاءِ حَمِيدٌ

ومن الخلائق الطيبة الكثيرة التي يتخلّق بها الدكتور قدور الجرأة على تقديم الرأي الذي يعتقد صوابه، وإن بدا مخالفًا فيه الآخرين. وقد يحمله ذلك تبعاتٍ جسامًا. وهو جادٌ جدًّا في الجِدِّ، هازلٌ عندما يستدعي الموقفُ ذلك. تلمس لديه جاذبية القائد وألق المرشد، وهو عُروبيّ إلى أقصى المدى، من دون نزوعٍ إلى إهمال غير العرب أو الحطّ من قدرهم.

وبعد، فهذه إلمامةٌ سريعةٌ اجتهدتُ أن أقدم فيها بعض ما يتّصل بأخي الغالي الأستاذ الدكتور أحمد قدور، ويرتبط في جملته بالموقف الذي نحن فيه. وفي مستطاعي أن أقول في الختام إنّ عقْدَ مجمعنا سيزدان، إن شاء الله، بجوهرة الدكتور قدور، وستُضاف الخبراتُ العلميةُ والتحقيقيةُ التي يتمتّع بها إلى جملة الخبرات العاملة في المجمع. وأسأل المولى، سبحانه، أن يسدّد خطاه ويبارك مسعاه ويساعده على أداء حقّ التشريف الذي حظي به من أعضاء مجلس المجمع أولاً، ومن المقام العالي لوليّ الأمر. والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل.

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد محمد قدّور

في حفل استقباله عضوًا

في مجمع اللغة العربية

الأستاذ الجليل رئيس المجمع

الأساتذة الجلّة أعضاء المجمع

السادة العلماء

أيّها السيدات، أيّها السادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فإني أحمد الله الذي وقّفي لأكون واحدًا من أعضاء المجمع، وأشكر الأستاذ رئيس المجمع الذي تفضّل بتقديمي إليكم، وهو من أصحاب الفضل والعلم والغيرة على العربية، كما أشكر السادة أعضاء المجمع - ولاسيّما أستاذي الدكتور مازن المبارك - على ثقتهم بي وحسن ظنّهم بما يمكن أن أقدمه من جهود لننهض برسالة العربية ونعمل بتوجيه قائد الوطن الرئيس الدكتور بشار الأسد (حفظه الله). كما أشكر أخي الأستاذ الدكتور عيسى العاكوب على تفضّله بالحديث عنيّ في هذا الحفل. والدكتور عيسى واحد من الإخوة الذين شأؤوا أن أحظى بشرف الصحبة وتقاسم الأعباء في مجمعنا الزاهر بمجمع اللغة العربية بدمشق.

واسمحو لي - أيها السادة - أن أتحدّث عن واحد من أسلافنا في هذا الجمع، وهو المجاهد المعلّم رشيد بقدونس الذي مرّ على ولادته مئة وخمسة وثلاثون عامًا. فهو رشيد بن عبد الرزاق بقدونس الشامي. ولد في الصالحية بمدينة دمشق عام ١٢٩٢هـ، الموافق ١٨٧٥م. وكان أبوه معلّمًا في أحد مكاتب الصالحية. درس في المدرسة الرشدية العسكرية، ثم تابع دراسته في المدرسة الحربية في الآستانة، وكان من خريجيها عام ١٨٩٥ برتبة ملازم في سلاح المشاة. وعيّن في جزيرة كريت، ثم نُقل إلى سالونيك، حيث تعلّم اللغة اليونانية. وحارب بعدئذ في البلقان، وأسر غي أسبارة عام ١٩١٣ في الحرب مع اليونان، وبقي في الأسر سنة ونصف السنة، ثم حارب في القوقاس إبان الحرب العالمية الأولى، ثمّ في فلسطين بين عامي ١٩١٧ - ١٩١٨م.

وانتسب للمجاهد رشيد بقدونس إلى الجيش العربي في تشرين الأول عام ١٩١٨م، وعيّن برتبة قائد في الشعبة الثالثة من ديوان الشورى الحربي في الدولة الفتية التي أسسها الملك فيصل بن الحسين. وكان عضوًا في لجنة خاصة بالجيش برئاسة ياسين الهاشمي، وعضوية مراد الاختيار وعبد القادر المبارك، وقد عُرفت هذه اللجنة بلجنة التعريب التي كان رشيد بقدونس يترأسها بسبب كثرة تنقلات رئيسها ياسين الهاشمي بين دمشق وعمان وبغداد.

ولما صدر القرار القاضي بإنشاء الجمع العلمي بتاريخ ٨ حزيران سنة ١٩١٩م، وعقد الجمع جلسته الأولى يوم ٣٠ تموز من السنة نفسها كان رشيد بقدونس أحد أعضاء الجمع الاثني عشر.

وذكر الدكتور مازن المبارك أن لجنة التعريب التي سبقت تأسيس الجمع كانت من أطول اللجان عمرًا وأخلدها أثرًا في التعريب عامة والمصطلحات العسكرية خاصة.^(١) لكن الفرحة لم تتمّ، فسرعان ما دخل الفرنسيون ميسلون يوم ٢٤ تموز من عام ١٩٢٠م غزاة محتلين. ومارس السيد رشيد بقدونس التعليم، فدرّس في مكتب عنبر، ودار المعلمات بدمشق، والمدرسة الكاملة التي أسسها الشيخ محمد كامل القصاب، وكان وطنيًا مقدمًا وعالمًا غيورًا.

(١) انظر: مازن المبارك، مجمع اللغة العربية بدمشق، تعريف تاريخي، مطبوعات الجمع ٢٠٠٩م، ص ٥.

وحيث وصلت المظاهرات والاضطرابات أوجها عام ١٩٢٢م عمدت سلطات الاحتلال إلى القبض على الزعماء السياسيين والمعلمين الوطنيين وغيرهم من المجاهدين. فحكم على السيد بقدونس بالسجن والنفي. لكنه فرّ من وجه الاحتلال متخفياً بزي الأعراب، قاصداً عمّان سيراً على الأقدام. وهناك درّس في المدرسة السلطانية في السلط بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٢٣م، ثم في المدرسة الإسلامية الكبرى في حيفا بين عامي ١٩٢٤ - ١٩٢٨م. وبقي حتى صدر قانون العفو العام في سورية عن المقاومين للوجود الفرنسي، فعاد إلى دمشق. وعمل السيد بقدونس في الجهاد والتعليم والتأليف والشؤون الاجتماعية. وأسّس في هذا المجال عدداً من الجمعيات التعليمية مع أبناء حيّه أهل الصالحية وغيرهم من وجهاء دمشق. ولم يأل السيد بقدونس القائد العسكري السابق والمجاهد المعلم جهداً في سبيل النهضة العربية الشاملة، إضافة إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي للشام، وتأسيس دولة عربية تقود الأمة وتحقق أهدافها، لكن المنيّة وافته يوم ٢١ أيار عام ١٩٤٣م عن ثمانية وستين عاماً قبل أن يرى شيئاً من آماله في حرّية وطنه ومجد أمته يتحقّق.

ولا بدّ من الوقوف على ثقافة المجاهد العالم رشيد بقدونس، إذ كانت دراسته في دمشق دراسة عسكرية أهلتها متابعة الحياة العسكرية، وما فيها من تنقّل بين البلاد التي كانت تحت الحكم العثماني، فجمع بين ثقافته المهنية وثمرات رحلاته ومشاهداته. ثم درس اليونانية والفارسية والفرنسية، إضافة إلى التركية والعربية. وعرف السيد بقدونس بعشقه للتاريخ، وفهمه للحكمة من درسه. فهو يرى أن التاريخ يعرّفنا «الممالك في الماضي كيف ترقت ثم انحطت، فنعرف بأيّ فضيلة تعالی أولئك الأقوام، وبأي نقيصة انحطت تلك الأمم، فنقطف ثمرة تجارب الأمم الغابرة التي امتدت زمنًا طويلاً»^(٢). وليست الحكمة من دراسة التاريخ معرفة حضارات الأمم وأسباب نهوضها أو انتكاسها فقط. «بل أن نكشف القوانين التي كانت تولد الوقائع المنفردة، وتعيّن الأسباب التي هي علة حدوث تلك الحوادث المختلفة، وندرّك ما يجتبه المستقبل بأن

(٢) انظر: تعريفًا بالمؤرخ المنسي رشيد بقدونس (من وثائق المجمع)، ص ٣ - ٤.

نقيس الأحوال الحاضرة بالأحوال الماضية». وتُشير مؤلفاته وآثاره المطبوعة والمخطوطة إلى ثقافة واسعة بالعربية وأصولها ووضع مصطلحاتها. ولا شك في أنّ جهوده في لجنة التعريب وما أثمرته من مصطلحات تحتاج إلى دراسة تفصيلية تنبئ عن المخبوء من جهود هذا العالم الفذّ. ويكفي أن نشير إلى أنه حرصه على سلامة اللغة العربية اقترح تأسيس مجامع علمية في دمشق وبغداد والقاهرة وتونس والمغرب الأقصى تضم نخبة من رجال العلم والأدب والفنّ واللغات الأجنبية وبعض المستشرقين. وتكون هذه المجمع مرتبطة بعضها مع بعض بواسطة الأسلاك البرقية، تتناقل سريعًا كلّ تعبير جديد ليصار إلى اعتماده من الجميع ونشره في المجلات العلمية والكتب. وذكر منها كتابة الهزمة واستعمال اسم الإشارة، وأقسام الاسم والفعل. وذكر أيضًا دفترًا فيه مرادفات وأضداد وتعريب كلمات. إضافة إلى كلمات أخرى شائعة لدى العامة حديثًا. ومن آثاره في مجال العربية دراسته حول تعريب الحروف الأوربية التي تخلو منها الكتابة العربية نحو (G, V, P) وله في هذا الصدد اقتراحات حول إصلاح شكل الكلمات (أي تدوين الحركات)، ونحو ذلك مما نشر في مجلة المجمع، وذكره مؤرخو المجمع كالدكتور محمد رشاد الحمزاوي.^(٣) وتدلّ قراءته - كما روى ابنه الأستاذ زهير - العالمية الثانية حالت دون ذلك، وانقطعت على ثقافة لغوية ودينية واسعة. فقد كان العالم رشيد بقدونس يدون الكثير من الملاحظات على حواشي الصفحات، بل بلغ به الأمر حدًا أنه طلب من فنيّ التجليد أن يترك له ورقة بيضاء بين كل ورقتين من الكتاب الجاري تجليده حتى تتاح له المساحة الكافية لتدوين ملحوظاته وتعليقاته. وقد ظهر من هذا النحو أشياء دوّنت على حواشي «لسان العرب» و«زهر الآداب» و«ديوان الطغرائي» وغير ذلك.

أيتها السيدات، أيها السادة:

وللمجاهد العالم رشيد بقدونس آثار كثيرة، منها المخطوط، ومنها المطبوع. وربما كانت تنقلاته وحياته المضطربة مسؤولة عن بقاء معظم ما ألف مخطوطًا مجموعًا أو مشتتًا، فضلًا عما هو مفقود. ويذكر في هذا الصدد أنه ألف بناء على طلب الإدارة

(٣) انظر: محمد رشاد الحمزاوي، مجمع اللغة العربية بدمشق والنهوض بالعربية، دار التركي للنشر ١٩٨٨م،

تونس، ص ٧٣-٧٤، وانظر مقالة بقدونس في الجزء الخامس من مجلة المجمع، ص ٤٩٨-٥٠٥.

المعنوية في الجيش العربي إبان العهد الفيصلي رسالة لنفح الشعور بالانتماء العربي، وتعداد مفاخر الآباء والأجداد، فجاءت في ثلاثين صفحة مع مقدمة للمؤلف. ومن أعماله في المجال العسكري ترجمة كتاب «تعليم المشاة» عام ١٩١٩م، الذي وضع له تفسيراً في كتاب «إيضاح المبهمات من كتاب تعليم المشاة». ومن هذه الأعمال في هذا المجال مع المصطلحات والتعريب، أعمال رائدة ومؤسسة من دون أدنى شك. أما مؤلفاته في مجال التاريخ فله سلسلة «التاريخ العام» من ثلاثة أجزاء صدرت في دمشق بين عامي ١٩٢٩ - ١٩٣١م، وهي تتناول الأحوال القديمة وتاريخ المصريين واليونانيين والروم والآشوريين والفينيقيين والفرس وغيرهم من الشعوب القديمة.

وللأستاذ بقدونس آثار أخرى معظمها ما زال مخطوطاً، نحو «تاريخ الكنيسة»، و«تاريخ القرون الأخيرة» و«الطب عند العرب». وهناك باللغة التركية مقامات ترجمها عن العربية لبيدع الزمان الهمذاني و«تاريخ الدولة العثمانية» وله في اللغة اليونانية التي أتقنها آثار تعدّ أربعين دفترًا، يعتقد أنّ قسمًا منها لتعلم اللغة اليونانية، وأن قسمًا آخر يحوي دراساتٍ وموضوعاتٍ شتى. وسعى الأستاذ رشيد إلى نشر بعض مؤلفاته باليونانية فأرسلها إلى اليونان لطباعتها، لكن أحداث الحرب أخبار الطباعة، ثم ما لبث الأستاذ بقدونس أن توفي قبل انتهاء الحرب.

أيتها السيدات، أيها السادة:

أما فكره السياسي، فكان عروبيًا، فقد أسهم في حركات القوميين العرب، ولا سيّما بعد انقلاب ١٩٠٨م في الدولة العثمانية. ويُذكر في هذا الصدد أنه شارك في تحرير صحيفة «وطن» الصادرة باللغة التركية في مدينة كولكي سالونيك حيث كان في الجيش العثماني. وجعل منها منبرًا للتوعية والتوجيه. ثم أُلّف مع عدد من زملائه حزب العهد عام الذي افتتح له فروغًا قي بيروت ودمشق وحلب والموصل والبصرة. وانضمّ إلى الحزب عدد كبير من الضباط العرب الذين اجتمعوا على ضرورة التحرّر من الدولة العثمانية التي بدأت تتجه اتجاهًا تركيًّا خالصًا بعيدًا عن مفهوم الخلافة العثمانية. وكانت الجهود تسعى إلى تأسيس كيان عربي حرّ موحد. لكنّ الحزب سرعان ما ألغى

عام ١٩١٤م، ورحل مؤسسهُ المقدم عزيز علي المصري إلى بلده مصر، وكان المجاهد السيد رشيد بقدونس فخورًا بكونه عربيًا المتمدن ينتمي إلى الأمة العربية التي جمعها الإسلام على مبادئ الحضارة والعلم والإنسانية. وهكذا عبّر عن الالتحام بين العروبة والإسلام، إذ سمت العروبة بالإسلام الذي جعلها أمة ذات رسالة بين الناس. أما اللغة العربية فهي وعاء الحضارة الذي ينبغي أن يصبأ، ولذلك راح يدافع عن العربية، ويسهم في تنقيتها وتطويرها وتعليمها ومواجهة ما يزاحمها من اللغات الأخرى كالتركية والفرنسية.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ المجاهد السيد رشيد كان واعيًا لنيات الإنكليز والفرنسيين الذين تآمروا على العرب واستقلالهم ووحدهم المنشودة. ولذلك قاوم تقسيم سورية الطبيعية وفرض الانتداب على أجزائها، وأسهم في الجبهة الوطنية المتحدة عام ١٩٣٦م، وشارك في المؤتمر القومي العربي في بلودان عام ١٩٣٧م، ولم تفتّر همته في التحريض على الاحتلال وبعث الفكر القومي وتعليم التاريخ واللغة والمآثر العربية للوصول إلى التحرير والوحدة وإعادة المجد الغابر. وهناك شاهدان على عمل السيد بقدونس في التعليم الممزوج بالعروبة. الأول ذكره الأستاذ سعيد الأفغاني في معرض حديثه عن أثر المدارس الأهلية في نهضة اللغة العربية، ولا سيّما المدرسة الكاملية التي أسسها الشيخ محمد كامل القصاب، وكان يدرّس فيها نخبة من شبان العرب الناهضين عسكريين ومدنيين. فقد ذكر الأفغاني أنّ رشيد بقدونس من هؤلاء المدرسين المؤمنين برسالة العربية وتاريخها. ومنهم عبد الوهاب الإنكليزي وعبد الرحمن الشهبندر وعارف الشهابي وشكري العسلي وصالح قنبار وسليم الجندي وأسعد الحكيم وسعيد العاص وهم من أعلام العربية والعلم والوطنية في الشام^(٤). وذكر الأفغاني أيضًا أنه «قلّ أن سمعنا ونحن صغار بوطنيّ مقدام أو عالم غيور أو مكافح شجاع إلا كان من خريجي هذه المدرسة».

والثاني من الشاهدين على عمل السيد بقدونس في التعليم الممزوج بالعروبة، ما

(٤) انظر: الأفغاني، من حاضر اللغة العربية، دار الفكر، ط. ثانية، بيروت، ص ٢٨ - ٢٩.

ذكره الأستاذ ظافر القاسمي في كتابه «مكتب عنبر، صور وذكريات من حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية»، ومكتب عنبر معقل العربية لغة وأدبًا وتاريخًا ونضالًا، كان بركان الشام أيام الفرنسيين، يقذف بالمظاهرات العنيفة كلما ألمت بالبلاد نازلة، فتعلق المحلات وتتعطل المتاجر، وسرعان ما تحذو بقية المدن حذو دمشق بطلابها وعمّالها وتجارها. ولم يكن هذا المعقل العلمي صدى لما يحدث في الوطن الصغير، بل كان صدى لما يحدث في الوطن الكبير والعالم، ولذلك تفتن الفرنسيون في تغيير إدارة المكتب والتجسس على أساتذته، لكن ذلك ما كان إلا ليزيد الروح العربية ضرامًا في النفوس الناشئة المتطلعة إلى العلم والحرية معًا.^(٥) وأورد الأستاذ القاسمي في كتابه حادثة شهيرة جرت مع الأستاذ بقدونس تحت عنوان «رشيد بقدونس: أول من جاهر بتعليم الوطنية للطلاب في قاعات الدرس. كان بطلاً من أبطال الثورة الفكرية». يقول القاسمي: «وقع الاحتلال في الخامس والعشرين من تموز عام ١٩٢٠م، وكان الطلاب في العطلة الصيفية. واستؤنفت الدراسة كالمعتاد في أوائل أيلول. لم يكن من حديث بين الطلاب إلا الفاجعة وآثارها، وسبيل الخلاص منها... روي لي أن المرحوم رشيد بقدونس، وكان أستاذًا للتاريخ، ندد بالاحتلال، وبهذا الانتداب الذي فرض فرضًا. وكان في الصف طالب أراد أن يتخاطب فقال للأستاذ: دعنا من هذا الحديث، وهو يتظاهر بالخوف على الأستاذ من أن يصيبه أذى. وإذا بصوت رشيد بقدونس يعلو حتى يكاد يسمعه كل من في مكتب عنبر. وينهض من مقعده ويصيح في وجه الطالب المنتخب: اذهب إلى (غورو)، وقل له: إن رشيد بقدونس يعلم الطلاب الوطنية!». ^(٦) ويضيف الأستاذ القاسمي معلقًا على الحادثة: «إنّ صيحة صاحها رشيد بقدونس في ذلك الزمان تعادل في نظر المؤصف مدافع تصوّب إلى معازل المحتلين، ولا أبالغ إذا قلت إن هذه الصيحة الأولى هي التي تسبقها الثورات الفكرية، ويعتقد في صواها الجمهور. رحم الله رشيد

(٥) انظر: الأفغاني، ص ٨٠، وظافر القاسمي، مكتب عنبر، صور وذكريات من حياتنا الثقافية

والسياسية والاجتماعية، دار العلم للملايين، بيروت، ص ١٠٤.

(٦) انظر: القاسمي، مكتب عنبر، ص ١٠٥ - ١٠٧.

بقدونس الرائد الأول للوطنية في مكتب عنبر، كان بطلاً من أبطال الثورة الفكرية، وسيبقى اسمه في سجل الخالدين».

لقد رأى الأستاذ بقدونس أن طريق القوة لهذه الأمة هو تحررها ووحدها، وأن سبيل نهضة العربية هو تأسيس مجامع لغوية علمية في العواصم العربية تتداول فيها المصطلحات العلمية والكلمات الجديدة ليجري تعميمها. ولا أشك لحظة في أن ما انتهى إليه هذا الرجل ما زال هدفاً وغاية لكل المؤمنين بهذه الأمة الخالدة ورسالتها العلمية وغاياتها الإنسانية النبيلة. إن ما عبّر عنه فكر هذا المجاهد هو جماع عناصر الهوية الثقافية للأمة، وهي الهوية التي تبتنق منها حركات النهضة والتجديد في جميع المجالات. وتمثل هذه العناصر في اللغة العربية، ومشروعها في التعريب المقاوم للتغريب والفرنجة في اللغة والمصطلح والترجمة وغير ذلك. كما تتمثل في التاريخ العربي - الإسلامي بوصفه ذخيرة الأمة ومثلها وسيرة رجالها ومجال تحقّقها. وتمثّل كذلك في الدين ورسالته السامية، فالإسلام جوهر العروبة ومعناها وعنوان ثقافتها. وتمثّل أيضاً في الخصائص الاجتماعية للأسرة والحى والسوق القرية والعشيرة والتنظيمات الأخرى. وتمثّل أخيراً في عملية التربية المنظمة ومناهجها وتشكيلها للأجيال. وهي التي تخرج تلك القيم من حيّز القوة إلى حيّز الفعل.

أيتها السيدات، أيها السادة

تلك شذرات من سيرة هذا الرجل الذي احترف الجهاد في هذه البيئة الدمشقية التي ورث عنها المعلمون والأدباء والمصلحون تقاليد أصيلة عريقة في مدينة هي أمّ القرى وما حولها من بلاد الشام والعروبة، في مدارسها ومكتباتها ومجالس علمائها وآثار من درجوا على صعيدها الطيب.

وصدق الأخطل الصغير حين وصف دمشق بقوله: (٧)

تِيهَا دَمَشْقُ هَلِ الْمَفَاخِرُ وَالْعُلَى غَيْرُ الْجِهَادِ وَصَلْتِهِ بِجِهَادِ
تِلْكَ الشَّمَائِلُ مِنْ شَيْوِخِ أُمِّيَّةٍ عَبَّاقُهُ النِّفَحَاتِ فِي الْأَحْفَادِ

(٧) انظر: شعر الأخطل الصغير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ص ١٤٠ - ١٤١.

الحاملين الشمسَ فوقَ وجوههم والحاملين الشُّهَبَ في الأغمادِ
 خَلَعَتْ صَوَارِئِهِمْ عَلَى رِيَاثِهِمْ حُلَالاً مَصْبَغَةً مِنَ الْأَكْبَادِ
 وَرَمَوْا بِهَا أُمَّ الزَّمَانِ فَأَنْجَبَتْ غُرَرَ الْمَلُوكِ وَقَادَةَ الْقَوَادِ
 إِنِّي وَقَفْتُ بِهَا أَسْأَلُ عَنْ فَتَى مِنْ آلِ جَفْنَةَ رَائِحٍ أَوْ غَادِ
 «يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ» طَرَبَ النُّفُوسِ وَرَوْنَقَ الْأَجْسَادِ
 بِيَتْ الْعُرُوبَةَ كَالْمَقَامِ نَقَاوَةً وَعَكَازَ فِي الْإِطْرَابِ وَالْإِنْشَادِ
 تَتَفَجَّرُ الْأَنْغَامُ فِي جَنَابَاتِهِ مِنْ صَدْرِ صَادِحِهِ وَشَعْرِ زِيَادِ
 هُوَ مَنْبُتٌ لِمَكَارِمِهِ هُوَ مَطْلَعٌ لِكَوَاكِبِهِ هُوَ مَلْعَبٌ لِجِيَادِ
 حَسَانٌ لَمْ يَنْقُلْ سِوَى صَلَوَاتِهِ السَّمْحَاءِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ الْهَادِي

ويتطلب مني الإنصاف والإقرار بالفضل أن أذكر ما قدمه الأستاذ المهندس زهير رشيد بقدونس نجل المجاهد المحتفى بذكره من معلومات كانت الأساس الذي بنيت عليه هذه الكلمة الوجيزة، إضافة إلى إخلاصه لذكرى والده، وعمله على إحياء آثاره، وإقباله على زملاء والده في مجمع اللغة العربية وعارفي فضله من الأجيال التالية. والأمل معقود على أعمال الأستاذ زهير لتأليف كتاب شامل عن والده، ونشر ما يمكن نشره من آثاره، وإعادة طباعة ما طبع منها قبل نحو تسعين عاماً. ولا شك في أنّ مجمعنا الزاهر سيسهم في كل ما من شأنه إحياء ذكرى المجاهد بقدونس، والكشف عن أعماله، وبيان مكانته في مجمع اللغة العربية الذي كان أحد مؤسسيه والسباقين لتحقيق أهدافه.

رحم الله المجاهد العالم الجمعي المربيّ الأستاذ رشيد بقدونس رحمة واسعة كفاء ما فُكّر وعمل وجاهد وأخلص، وأسكنه فسيح جنّاته، ورفع درجته مع الذين عناهم بقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة/ ١١].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الأول من عام (٢٠١٠)

أ - الكتب العربية

د. سعد الدين المصطفى(*)

- الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول دراسة بلاغية وأسلوبية: عدنان جاسم الجميلي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- آيات عادٍ قوم هود في القرآن الكريم: د. عدنان علي مجدي علاوي عبید، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- أحكام العدة في الشريعة الإسلامية: د. ليلي حسن الزوبعي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- أساليب النبي ﷺ، في تغيير المنكر: مهدي غانم أحمد العبيدي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- أصول التشريع الدستوري في الإسلام: الشيخ إبراهيم النعمة، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(*) عضو الهيئة الفنية في مجمع اللغة العربية.

- أصول التشريع الدستوري في الإسلام الشيخ إبراهيم النعمة، بغداد، ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الإعلال في كتاب سيويه في هدى الدراسات الصوتية الحديثة: د. عبد الحق أحمد محمد الحجي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- أنت يا فيحاء ملهمتي: د. عبد الله الصالح العثيمين، إصدار مركز صالح بن صالح الاجتماعي عنيزة، السعودية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- تأملات في التاريخ والفكر : د. عبد الله الصالح العثيمين، النادي الأدبي، الرياض السعودية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- التفسير التحليلي للشطر الأول من آل عمران: شاعر نعمة بكري الكبيسي، بغداد، ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- تيسير الفتوى ضوابط وصور: د. عبد الستار عبد الجبار عباس، بغداد: ديوان الوقف السني مركز البحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- حقيقة وأمل: د. نبيل طعمة، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- حينما التقيتكم: د. نبيل طعمة، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- الحيوان: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن نبيل أبي الأشعث، تحقيق: د. عبد الرزاق أحمد الحربي، بغداد ديوان الوقف السني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- خواطر حول الوطن والمواطنة: د. عبد الله الصالح العثيمين، مكتبة الرشيد بالرياض، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- الدراسات اللغوية في شعر عكرمة: بشير داود سليمان، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الدلالة الزمنية للجملة العربية: د. نافع علوان بهلول، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ديوان المراثي: عبد الرزاق عبد الواحد، دمشق: وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٩م.
- الرسائل الفنية في العصر العباسي: زينة عبد الجبار محمد المسعودي، ديوان الوقف السني ببغداد، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- معجم الإرشاد للمصطلحات الجغرافية والفلكية «إنكليزي عربي - عربي إنكليزي» د. محمد الدرويش - دار الإرشاد للنشر ٢٠٠٨م.
- الرشوة وأحكامها في الفقه الإسلامي: د. مجيد صالح إبراهيم الكرطاني، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- سؤدد الكلم في شرح حديث العلم: د. ناصر حسين أحمد، بغداد: الوقف السني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- شخصية المسلم بين التراث والوفاة: د. خليل إبراهيم محمد، بغداد: الوقف السني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الصلات الحضارية بين مدن مشاركة، دراسة تاريخية: د. عامر حميد حمود السامرائي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- عام من الدُّلِّ والانخداع: د. عبد الله الصالح العثيمين، دار الفكر بدمشق، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- علم التصوف وأثره في العبادات: منى ياسين طه الرفاعي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- غزل وأمل: د.م. نبيل طعمة، دار الشرق للطباعة والنشر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- فلسفة التكوين الفكري (١-٦): د. نبيل طعمة، دار الشرق للطباعة والنشر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- فن الخط (باللغة الصينية): كتابان/ ٢٠٠٩م.
- قاموس أطلس الموسوعي (إنكليزي - عربي) دار أطلس للنشر، ط٢، مصر، ٢٠٠٣م.
- القيادة العسكرية الإسلامية بين النظرية والتطبيق: عبد الجبار عبد الواحد العبيدي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- المديح في الشعر العراقي في القرن الثامن عشر: مصطفى أدهم حمادي النعيمي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- المرويات التاريخية في كتاب المصنّف للصنعاني الحميري: ت: عبد المنعم جاسم الدليمي، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- مشاعر في زمن الوهج (شعر): د. عبد الله الصالح العثيمين، الرياض: دار العلوم، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- معارج الأعمال الشعرية: مصطفى عكرمة، مكتبة العبيكان، مكتبة الملك فهد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- المنهل (قاموس إنكليزي - عربي): د. سهيل إدريس، ط٤١، بيروت: دار الآداب، ٢٠١٠م.

-
- من وحي رحلاتي خارج الوطن: د. عبد الله الصالح العثيمين، مكتبة الرشيد بالرياض، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- المورد الحديث (قاموس فرنسي - عربي): د. رمزي منير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ٢٠٠٩م.
- نجد قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب: د. عبد الله الصالح العثيمين، مكتبة الرشيد بالرياض، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- هل كان محمد رحيمًا: محمد حسام الدين الخطيب، الرياض، السعودية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية: د. خليل نوري مسيهر العاني، بغداد: ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

ب- المجالات العربية

أ. ماجد الفندي (*)

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
- الأسبوع الأدبي	١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠	٢٠٠٨ م	سورية
- التراث العربي	السنة ٢٨ العدد ١١٠	٢٠٠٨ م	سورية
- دراسات تاريخية	العدد ١٠١، ١٠٢	٢٠٠٨ م	سورية
- الضاد	٩، ١٠، ١١، ١٢، السنة ٧٨	٢٠٠٨ م	سورية
- صوت فلسطين	٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١	٢٠٠٨ م	سورية
- مجلة جامعة دمشق علوم هندسية	مجلد ٢٤، العدد ١، ٢	٢٠٠٨ م	سورية
- المجلة البطريكية	٢٧٧، ٢٧٨	٢٠٠٨ م	سورية
- المعلم العربي	السنة ٦٠ العدد ٢، ٣	٢٠٠٨ م	سورية
- المهندس العربي	١٥٧، ١٥٨	٢٠٠٨ م	سورية
- فكر وفن	السنة ٤٧ العدد ٧٩	٢٠٠٨ م	ألمانيا
- دراسات	علوم إدارية مج ٣٥ عدد ٢ علوم تربوية مج ٣٥ عدد ٢ علوم شريعة وقانون مج ٣٥ عدد ٢، ١	٢٠٠٨ م	الأردن

(*) إجازة في المكتبات من جامعة دمشق.

المصدر	سنة الإصدار	العدد	اسم المجلة
السعودية	٢٠٠٨ م	العدد ٦٠، ٦١	- الأدب الإسلامي
السعودية	٢٠٠٨ م	السنة ٢٧ العدد ٣١٦	- الأمن والحياة
السعودية	٢٠٠٨	السنة ٦٣ العدد ١١، ١٢	- الحج والعمرة
السعودية	٢٠٠٨ م	٣٨٩، ٣٩٠	- الفيصل
السعودية	٢٠٠٨ م	٣، ٤ مج ٢٩	- عالم الكتب
كوريا	٢٠٠٨ م	العدد ٢ مج ٤	- كوريانا
الكويت	٢٠٠٩ م	٤٦٢، ٤٦٣	- مجلة البيان
لبنان	٢٠٠٩ م	من ٤٩-٥٤	- إسلامية المعرفة
مصر	٢٠٠٩ م	١٠، ١١، ٤١، ٤٩	- مجلة كلية دار العلوم
منظمات عربية	٢٠٠٨ م	٧٦	- النشرة الإخبارية

النشرة الاجنبية:

رَبِي مَعْدَنِي (*)

I- Books:

- Principes élémentaires/ Maurice de Goas.
- Manuel de l'amour/ John Eichenlaub.
- La liberté de la conception/ Marchal.
- La grandeur de l'esprit humain.
- Moscou Le Kremlin.
- Intimate Strangers/ Lillian B.Rubin.
- Les chatiments/ Victor Hugo.
- L'amant de Lady Chatterley/D.H.Lawrence.
- Diderot.
- Nietzsche/ André Cresson.

II- Periodicals:

- Population and development review, Vol.34, N.2 (2008).
- Acta orientalia, Vol.60, N.3-4 (2007)
- Deutschland, N.3-4 (2008).
- Resistance, N.1-2-3-4-5-6-7 (2008).
- Hamadard Islamicus, vol.31, N.1 (2008).
- Korea Focus, Vol.16, N.2 (2008).
- East Asian Review, vol.20, N.2 (2008).

(*) إجازة في الأدب الفرنسي من جامعة دمشق.